

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوشاب

رئيس قسم الأدب والنقد



جامعة الأزهر

مجلة

كُلِّيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بدمهور

أشراف

أ.د. عبد الله بن يحيى

عميد الكلية

العدد الثالث

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الطباعة والمطبوعات

٢ دريتب الأستراةج الأهمد - القاهرة

مشروع إعداد نسخة إلكترونية لمجلة كلية

اللغة العربية بإيتاي البارود جامعة الأزهر

إعداد وإشراف

أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب

رئيس قسم الأدب والنقد



جامعة الأزهر

مجلة

كلية اللغة العربية

بدمهور

أشراف

أ.د. عبد الله ربيع محم

لجنة المجلة

أ.د. السهل محمد أبو سنين

أ.د. عبد الفتاح أبو الفتوح

العدد الثالث

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الطباعة والمطبوعات

درب الأستاذ بالأزهر - القاهرة





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تصدير

اللهم أخلص أعمالنا لوجهك ونور لنا طريق رضاك .

لك الحمد ربنا حمداً يكافى مزيدك ، ويعادل توالي نعمك ، وتتابع أفضالك ، على نبيك وحبيبك سيدنا ومولانا محمد أزكى الصلوات ، وأتم البركات ، وجزى الله آله وأصحابه وأتباعه بفضله عنا ما يستحقون من تقدير وتكريم .

وبعد . . .

فمن باحه العربية وحصنها بشمال مصر وغربها يصدر بعون الله وفضله العدد الثالث من مجلتنا الحبيبة مجلة كلية اللغة العربية بدمهور فيسكون كما ذكرنا في مقدمة العدد الثاني رد فالسابقه ومكملا لرائده ومما لا شك فيه أن القارىء الذى نعتز برأيه ، ونركن إلى فكره وتوجيهه ، سيلبس فى هذا العدد الجديد نفحة تقدم وروحة رقى وتسم ، ذلك أن طبيعة الأمور ، وسنة الحياة — عندنا لا تفسدها أسباب الشهوات أو مظاهر الانحراف — لابد أن تعطى للصغير ما ينميه ، وللناشئ ما يوفيه ، ونحن فى هذا الموقع من مواقع الجهاد لنألوا جهداً فى سبيل منع كل ما يعترض المسيرة ، أو يحول بينها وبين أسباب التكمال أو الإستكمال ، وما أكثر العقبات حين نعددها ، لكن عزائم المؤمنين تقمتم كل عقبة وتحطم كل صخرة أمام مجرى الحياة .



أن نظرة سريعة فيما أحدثه العددان السابقان من آثار أوردود أفعال كما يقولون تجعلنا نفرح بفضل الله وكيف لا وقد ظفروا بكثير من كلمات التهنية ممن يعلون قلة عددنا وعددنا، كما تمتعنا بكثير من نفحات النقد ممن ظنوا أن وراء هذا العمل أكثر مما وراء أمثاله في الساحات والميادين العلمية المناظره فطالبوا بالمزيد ودعوا إلى التوسع . . . وأشاروا إلى الاستكمال .

وإن هيئة المجلة تشكر الطائفة الأولى على تفضلها بالدفع والتشجيع كما تشكر الطائفة الثانية على تسكرمها بالنقد والتوجيه ، وترى نفسها ازاء هذا كله مطالبة بالتوفيق في اختيار موضوعاتها والتنويع في تخطيط أبوابها ، والتجميل في صدع صورها وأشكالها .

ومن هذا المنطلق فقد تم الاتفاق على أن تجعل من هذا العدد الثالث نموذجاً جديداً للمجلة العلمية اللغوية التي تعبر بإسان عصرها عن تراث الأباء والأجداد وتصور بلمحة أسلافها أفسكار الأبناء والأحفاد .

فكان ثمة منهج اقتضى أن يوضع تخطيط ، ويرسم سبيل وطريق ، تظهر فيه روح التنويع ، ويبين فيه مظاهر التشويق والترويح فإلى جانب البحوث اللغوية رأينا أن تظهر الأخبار العلمية والروايات اللغوية ، وبخاصة ما يتصل منها بجانب أعمال اللغويين وما يصدر عن مجامعهم ومؤتمراتهم في الشرق والغرب وكل الأخبار والرواية من آثار في عالم الدراسات اللغوية .

ومع بحوث اللغة والأدب والتاريخ التي يكتبها أبناء الكلية ترحب بما يكتب غيرهم من أبناء أزهري وجامعاتنا الكبرى ولا نرى بأساً في أن تظهر بجانب تلك البحوث الشرقية أو العربية بعض ما يصنعه أبناء الغرب



من المستشرقين أو المستعربين حول لغتنا العربية بعد النقد والتمحيص والتعليق بأقلام أهلينا وأخواننا من أبناء الأزهر وغيرهم .

وإذا كان يؤمننا أن أكثر المجلات العلمية المناظرة يعمل كل منها في عزلة مفروضة ، وبعده مرفوضة فإننا نرجو لمجلتنا هذه أن تبني جسور الود والتعاون العلمي بين أكبر عدد من أخواتها في ساحات اللغة والأدب ، وقد نعهد إلى بعض الصفوة من أبنائها باتخاذ كل سبيل لأقامة تلك الجسور العلمية ولو بتلخيص ما هو مهم من بحوث ومقالات الأخوة والأساتذة السكاتيين في أخوات مجلتنا وأمهاتها ، ليظهر الخير ويعمم النفع .

وسيكون لحرصنا على أشاعة روح التعاون العلمي بين الدارسين من أبناء الكلية في المرحلة الجامعية والدراسات العليا وبين أساتذتهم أثر في توجيه البحوث المنشورة لخدمة هذا الهدف والإعلان عما تقوم به تلك الفئة من باحثي الدراسات العليا من أعمال جادة وبحوث منتقاة ، إننا لا نؤمن بما يتروّد في بعض الأوساط من أن الغرض من المجلة العلمية للكلية إنما هو أتاحه سبيل النشر أمام أعضاء هيئة التدريس الطالبين للترقية ونرى أن هذه الفكرة تجعل تلك المجلات صوراً من تلك البحوث الكثيرة التي تهمل بمجرد تحقيق هدفها الدراسي أو الوظيفي المحدود وإنما نرى أن لهذه المجلات إلى جانب ذلك الهدف الرسمي الذي فرضه علينا واقع لابد من تغييره — أهدافاً أخرى علمية ومنهجية، وفكرية قبل كل شيء ونطالب أنفسنا وغيرنا أن نرفع من هذه المنابر المتاحة أصواتاً قوية عالية توظف الغائم وتحرك السكسول وتعيد الشباب المسلم إلى سابق عهده في الفكر والسمع والأبداع .

ألم يكن صوت الإسلام بقوة ودفته وحنانه أكبر دافع لاكتشاف نظم العربية وأسرارها ومظاهرها جمالها وهل كان أحد يظن — مجرد ظن أن العباهلة من أبناء الصحراء وبدوها سينجبون للعربية أمثال أبي الأسود



الدولى ، ونصر بن عاصم وأبى عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد وأبوه  
الروحى « سيبويه » وغيرهم بغير نزول القرآن وظهور الإسلام .

« أولئك أبائى فجئنى بمثلهم » .

وأننا مع أيماننا ومعرفتنا بقدر ما قدمه أولئك الآباء السادة فإننا  
لا نؤمن ولا نصدق بما يتردد فى مجالاتنا الثقافية أن الأول لم يترك للآخر  
شيئاً ونعلن أن الأمر على عكس ذلك تماماً فكم ترك الأول للآخر؟ ونتخذ  
من قول أماننا الفجوى القارىء أبى عبد الله جمال الدين محمد بن مالك  
فى مقدمه كتابه التسهيل مبدأً وشعاراً إذ يقول رحمه الله :

« وإذا كانت العلوم منجاً آلهيه ، ومواهب اختصاصيه ، فغير مستبعد  
أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر نياله على كثير من المتقدمين ، أعاذنا الله  
من حسد يسد باب الإنصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف والهممنا شكراً  
يقتضى توالى الآلاء ويقضى بانقضاء الآواء » (١) .

ومن هذا المنطلق فإننا ندعو إلى التفكير العميق فى مشكلات عربيتنا  
العصرية فى قضاياها التى تجددت مع مر الأيام واختلاف العصور ، ونهب  
بكل غيور على إسلاميته وعربيته أن يفكر معنا فيما يعيد لتلك العربية  
روحها القرآنية ، ويأينها النبوى ، وطلعتها السماوية المشرقة .

أن العربية الفصحى لتبرأ مما يتردد على الأسماع اليوم من صور  
اللحن الفاحش فى أصواتها وأدائها وكتابتها ونحوها وأساليب صوغها

---

(١) مقدمة تسهيل الفوائد ص ٢ وقد سعدت بهذه العبارة فى مقدمة  
بحثى الحميد عن النبر : Accent فى العربية الفصحى بالعالم العربى  
المعاصر .



وما أشد هذا الفحش عند يكون مصدره الكبراء قبل الصغراء والعلماء قبل الجهلاء ؟

أن تعليم العربية لأبناء العرب ولغيرهم ما زال متسكفاً على غير هدى مشدوداً بقيود من فولاذ تمنعه من التقدم وتحول بينه وبين الإنطلاق بأساليب العصر وتقنياته الرائعة .

أن البحث اللغوي في جامعة الأزهر وفي غيرها من نظائرها لم ينفك عن الدوران حول بعض القضايا القديمة من نحو نضج حتى احترق أو صرف لم يسبق له تصريح وما أكثر أولئك الذين يزعمون تحقيق التراث في هذا المجال مع أن أكثر ما يصدر عنهم في أشد الحاجة إلى التصحيح والتحقيق وقل مثل ذلك عن كثير مما يصنع في مجالات البحث الأدبي والبلاغي والأصولي .

وما أدري ولست أدري هل عرف أخواننا الباحثون في تلك المجالات ماذا يدبر للعربية وعن العربية في هذا العصر ، وماذا يقال عنها في عقر دارها وفي الخارج ؟ وهل عرفوا شيئاً عن مشروع العربية الأساسية ؟ أو النحو العربي الأمريكي أو الترجمة الآلية الإلكترونية ؟ إلى غير ذلك من القضايا التي شغل بها الآخرون ليس حسبية بالطبع لوجه الله .

ومنذ متى راجعتم أنفسكم وحاسبتموها بالنظرة الموضوعية في تلك المقررات التي تقدم لطلابكم في صورة مذكرات أو كتب هزيلة وعرفتم أثار ذلك في تكوين هؤلاء الطلاب الذين هم أمانة في أعناقكم ؟ .

أن بعض من يجتمعون من أجل هذا الغرض الأسمى تحكمهم شهد الله دوافع خاصة أو شخصية فإذا بهم يحاولون — السيطرة بمواد تخصصهم



وبما يعرفون على غيرهم ولو كان ذلك حساب المنهج العلمى والتسكويين  
السليم .

لقد كانت هناك ندوات عالمية ومؤتمرات دولية لبحث طرق  
ووسائل تعليم العربية للناطقين بها ولغيرهم وكانت لها قرارات وتوصيات  
فهل ياترى بلغت هذه أذان المسئولين عن جامعاتنا ومعاهد اللغة عندنا وهل  
وجدت صدى فى عقولهم وقلوبهم ؟ .

وتساؤلات أخرى كثيرة وأوجاع فى العقل والقلب تثير أشد ألوان  
الصراخ لكن تبقى المشكلة من يسمع ؟ من يشارك ؟ من يطلب ؟

هل يستطيع هذا الصوت للغوى العربى من دمنهور أن يصل إلى القاهرة  
وإلى كل عواصم العرب والمسلمين فيرجع صداه حاملا : لبيك لغة القرآن  
ولسانه المبين .

\* \* \*

وتحية من قبل لصوت العربية فى دمنهور . وتحية لسكل من شارك  
فى تسكويته ونقله ونسخه وطبعه ولنا فى الله أكبر الأمل فيأذنه وتفضله  
فلتقى إن شاء الله فى العدد الرابع .

د أن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت  
والإليه أنيب .

أ . د / عبد الله ربيع محمود  
المشرف على المجلة

# كِتَابُ "الْبَيْعِ" وَأَثَرُهُ فِي الدِّرَاسَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ

بقلم

الدكتور السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّحْمَنِ الْبُوسَيْدِ

المدرس بقسم البلاغة والنقد



### تقديم :

يمثل كتاب « البديع » « لابن المعتز » بداية مرحلة جديدة في تاريخ البيان العربي ، يمكن أن نسميها : مرحلة الدراسات المنهجية .

فقد اتبع فيه مؤلفه منهجاً محدد الخطوات ، واضح المعالم ، على خلاف ما نلاحظ في جل ما سبقه من مؤلفات في هذا الميدان .

ومن ثم كان لهذا الكتاب قيمة كبيرة في تاريخ البلاغة العربية ، وبرز أثره جلياً في المؤلفات التي كتبت من بعده ، واتسكأ عليه عدد غير قليل من أعلام المؤلفين في الدراسات البلاغية .

وهذا البحث يتناول كتاب « البديع » بالدراسة والتحليل ، ويكشف عن الروافد التي أمدته ، والرياض التي استقت منه ، ويفتح ما وجه إليه من تهم ، وما أثير حوله من شبهات .

لذا فهو ينقسم قسمين :

الأول : دراسة كتاب « البديع » .

والثاني : بين التأثر والتأثير .

ونبدأ — بعون الله وتوفيقه — في خوص غمار البحث .

أولاً : دراسة كتاب « البديع » .

• • •

### مؤلف الكتاب :

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله ، بن المتوكل على الله ، بن محمد المعتصم ، بن هارون الرشيد .... وينتهي نسبه إلى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، ولد على أرجح الآراء في شعبان سنة ٢٤٧ هـ - نوفمبر سنة ٨٦١ م ، وتربى تربية أبناء الخلفاء ، وقادب على أشهر علماء عصره ، كـشعاب ، والمبرد ، وابن هبيرة ، وغيرهم .

ومال منهف صغره إلى الشعر والأدب ، وظل يحيا في ظلهم بعيدا عن صراعات السياسة حتى نبغ فيهما نبوغا منقطع النظير .

ويصف ابن المعتز نفسه في بعده عن السياسة ، وجنوحه إلى المذات ، فيقول (١) :

قليل هموم القلب إلا لذة      ينعم نفسا آذنت بالتنقل  
فإن تطلبه تقتنصه بحافة      وإلا ببستان وكرم مظل  
ولست تراه سائلا عن خليفة      ولا قائلا من يعزلون ومن يلي  
ولا صائحا كالعير في يوم لذة      يناظر في تفضيل عثمان أو علي

ومع هذا فقد جاءته الأقدار بما لم يكن في الحسبان ، ففي سنة ٢٩٦ هـ اجتمع جماعة من القواد على خلع «المقتدر» ، وتولية «ابن المعتز» ، مقابل الخلافة ، وبويع بها يوم السبت ٢٠ من ربيع الأول ، وصلى بالناس الصبح يوم الأحد ، وفجأة تبدلت الأمور ، وأفرج عن «المقتدر» ، وانفض أنصار «ابن المعتز» من حوله ، فقبض عليه ، ولقى حتفه ، ولما يئس بعرش الخلافة .



وقد رثاه كثير من الشعراء ، وقال فيه « ابن بسام » (١) :

لله درك من ملك بمضيعة  
فأهيك في العلم والآداب والحسب  
ما فيه لولا ولا ليت فتنقصه  
ولأنما أدركته حرفة الأدب

نعم أدركته حرفة الأدب ، فقتل بائسا ، لم يتمتع بأبهة الملك ، وعند التحقيق نرى أن الخلافة قد أسقطته وأردته ، بينما أعملاه الأدب ، وأحيا ذكره ، ما بقي في الناس مطالع للآداب ، ودارس للعلوم .

وترك « ابن المعتز » مؤلفات جميلة ، تزهو بها رياض العلم ، ويعتز بها العلماء ، وقد ذكر أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في كتاب « ابن المعتز وتراثه » مؤلفاته وهي :

- ١ - كتاب البديع .
- ٢ - الزهر والرياض .
- ٣ - مكاتبات الإخوان بالشعر .
- ٤ - الجوارح والصيد .
- ٥ - السرقات .
- ٦ - أشعار الملوك .
- ٧ - الآداب .
- ٨ - حلى الأخبار .
- ٩ - طبقات الشعراء .

١٠ — الجامع في الغناء .

١١ — أرجوزة في ذم الصبوح .

١٢ — ديوان شعر كبير .

و كثير من هذه الكتب مفقود ، وما نشر منها يشهد ببراعة «ابن المعتز»  
وسعة ثقافته ، وعلمه الغزير ، فرحمه الله رحمة واسعة بما قدم للعلم  
والعلماء .

#### التعريف بالكتاب :

كتاب « البديع » لابن المعتز من أهم كتب التراث في البيان والنقد ،  
وقد ألفه « ابن المعتز » سنة ٢٧٤ هـ ، وذكر ذلك في الكتاب ، فقال :  
وما جمع فتون البديع ، ولا سبقني إليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين  
وما تين وأول من نسخه مني علي بن هارون بن يحيى بن أبي  
المنصور (١) .

وقد نشره المستشرق الروسي « أغناطيوس كرتشكوفسكي » سنة ١٩٣٥ م  
معتمدا على النسخة المخطوطة الوحيدة الموجودة في مكتبة « الاسكوريال » ،

ثم نشره بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي سنة ١٩٤٥ ،  
وقد صحح كثيرا من أخطائه وشرح ما فيه من أبيات .



سبب تأليفه :

« ذكر ابن المعتز ، في مقدمة كتابه دوافع تأليفه ، فقال : قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن ، واللغة ، وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة ، والأعراب ، وغيرهم ، وأشعار المتقدمين ، من الكلام الذي سماه المحدثون «البديع» ، ليعلم أن بشاراً ، ومسلماً ، وأبانواس ، ومن تقيلمهم وسلك سبيلهم ، لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثير في أشعارهم ، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه .

ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه ، وتفرع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن في بعض ذلك ، وأساء في بعض . وتلك عقبى الإفراط ، وثمره الإصراف ، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة ، وربما قرأت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل (١) .

ففي هذا النص يكشف « ابن المعتز » عن سبب تأليفه كتاب «البديع» ، في عصره احتدمت المعارك الأدبية بين المحافظين على عمود الشعر من اللغويين والرواة ، وبين المحدثين من الشعراء .

فالمحافظون يناخون عن منهج الشعر القديم ، ويرون أن الشعر يجب ألا يخرج عنه ، ويتمون بشاراً ومسلماً وغيرهما بإفساد الشعر .

والمحدثون يذهبون إلى التأنق في الصياغة ، والغوص وراء المعاني ، وتوشية القصائد بحلى البديع ، ويرون أن هذا أقوم طريق .



وفي خضم هذه الخصومات الأدبية ، ألف « ابن المعتز » كتابه ليدل على أن البديع موجود في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب ، وأشعارهم ، وأن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى فنونه ، ولكنهم عتوا به ، وأكثروا منه في أشعارهم حتى عرفوا به ، وأصرف بعضهم في استعماله حتى أساء في بعض شعره ، واكتنف بعض شعره الغموض .

ويزيد « ابن المعتز » الأمر وضوحاً حين يصرح بهذا السبب مرة أخرى بعد قليل من كلامه السابق ، فيقول : وإنما غرضنا تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع ، (١) .

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد موسى أن « ابن المعتز » ألف كتابه منافخة عن المحدثين ، واحتجاجاً للبديعيين ، لأنه من أعلام الصنعة البديعية ، وكان في سلك الذين رماهم علماء اللغة بإفساد الشعر ، والخروج به عن مألوفه ومعتاده ، وإثقاله بالحلى التي تسلمه من التكلف والتعقيد (٢) .

بينما يرى الدكتور شوقي ضيف أن « ابن المعتز » ألف كتابه ليثبت أن المحدثين لم ي اخترعوا البديع ، الذي يلهمجون به ، وكأنه يرد حقاً مسلوباً للشعراء الأقدمين الذين ادعى المحدثون أنهم قد اخترعوا البديع دونهم ، ولم يسم « ابن المعتز » من ادعى ذلك وغمط العرب حقهم ، وأفكر عليهم كل فضل ، ولكنه تصدى لمن ادعوا ذلك ، لينقض دعواهم الباطلة ، مبيناً بالبرهان الساطع أن البديع قديم في العربية » (٣) .

وكلام أبي هلال يؤيد ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف إذ يقول

---

(١) البديع : ٣

(٢) الصنيع البديعي : ١٢٩

(٣) البلاغة قطور وتاريخ : ٦٧



بعد أن عدد ألوان البديع : فهذه أنواع البديع التي ادعى من لاروية ولا رواية عنده أن المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفتخم أمر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبريء من العيوب ، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة ، (١) .

وأرى أن « كلام » ابن المعتز ، يحتمل التفسيرين ، ولأمانع من أن يكون قد أراد أن يدل على أصالة البديع في اللغة العربية . ويثبت أنه فن قديم من فنون القول فيها ، في الوقت الذي قصد أن يبين أن المحدثين لم يخرجوا بسبب البديع عن عهود الشعر العربي ، وإنما كان ذلك بسبب كثارهم منه ، وغرامهم به إلى درجة التكلف والتعقيد .

### منهج الكتاب :

سار « ابن المعتز » في كتاب « البديع » على منهج دقيق ، يدل على عقل قد ، ونظر ثاقب ، وقد بدأ كتابه بمقدمة شرح فيها الدوافع التي جعلته ينهض لتأليف كتابه . وبين أنه سيتحدث عن فنون البديع كما يراها قاصداً من ذلك تعريف الناس بقديم البديع ، فليس لأحد أن يعيب عليه اقتصاره على بعض الفنون ، فني دون ما ذكره ما يوفي بالغاية التي قصدها (٢) .

ويؤكد على أنه لم يقتصر على هذه الفنون لجهل أو ضيق معرفة ، فيقول : بعد أن انتهى من فنون البديع : ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ومحاسنها كثيرة . . . وأحببنا لذلك أن نكثر فوائد

---

(١) الصناعتين : ٢٠٤

(٢) البديع : ٣



كتابنا للتأديين، ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختياراً من غير جمل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة (١) .

وقسم « ابن المعتز » كتابه قسمين :

الأول : البديع ، وهو القسم الأكبر في كتابه ، وبحث فيه خمسة أبواب هي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي .

والثاني : محاسن الكلام والشعر ، وتحدث عن ثلاثة عشر لوناً منها هي : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، والخروج من معنى إلى معنى ، وتأكيذ المدح بما يشبه الذم : وتجاهل العارف ، والهزل الذي يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض والسكناية ، والإفراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، وإعانة الشاعر نفسه في القوافي ، وحسن الابتداءات .

والنزم « ابن المعتز » في دراسة أبواب البديع بمنهج فريد ، فنراه يعرف اللون البديعي ثم يسوق له الأمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام الصحابة ، وكلام العرب ، ثم ينتقل ليضرب الأمثلة من الشعر القديم ، ويعقبه بذكر أمثلة من شعر المحدثين .

وبعد أن يذكر العدد الوفير من الأمثلة الجيدة يأخذ في ضرب الأمثلة المعيبة ، التي لم تستوف شروط الحسن .

ولقد أكثر « ابن المعتز » من ضرب الأمثلة الجيدة في كتابه ، وكأنه يريد أن يضع بين يدي الناشئين زاداً يمدهم بمقومات الصنعة الجيدة ، التي

---

(١) البديع : ٥٨



أباحها الذوق العربي ، ويعصمهم من الوقوع في التكلف الذي يهبط بأشعارهم إلى درجة القبح (١) .

وتظهر شخصية « ابن المعتز » في كتابه كأديب بارع ، وشاعر ذواقة ، وناقد خبير ، يتقن التمييز بين جيد الكلام ورديئه .

وسنتناول موضوعات الكتاب بالدراسة والتحليل ، لنبين طريقة « ابن المعتز » في تناولها ، ونقف على جهوده في إبراز معالمها ، وإيضاح مسائلها ، وفرضه أثره الكبير في تطور البلاغة العربية .

ونبدأ بالقسم الأول وهو أبواب البديع .

#### ١ - الاستعارة :

هي أول أبواب « البديع » التي بحثها « ابن المعتز » في كتابه ، وكأنه بهذا يجعلها في مقدمة ألوان البديع أهمية ، نظراً لجرانها على ألسنة العرب ، وشيوعها في شعرهم ونثرهم ، وتأثيرها القوي في أداء المعاني ، وروعة الأساليب :

وقد عرفها ، وضرب لها أمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام الصحابة رضي الله عنهم ، وكلام غيرهم من فصحاء العرب قدماء وحدثين ، ثم ذكر لها أمثلة من جيد الشعر في عصوره المختلفة : الجاهلي ، والإسلامي ، والعباسي ، ثم ختم حديثه عنها بذكر أمثلة للاستعارات القبيحة في الشعر والنثر .

وفي خلال رحلته مع أمثلة الاستعارة أشار بلطف إلى بعض مسائلها كما يتضح فيما يلي :

---

(١) الصبغ البديعي : ١٣٠



(أ) تعريف الاستعارة :

عرف « ابن المعتز » الاستعارة بأنها : استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها (١)

وليس هذا أول تعريف وجد في آثار العلماء ، فقد سبق « الجاحظ » و « ابن قتيبة » و « ثعلب » إلى تعريفها .

فهى عند الجاحظ : تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه (١)

وهى عند ابن قتيبة : وضع الكلمة مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى ، أو مجاورا لها ، أو مشا كلا (٢)

وهى عند ثعلب : أن يستعار للشيء اسم غيره ، أو معنى سواه (٣)

وبالنظر في هذه التعاريف نرى أنها تقسم بالبساطة ، وتفتقر إلى الدقة المطلوبة في التعريف ليكون جامعا مانعا ، ولتكنها — على كل الأحوال — تمثل مرحلة أولية من مراحل الفكر البلاغى ، لها أهميتها فى بناء صرح علوم البلاغة .

---

(١) البديع :

(٢) البيان والتبيين : ١ / ١٥٣

(٣) تأويل مشكل القرآن : ١٣٥

(٤) قواعد الشعر : ٢١



### ( ب ) قرينة الاستعارة :

لم يشر ابن المعتز صراحة إلى قرينة الاستعارة ، ولكننا نلح في تعليقه على بعض الأمثلة ما يؤيد إليها ، إذ يقول : ومن الاستعارة قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
على بأنواع الهموم ليتلى  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكسل كل

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لاصلب له ولا عجز (١)

فقد أشار إلى الاستعارة في الصلب ، والعجز ، والسكل كل ، وبين أن هذه الألفاظ إنما كانت من قبيل الاستعارة ، لأن الليل لاصلب له ولا عجز ، وهذا توضيح للقرينة التي عرفت عند البلاغين بعد ذلك .

### ( ج ) بيان أصل الاستعارة :

وبين « ابن المعتز » — في بعض الأمثلة — المعنى الحقيقي الذي أخذت منه الاستعارة ، ففي قول النابغة الذبياني :

وصدر أراح الليل عازب همه  
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

يقول : أراح الليل عازب همه ، هذا مستعار من إراحة الراعى الإبل إلى مباءتها ، أي موضع تأوى إليه (٢)



وفي بعض الأمثلة أشار إلى المعنى المجازي ، والمعنى الحقيقي وشرح  
اللفظ المستعار ففي قول الشاعر :

إذا لقحت حرب عوان مضره  
ضروس تهر الناس أنيابها عصل

يقول : تهر : أى تحملهم على أن يكرهوا ، يقال : هر فلان كذا : إذا  
كرهه ، وأهر رقه أنا : حملته عليه ، وهرير السكب : صوت يردده إلى  
جوفه إذا كره الشيء ، أو الشتاء لشدة البرد أو لغيره (١)

#### ( د ) أمثلة من جيد الاستعارات :

ساق ابن المعتز أمثلة كثيرة للاستعارة ، من القرآن الكريم والحديث  
الشريف ، وكلام الصحابة رضى الله عنهم ، وكلام غيرهم من فصحاء العرب  
قدماء ومحدثين ، ثم ذكر أمثلة من جيد الشعر فى عصوره المختلفة ، الجاهلي  
والإسلامي ، والأموي ، والعباسي .

فمن الاستعارات القرآنية ، قوله تعالى : ( هو الذى أنزل عليك الكتاب  
منه آيات محكمات هن أم الكتاب ) (٢) . وقوله تعالى : ( واخفض لهما  
جناح الذل من الرحمة ) (٣) ، وقوله تعالى : ( واشتعل الرأس شيبا ) (٤)

ولم يعلق ابن المعتز على هذه الشواهد بشيء ، ومعلوم أن الاستعارة  
فى الآية الأولى فى لفظ « أم » ، وفى الثانية « جناح » ، وفى الثالثة فى لفظ  
« اشتعل » .

---

(٢) آل عمران : ٧

(٤) مريم : ٤

(١) السابق : ٧

(٣) الإمراء : ٢٤



ومن الاستعارات النبوية قوله ﷺ : خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله . كلها سمع هيعة طار إليها ، (١)

والاستعارة في الحديث في لفظ « طار » وقد استعيرت للسرعة .

ومن الاستعارة في كلام الصحابة ، قول علي بن أبي طالب في كتاب إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة : أرغب راغبهم ، واحمل عقد الخوف عنهم (٢)

والاستعارة في هذا القول في لفظ « عقد »

ومن الاستعارة في كلام غيرهم ، ما جاء في قول الحجاج : دلوني على رجل سمين الأمانة (٣) .

وفيما روى عن المأمون من أنه رأى بعض ولده وفي يده دفتر ، فقال ما هذا يا بني ؟ فقال : بعض ما يشهد الفطمة ، ويؤنس في الوحدة ، فقال : المأمون : الحمد لله الذي أراني من ذريتي من ينتظر بعين عقله (٤)

والاستعارة في قول الحجاج في لفظ « سمين » وفي قصة المأمون في لفظي : يشهد : وعين .

وذكر ابن المعتز للاستعارة نماذج كثيرة من الشعر ، وما ذكره قول زهير : (٥)

صحا القلب عن سلبى وأقصر باطله      وعرى أفراس الصيا ورواحله

(٢) السابق : ٤

(١) البديع : ٣

(٣) السابق : ٦

(٥) السابق : ٨

(٤) السابق : ١٢



وقول لبيد . (١)

وغداة ريح قد كشفت وقرّة  
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وهما من أشهر أمثلة الاستعارة المكنية في كتب البلاغيين .

ومن الأمثلة قول أبي نواس : (٢)

صهباة قفترس العقول فيما توى  
منها بمن سوى السبات جراحا

والاستعارة في لفظ « قفترس » .

وقول العباس بن الأحنف : (٣)

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا  
وفرق الناس فينا قو لهم فرقا

والاستعارة في لفظ « أذيال » .

وغير ذلك من شعر مسلم بن الوليد ، وأبي العتاهية ، وأبي تمام وغيرهم ،  
ولقد أفاض ابن المعتز في التمثيل للاستعارة . وضرب لها أكثر من  
ثمانين مثالا من الشعر ، غير ما ذكره من القرآن الكريم ، والحديث الشريف  
وأقوال الصحابة ، وفصحاء العرب .

والناظر في أمثله يجد أكثرها من الاستعارة المكنية ، ولعل هذا يرجع

---

(١) السابق : ١١

(٢) السابق : ١٦

(٣) السابق : ١٩



إلى أن هذا اللون من الاستعارة كان موضع نقاش بين المحافظين والمجددين في هذا الوقت ، ويؤيد هذا أن فقد الأمدى لاستعارات أبي تمام كان منصبا على كثرة ما يورده من الاستعارات المكنية في شعره (١) .

### ( هـ ) الاستعارة المعيبة :

وساق ابن المعتز أمثلة من الاستعارات المعيبة ، ختم بها حديثه عن الاستعارة ، وبين أنه سيكتفي بذكر القليل من الأمثلة ، ليعرفها المنشئون ويحترزون من الوقوع في أمثالها ، فقال : وهذا وأمثاله من الاستعارة ، مما عيب من الشعر والكلام ، وإنما نخبر بالقليل ليعرف فيتجنب (٢) .

وذكر أمثلة منها :

قال الملهب لرجل من الأزد : متى أنت ؟ قال : أكلت من حياة رسول الله ﷺ سنتين ، فقال : أطعمك الله لحك (٣) .

فقول الأزدى : « أكلت » استعارة قبيحة ، لعدم ملاءمتها للحياة ، ولخروج التعبير عن أدب الحديث عن رسول الله ﷺ .

وقال عبيد الله بن زياد لسويد بن منجوف : أقعد على است الأرض ، فقال سويد : ما أعلم للأرض استا (٤) .

فاستعارة الاست لظهر الأرض استعارة معيبة ، ولذلك رد سويد ، على عبيد ، بعبارة كلها تعجب وإستهزاء .

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ٧٠ وينظر الموازنة ٢٦١/١

(٢) ، (٣) ، (٤) السابق : ٢٣



وقال أبو تمام (١) :

فصربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا

والاستعارة في هذا البيت في لفظ « أخدعيه » . والأخدعان عرفان في العنق ، والشاعر حينما جعل للشتاء أخدعين ، على سبيل الاستعارة ، جاءت في غاية القبح ، وقد وقف الإمام عيد القاهر عند هذه الاستعارة في بيت آخر لأبي تمام وهو :

يا دهر قوم من أخدعك فقد  
أضججت هذا الأنام من خرقك

وبين قبحها ، وثقلها على النفس (٢) .

ومن قبله وقف الأمدى عند البيتين وغيرهما منها على فساد الاستعارة وقبحها (٣) .

وحديث ابن المعتز عن الاستعارات المعيبة ، قد فتح الباب أمام البلاغيين لتفصيل هذا الموضوع ، وبيان مختلف جوائبه .

### ٢ - التجنيس :

وهو الباب الثاني من « البديع » عند ابن المعتز ، وقد عرفه ، وبين أقسامه ، وضرب له أمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام الفصحاء ، والشعر ، وختم حديثه عنه بذكر نماذج للمعيب منه .

(١) السابق ٢٣

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ٤٧

(٣) الموازنة ١/٢٦١



(١) تعريفه :

قال ابن المعتز : التجنيس : أن تجيء الكلمة تجافس أخرى في بيت شعر وكلام ، وشرح معنى المجانسة فقال : ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها ، على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها (١) . . .

فقد عرف التجنيس ، وشرح معنى المجانسة ، وأشار إلى كتاب الأصمعي الذي ألفه في ذلك ، كما استشهد بكلام الخليل بن أحمد في هذا الموضوع (٢) .

(ب) أقسامه :

وبين أن التجنيس على قسمين (٣) :

الأول : ما تكون الكلمة تجافس أخرى في تأليف حروفها ، ومعناها ، ويشترك منها ، مثل قول أبي يعقوب الخريمي :

يوم خلجت على الخليج نفوسهم عصباً وأنت بمثلها مستام

والثاني : أن تجافسها في تأليف الحروف دون المعنى ، كقول مسلم ابن الوائد :

يا صاح إن أخاك الصب مهموم فافرق به إن لوم العاشق اللوم

وبالتأمل في هذين القسمين نرى أنهما بحثنا عند المتأخرين في الملحق بالجناس لا في الجناس ، والأول منهما يقوم على اجتماع اللفظين في الاشتقاق ، والثاني يقوم على اجتماعهما فيما يشبه الاشتقاق (٤) .

(١) ، (٢) ، (٣) البديع ٢٥

(٤) ينظر مفتاح العلوم ٢٠٣ ، وبغية الإيضاح ٨٥/٤



فهذا التقسيم غير دقيق ، ولا يمثل التقسيم الصحيح للتجنيس ، وهذا لا يغض من مكانة ابن المعتز ، ولا ينقص من قدره ، فهو رائد كفاه أن أوضح معالم الطريق .

### ( ج ) مع الأمثلة :

وساق ابن المعتز أمثلة كثيرة للتجنيس منها ما يدخل تحت تقسيمه ، مثل قوله تعالى (١) : ( وأسألت مع سليمان لله رب العالمين ) ، وقوله تعالى (٢) : ( فأقم وجهك للدين القيم ) ، وقوله ﷺ (٣) : ( الظلم ظلمات يوم القيامة ) (٤) .

ومنها ما يدخل تحت أقسام أخرى ذكرها البلاغيون بعد استواء المباحث البلاغية ، كالجناس التام المستوفى في قول محمد بن كنفانة (٥) : وسميته يحي ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل

والجناس المحرف في قول العباس (٦) :

وذا كم أن ذل الجار حاتفكم وأن أنفسكم لا يعرف الأنفا

والجناس الناقص المطرف في قول الجعفي (٧) :

لولا عل بن مر لاستمر بنا خلق من العيش فيه الصاب والصبر

(١) النمل : ٤٤

(٢) الروم : ٤٣

(٣) رواه مسلم

(٤) البديع : ٢٥

(٥) البديع : ٢٦

(٦) السابق : ٢٧

(٧) السابق : ٣٣



والجناس الناقص المذيل ، فى قول حيان بن ربيعة (١) :  
 لقد علم القبائل أن قومي لهم حد إذا لبس الحديد  
 وجناس القلب ، فى قول معاوية لابن عباس (٢) : مالكم يا بني هاشم  
 تصابون فى أبصاركم كما تصابون فى بصائركم .  
 ووقف ابن المعتز عند بعض الأمثلة مشيراً إلى التجنيس فيها ، فى أبيات  
 صهيب بن حميد :

طلعت أوائل للرياض فبشرت نور الربيع بحدة وشباب  
 وغدا السحاب يكاد يسحب فى الرنى  
 أذيال أسحم حالك الجلباب

. . . . .

يقول : أردنا قوله : وغداً السحاب يكاد يسحب (٣) .  
 وهذا التجنيس من اللون اللون الأول الذى عرف فيما بعد بجناس  
 الاشتقاق .

وقد يأتى فى البيت تجنيس وإستعارة ، فنراه يشير إلى ذلك ، فى قول  
 عمار بن عقيل :

وعلا اغاط فبات يلغظ سيله ويعج فى لب الرغام ويصخب

يقول : جمع فى هذا البيت التجنيس والاستعارة (٤) .

---

(١) السابق : ٢٧

(٢) السابق : ٢٥

(٣) ، (٤) السابق : ٣٠



ويعجب ابن المعتز ببعض الأبيات ، فيحكم عليها بأنها من الأبيات الملاح ، ففي قول أبي تمام :

سعدت غربة الفوى بسعاد      ففى طوع الإتهام والإنجاد

يقول : وهذا من الأبيات الملاح (١) :

وهذا البيت مطلع قصيدة لأبي تمام ، والجناس فيه بين : سعد ، وسعاد ، وقد حكم عليه أبو هلال بحكم ابن المعتز فقال : وهذا من الإبتداءات المليحة (٢) .

ومثل ابن المعتز للتجنيس ببعض شعره ، فقال : وقلت :

يا دار أين ظباؤك اللعس      قد كان لى فى إنسها أنس

أين البدور على غصون فقاً      من تحتن خلاخل خرس (٣)

وهو يقصد التجنيس بين : إفس ، أنس ، فى البيت الأول ، وهذا اللون من الجناس يعرف عند المتأخرين بالجناس المحرف ، وفيه يختلف اللفظان فى شكل الحروف .

( د ) التجنيس المعيب :

ساق ابن المعتز أمثلة للتجنيس المعيب من ذلك (٤) : قول منصور بن النرج :

---

(١) السابق ٢٩

(٢) الصناعتين ٢٧٧

(٣) البديع ٣٢

(٤) السابق ٣٤ ، ٣٥



أكابد منك أليم الألم فقد أنحل الجسم بعد الجسم  
وقول أبي تمام :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب  
وقول البهروى :

ولو رأى هرم معشار فائله لقبل فى هرم قد جن أو هرما

ولم يبين ابن المعتز سبب قببح هذه التجنيسات وغيرها مما ذكره ،  
والذى يظهر لنا من التأمل فيها ، أنها قد جاءت متكافئة مصنوعة ، وقد عنى  
فيها بتجانس الألفاظ دون إضافة معان جديدة ، فهى لا تزيدنا إلا سماع  
حروف مكررة تصك الأذان ولا تغنى العقل .

وقد أشار ابن المعتز إلى بعض التجنيسات التى جاءت غير متكافئة ،  
ولا مقصودة فقال : سئل عبد الله بن إدريس عن النبىذ ، فقال : جل أمره  
عن المسألة : أجمع أهل الحرمين على تحريمه ، ولم يقصده فيما أظن ، ولكن  
كما تهياً له فى الكلام (١) .

ويفهم من تعليقه على هذا المثال أنه معجب به نظراً لمجيئه من غير  
قصد ولا تصنع ، وهذا ما يجب أن تكون عليه الألوان البديعية .

وقد فصل الإمام عبد القاهر هذا الموضوع وساق بيت أبي تمام وبين  
سبب قببح التجنيس فيه ، فقال :

أما التجنيس ، فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع  
معنيهما من العقل موقعا حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ،  
أتراك استضعفت تجنيس أبي تمام فى قوله :



ذهبت بمذهبه السباحة فالتزت      فيه الظنون أذهب أم مذهب  
واستحسنه تجنيس القائل :

حتى نجا من خوفه وما نجا

وقول المحدث :

ناظراه فيما جنى ناظراه      أو دعاني أمت بما أودعاني

لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول ،  
وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعت  
حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا منكورة ، ورأيت الآخر قد  
أعاد عليك اللفظة كأنه يخذلك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم  
يزدك وقد أحسن الزيادة ووفأها ، فهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا  
المستوفى منه المتفق في الصورة ، من حلى الشعر ، ومنذ كورا في أقسام  
البديع (١) .

فقد بين الإمام أن التجنيس لا يكون حسنا إلا إذا أضاف فائدة ،  
وحقق معنى يمتنع الحس ويغنى العقل ، وأنه يعاب حينما يأتي مصنوعا من  
أجل إيجاد تجانس لفظي ، دون نظر إلى معنى مستفاد منه .

وقد أكد ذلك أتم تأكيد فقال بعد الكلام السابق : فقد تبين لك أن  
ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلا بقصرة المعنى ، إذ لو كان  
باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معجب مستهجن  
ولذلك ذم الاستسكار منه والولوع به ، وذلك أن المعاني لا تدين في كل  
موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، إذ الألفاظ خدم المعاني ، والمعرفة في  
حكمها ، وكانت المعاني هي المالكات سياستها ، المستحقة طاعتها ، فمن نصر



اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ،  
وذلك مظنة الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين ، (١).

### ٣ — المطابقة :

وباب الثالث من أبواب البديع عند ابن المعتز هو المطابقة ، وقد بدأ  
الحديث عنه بالإشارة إلى كلام الخليل والأصمعي في معنى المطابقة ، فقال :  
قال الخليل رحمه الله يُقال : طابقت بين الشيئين ، إذا جمعتهما على حدو  
واحد ، وكذلك قال أبو سعيد (٢) .

ثم ذكر مثالا للمطابقة مبينا موضعها ، فقال : فالقائل لصاحبه :  
أتيفاك لتسلك بنا سبيل التوسع ، فأدخلتنا في ضيق الضمان ، قد طابق بين  
السعة والضيق في هذا الخطاب (٣) .

ويفهم من هذا الكلام أنه يشير إلى مفهوم المطابقة بأنها الجمع بين  
المعنى وضده ، وليس المقصود بها جمع أى كلامين .

ويفهم هذا من تحليله لمثال آخر حيث يقول : قال عيسى بن طلحة  
لعروة بن الزبير حين ابتلى في رجله : إن ذهب أهونك علينا ، فقد بقي  
أعزك علينا ، فطابق كما ترى بين العز والهوان (٤) .

---

(١) أمرار البلاغة ١٠٠/١

(٢) (٤٣٣) البديع : ٣٦



### مع أمثلة المطابقة :

ضرب ابن المعتز أمثلة للمطابقة من القرآن والحديث والنثر والشعر ،  
فمن القرآن الكريم قوله تعالى (١) : « ولکم فی القصاص حياة » (٢) ، ومن  
الحديث الشريف قوله ﷺ للأفصار : « إنکم لتکثرون عند الفرع  
وتقلون عند الطمع » (٣) .

وواضح أن الطباق في الآية السكرية بين قصاص وحياة ، وفي الحديث  
الشريف بين تكثرون وتقلون .

ومن الأمثلة النثرية قول علي رضي الله عنه : إن أعظم الذنوب ما صغر  
عند صاحبه (٤) ، والطباق بين أعظم ، وصغر ، وهما لفظان مختلفان في الصياغة  
قالا أول اسم ، والثاني فعل .

ومن الأمثلة الشعرية قول طفيل الغنوي .

بساهم الوجه لم تقطع أباجله

يضان وهو ليصوم الروح مبذول (٥)

وقول البحتري :

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها      وريق الغيث أحياناً يياكيها (٦)

---

(١) البقرة : ١٧٩

(٢،٣) البديع : ٣٦

(٤) البديع ٣٧

(٥) البديع : ٣٩

(٦) السابق : ٤٤



والطباق في البيت الأول بين يسان ومبذول ، وفي البيت الثاني بين  
يضاحكها ويياكها .

ومن الأمثلة التي ذكرها قول عبد الله بن الزبير الأسدي :

رمى الحدثان نسوة آل حرب  
بمقدار سمدن له سموداً  
فرد شعورهن السود بيضاً  
ورد وجوهن البيض سوداً

والطباق في البيت الثاني بين السود والبيض ، وقد جعل المتأخرون  
هذا البيت شاهداً « للعكس والتبديل » ، حيث وقع ذلك بين شطريه ،  
وهو لا يتعارض مع المطابقة ، لأن معنى العكس والتبديل على تقديم جزء  
في الكلام ، ثم تأخيره على ما قدم عليه (١) .

وبعض الأمثلة التي ذكرها قد دخل في طباق السلب كقول أبي  
العتاهية :

لا قلني على التي فتنني وأرتني القبيح غير قبيح (٢)  
فبين قبيح وغير قبيح مطابقة عرفت عند البلاغيين بامم طباق  
السلب

ومن الأمثلة التي ذكرها ما يدخل تحت المقابلة التي عرفها البلاغيون  
من بعده ، وجعلها أبو هلال من ألوان البديع (٣) .

---

(١) ينظر بغية الإيضاح : ٢٦/٤

(٢) البديع : ٤٤

(٣) الصناعتين : ٢٦٤



وذلك كقول أبي تمام :

فيم الشماة إعلافاً بأسدوغى أفناهم الصبر إن بقاكم الجزع (١)

وكقول النمرى :

وسعودهن طوالع ونحو سهن أفول (٢)

ففي البيت الأول مقابلة بين أفناهم الصبر وبقاكم الجزع ، وفي البيت الثانى مقابلة بين شطرى البيت ، فالبيتان من الأمثلة التى قول فيها بين معنيين ومعنيين مضادان لها .

### المطابقة المعية :

وذكر ابن المعتز أمثلة للمطابقة المعية ، منها قول الأخيطل :

قلت المقام وناعب قال النوى فقصيت أمرى والمطاع غراب  
وعلق عليه بقوله : وهذا من غث الكلام وبارده (٣) .

وقول بعض الشعراء فى القاسم بن عبيد الله :

من كان يعلم كيف رقة طبعه هو مقسم أن الهواه ثخين (٤)

ولم يذكر ابن المعتز السبب الذى جعلها معية ، وبالنظر فيها نرى أن الشاعر الأول طابق بين المقام والنوى ، والعصيان والطاعة ، والثانى طابق بين رقة وثخين ، والتكلف فيهما ظاهر « حيث تعمد كل من الشاعرين الإتيان بالالفاظ المطابقة من غير نظر إلى قيمتها المعنوية .

ومذهب « ابن المعتز ، فى جمال البديع يقوم على مجيئه عفويّاً من غير قصد ولا تعمل ، ويكون له أثر فى تقوية المعنى ، وتحسين الأسلوب (٥) .

(١) البديع : ٤٢ (٢) السابق : ٤٣ (٣) السابق : ٤٦

(٤) السابق ٧ : ٤ (٥) ينظر البديع : ٣٤ ، ١



٤ — رد الأعجاز على ما تقدمها :

وهو الباب الرابع من أبواب البديع عند ابن المعتز ، ولم يشر أحد من العلماء قبله إلى هذا اللون ، فالفضل له في هذا الباب خالص ، فهو صاحب مصطلحه ، وتقسيمه ، وانتقاء أمثلته (١) .

وقد قسم ابن المعتز هذا الباب إلى ثلاثة أقسام (٢) :

الأول : ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول ، كقول الشاعر :  
تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما      وليس إلى داعي الندى بسريع

والثاني : ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقول الشاعر :  
سريع إلى ابن العم يلطم خده      وليس إلى نادی الندى بسريع

والثالث : ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر :  
عميد بنى سليم أقصده      سهام الموت وهى له سهام  
وبعد هذا التقسيم أخذ في ضرب أمثلة له من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وشعر القدماء والمحدثين .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى : (٣) د انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض  
وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، (٤) .

ومن الحديث الشريف قوله ﷺ : من مقت نفسه فقد آهنه الله من مقتته (٥) .

---

(١) ينظر الصبغ البديعي : ١٣٤ (٢) ، (٤) ، (٥) ، (٦) البديع : ٤٨ ، ٤٧

(٣) الإمراء : ٢١



ومن الشعر قول طفيل :

محارمك امنعها من القوم انثى  
أرى حقبة قد ضاع فيها المحارم (١)  
وهو من القسم الثاني في هذا الباب .

وقول بشار :

طلوب ومطلوب إليه إذا غدا  
وخير خليلك المطلوب المطلب (٢)  
وهو كسابقه من القسم الثاني .

المعيب منه :

وساق ابن المعتز أمثلة للمعيب من هذا الباب ، ومنها قول ذى نواس البجلي :  
يقيمنى برق المباسم بالحمى ولا بارق إلا الكريم يقيمه  
وعلق عليه بقوله : وهذا قد جمع على غثائته بابين من بديع الكلام ،  
وهما هذا الباب ، وباب الاستعارة .

والاستعارة في لفظ «برق» ، وردا لأعجازين آخر كلمة في البيت وأول  
كلمة فيه ، وهو من القسم الثاني ، وقد حكم ابن المعتز على البيت بأنه معيب ،  
ولم يذكر سببا لذلك .

وبالتأمل في البيت نرى أن الشاعر استعار البرق لبياض الثغور عند  
التبسم وهي استعارة بعيدة . كما أنه آخر الفعل «يقيمه» ليتحقق لورد المعجز  
على الصدر ، فأحدث خللا في نظم الكلام ، ومن هنا كان البيت غثا باردا .



٥ — المذهب الكلامي :

وهو الباب الخامس من أبواب البديع وقد ذكر ابن المعتز في مطلع حديثه عنه أنه نقله عن الجاحظ ، وحكم عليه بالتكلف ، فقال : وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ ، المذهب الكلامي ، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً ، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (١) .

والناظر في كتب الجاحظ ورسائله المعروفة لا يعثر على إشارة إلى المذهب الكلامي ، أو ذكر لاسمه (٢) .

وقد سار أبو هلال (٣) على ما ذكره ابن المعتز ، وذكر قوله السابق ولم يسق له شاهداً من القرآن الكريم .

ولكن المتأخرين من البلاغيين وقفوا من هذا اللون موقفاً آخر ، فقالوا في تعريفه : هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام (٤) ، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب ، وساقوا له أمثلة من القرآن الكريم كقوله تعالى : «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدوا» (٥) وغير ذلك .

وقد ذكر ابن المعتز لهذا الباب أمثلة ثرية وشعرية ، فمن النثر قول عمر ابن الخطاب لعبد الله بن عباس : من ترى أن نوليّه حمص ؟ قال : رجلاً صحيحاً منك ، صحيحاً لك ، قال : كن أنت ذلك الرجل . قال : لا يفتفع مع بي سوء ظني في سوء ظنك بي (٦) .

ومن الشعر ، قول الفرزدق (٧) .

---

(١) البديع : ٥٣ (٢) البلاغة عند الجاحظ : ١٠٣

(٣) ينظر الصناعتين : ٣٢٦ (٤) بغية الإيضاح : ٥٠ ، ٤٠

(٥) الأنبياء : ٢٢ (٦) البديع : ٥٤



لكل امرئ نفسان نفس كريمة  
ونفسك من نفسك تشفع للندي  
وأخرى يعاصيها الفتي ويطيعها  
إذا قل من أحرارهن شفيها

وقول ابن المعتز نفسه :

أعرفت في الكتان وذاك مني دهاني  
كنت حبك حتى كتمته كتماني  
ولم يكن لي بد من ذكره بلساني (١)

والمأمل في الأمثلة التي ذكرها للمذهب الكلامي يفهم أنه يريد به استعمال طريقة المتكلمين في الاحتجاج ، وإثبات الكلام بالأدلة :

المعيب منه :

ومثل ما ابن المعتز ، للمعيب من المذهب الكلامي بأمثلة منها قول الشاعر (٢) :

نعم منك كانت مثل لا إذ بلوتها  
فما لنعم عندي على لاء من فضل

ويظهر فيه التكلف ، والتعافر المؤدى إلى الثقيل ، والابتذال في الألفاظ .

وبهذا الباب ينتهي كلام ابن المعتز ، في أبواب البديع الخمسة ، لينتقل منها إلى الحديث عن محاسن الكلام والشعر .

وهذه المحاسن التي تحدث عنهم فيها العلماء من بعده إلى أبواب البديع ، ولم يقتصروا على الأبواب الخمسة التي ذكرها ، وهذا لا يضير ابن المعتز ،



في شيء ، فقد ترك الباب مفتوحاً لمن جاء بعده ، فقال : فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا فله اختياره (١) .  
ونسير مع « ابن المعتز » في محاسن الكلام والشعر ، فنجدده قد ذكر منها ثلاثة عشر لوفاً .

#### ١ — الالتفات :

وهو عند « ابن المعتز » على نوعين ، (٢) :

الأول : انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما شابه ذلك .

والثاني : الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر .

فمن الأول قوله تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة » .

ومن الثاني قول جرير :

حتى	كان الخيام بنى طلوح	سقيت الغيث أيتها الخيام
أتفسي يوم	تصقل عارضها	بعود بسامة سقى البشام

ونلاحظ أن النوع الأول هو الالتفات المعروف عند المتأخرين ، والآية التي مثل بها « ابن المعتز » فيها الالتفات من الخطاب إلى الغيبة .

أما النوع الثاني فهو نوع من الاعتراض ، وقد حكاها الأصمعي على أنه الالتفات ، ومثل يقول جرير السابق (٣) .

(٢) السابق : ٤٨ ، ٥٩

(١) السابق : ٥٨

(٣) ينظر العمدة : ٤٤/٣



### ٢ — الاعتراض :

وتحدث عنه « ابن المعتز » فقال : ومن محاسن الكلام والشعر ، اعتراض  
كلام في كلام لم يتم معناه ، ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد (١) .  
ومن أمثله قول كثير :

لو أن الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا  
والاعتراض في قوله « وأنت منهم » .

### ٣ — الرجوع :

وقد عرفه بقوله : هو أن يقول شيئاً ويرجع عنه ، كقول بشار (٢) :  
نبئت فاضح أمه يغتابني عند الأمير وهل عليه أمير  
والرجوع هنا في قوله : وهل عليه أمير .

### ٤ — حسن الخروج :

والمقصود به عند « ابن المعتز » حسن الخروج من معنى إلى معنى (٣) ،  
ومن أمثله قول السموءل :

ولما لقوم ما ترى القتل سببة إذا ما رأته إعامر وسلول

---

(١) البديع : ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) السابق : ٦٠ .

(٣) السابق : ٦٠ ، ٦١ .



وحسن الخروج في البيت يمثله الشطر الثاني، وقد بحثه أبو هلال تحت اسم الاستطراد وقال في تعريفه : أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يعرفه يأخذ في معنى آخر ، وقد جعل الأول سبباً إليه (١) .

#### ٥ — تأكيده المدح بما يشبه الذم :

ولم يعرفه « ابن المعتز » وإنما مثل له بقول النابغة الذبياني (٢) :  
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم      بين فلول من قراع السكائب  
وقول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه      جواد فما يبقى من المال باقيا  
فلاستثناء الواقع بعد الجملة الأولى في كل من البيتين يوهم أن الشاعر مقبل على انتقاص الممدوح في ناحية ، ولكنه يأتي بعده بصفة مدح على عكس المتوقع ، فيتأكد المدح الأول بذلك .

#### ٦ — تجاهل العارف :

ومن أمثله عند « ابن المعتز » قول زهير (٣) :  
وما أدري وسوف إخال أدري      أقوم آل حصن أم نساء  
فقد أخرج الشاعر ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ، ليزداد كلامه تأكيذاً .

(١) الصناعتين : ٣١٦ .

(٢) البديع : ٦٢ .

(٣) السابق : ٦٢ .



٧ — الهزل الذي يراد به الجحد :

ومن أمثله عند قول أبي العتاهية (١) :

أرقبك أرقبك بسم الله أرقبك      من يخل نفس لعل الله يشفيها  
ما سلم نفسك إلا من يتاركها      وما عدوك إلا من يرجيها

٨ — حسن التضمن :

ومن أمثله عند قول الأخيطل (٢) :

ولقد سما للخرمي فلم يقل      بعد الوغى : لكن تضايق مقدمي  
فالشاعر في هذا البيت ضمنه بعضا من بيت عنترة العبدس وهو قوله :  
إذ يتقون بي الأسنة لم أحم      عنها ولو أني تضايق مقدمي

٩ — التعريض والكناية :

ومن أمثله ، قال علي رضي الله عنه لعقيل ومعه كبش له : أحدها الثلاثة  
أحق ، فقال عقيل : أما أنا وكبشي فعاقلان (٣) .

ومنها قول بشار :

وإذا ما التقى ابن أعيا وبكر      زاد في ذا شعر وفي ذاك شعر

وعلق عليه فقال : أراد أنهما يتبادلان (٤) .

(٢) السابق : ٦٤ .

(٤) السابق : ٦٧ .

(١) السابق : ٦٣ .

(٣) السابق : ٦٤ .



ونلاحظ أنه جمع التعريض والكناية في باب واحد ولم يفرق بينهما ،  
وقد سار على منهجه أبو هلال (١) .

١٠ — الإفراط في الصفة :

وهو يقصد به المبالغة ، ومثل لهذا الباب بأمثلة منها قول أبي نواس :  
ملك أغمر إذا احتى بنجاده غمر الجماجم والسماط قيام  
وأشار إلى أن بعض الشعراء يسرف في المبالغة حتى يخرج عن المقبول ،  
فقال : ثم أسرف الخشعي حتى خرج عن حد الإنسان ، فقال :  
يدلى يديه إلى القلب فيستقى في سرجه بدل الرشاء المكرب (٢)

١١ — حسن التشبيه :

وقد مثل له بأمثلة كثيرة ، وقال في أول حديثه عنه : نبدأ بإمام الشعراء ،  
قال امرؤ القيس :

ومسرودة السك موضوعة تضامل في الطي كالمبرد  
تفيض على المرء أردانها كفيض الآتي على الجدد

وذكر نماذج أخرى من تشبيهاته ، ثم ذكر بعض تشبيهات الصابغة  
وزهير وغيرهما من القدماء والمحدثين .

وكانه يرى أن امرؤ القيس رائد هذا الفن في الشعر العربي القديم ،  
وقد أفاض ابن المعتز ، في ذكر الأمثلة الجيدة من التشبيهات على خلاف  
ما عهد عنه في الأبواب السابقة من محاسن الكلام .



ولا يغيب عنا في هذا الموضع أن تشير إلى أنه من الشعراء المشبهين ،  
وأن تشبيهاته قالت حذا وافرًا من استحسان النقاد ، وإعجابهم ، وقد ساق  
الإمام عبد القاهر كثيرًا منها (١) .

#### ١٢ — إعانات الشاعر نفسه في القوافي :

وهذا اللون عرف عند المتأخرين بلزوم ما لا يلزم ، وقال ابن المعتز  
عنه : ومن إعانات الشاعر نفسه في القوافي ، وتكلفه من ذلك ما ليس له  
قول رافع بن هريم اليربوعي :

فإلا تحاموني تصبكم بعصرة      مفارقتي أو تقبسوا من شراريا  
إذا صار لوني كل لون وبدلت      فضارة جهى مخضبا باصفراريا  
فسرى كإعسلاني وتلك سيجيتي      وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا  
فالشاعر قد ألزم نفسه في قافية البيت بما لم يشترطه علماء العروض ،  
وهذا يزيد من الوقع الموسيقي للقصيدة .

#### ١٣ — حسن الابتداءات :

ومن أمثلته قول النابغة (٢) :

كلني لهم يا أميمة فاصب      وليل أقاسيه بطيء الكواكب  
وهذا اللون من محاسن الكلام ينتهي كتاب « البديع » ، وقد رأينا من  
الجملة التي أمضيناها في رياضه أنه قد حوى ثمانية عشر لونا من ألوان البديع ،  
وإن كان « ابن المعتز » قد أطلق لفظ « البديع » على الألوان الخمسة الأولى ،  
وأطلق على بقية الألوان محاسن الكلام والشعر :

(١) ينظر أسرار البلاغة : ١ / ١٩٨ وما بعدها

(٢) البديع : ٧٥



وهناك ألوان أخرى وردت في كتب السابقين على « ابن المعتز » ،  
كالسجع ، والازدواج ، وأسلوب الحكيم ، وغيرها ولم يعرض لها « ابن  
المعتز » في كتابه وهذا لا ينقص من قدر كتابه ، فقد كان — كما قال — يهدف  
إلى تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى فنون البديع ، وفيما  
ذكره من ألوان دليل على ما قصده وهدف إليه .

كما أنه لم يدع أنه أحصى كل فنون البديع ومحاسن الكلام ، بل ترك  
الباب مفتوحا أمام الباحثين لإضافة ما يرون من ألوان .

وبعد أن انتهينا من استعراض كتاب « البديع » وتحليل موضوعاته  
علينا أن ننتقل إلى القسم الثاني من هذا البحث .



## ثانيا : بين التأثر والتأثير

مصطلح «البديع» ليس جديداً في كتاب «ابن المعتز»، ولكنه عرف قبل ذلك، وأطلق على الألوان المستطرفة، والفنون الساحرة في الأسلوب، من استعارة، وتشبيه، وتجنيس، ومطابقة.

ويذكر «أبو الفرج الأصفهاني»، أن «سلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨ هـ كان أول من أطلق هذا الاسم، فيقول: وهو — يعني مسلماً — فيما زعموا، أول من قال الشعر المعروف بالبديع، هو لقب هذا الجنس البديع واللطيف، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي، فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه (١).

ويرى الجاحظ أن الرواة هم أول من أطلقوه، فيقول معلقاً على بيت الأشهب بن رميلة:

هم ساعد الدهر الذي يتقى به  
وما خير كف لاتنوء بساعد

قوله: هم ساعد الدهر، إنما هو مثل، وهو الذي تسميه الرواة البديع (٢).

كما يرى الجاحظ أن الشعراء المحدثين قد احتذى بعضهم ببعض فيه، فيقول:

وكان العتابي يحتذى حذو بشار في البديع، ولم يكن من المولدين

---

(١) الأنبي: ١٩ / ٣١

(٢) البيان والتبيين: ٤ / ٥٥



أصوب بديعا من بشار وابن هرمة (١) ، ويقول : والراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره فى البديع (٢) .

ومن دفاعه عن العرب ولغتهم جعل البديع من خواصهم فقال : والبديع مقصور على العرب ، ومن أجمله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان (٣) .

« وابن المعتز ، نفسه يعترف بأن هذه التسمية ليست من ابتكاره ، وإنما هى من وضع المحدثين ، وقد كانت هذه الفنون موجودة فى الشعر العربى القديم ، ولكنها لم تعرف بهذا الاسم (٤) .

ونرى مما سبق أن « ابن المعتز » لم يؤلف كتابه من فراغ ، ولكنه كان مسبوقا بإشارات إلى « البديع » وبعض ألوانه ، وهو من غير شك قد طالع ما كتبه سابقوه ، وتأثر بهم ، كما أنه قد ترك أثرا كبيرا فىمن جاء بعده ، وهذا ما سنبينه فيما يلى :

#### ١ — تأثره بالسابقين :

من أول الذين تأثر بهم « ابن المعتز » متقدموا اللغويين ، كالخليل بن أحمد ، والأصمى ، وقد استشهد أكثر من مرة بكلاهما (٥) .

كما تأثر كثيرا بالجاحظ ، الذى نشر فى كتابيه « البيان والتبيين » ، والحيوان ، كثيرا من مسائل البلاغة .

---

(٢) السابق : ٤ / ٥٦

(١) السابق : ١ / ٥٥

(٤) ينظر البديع : ١ ، ٥٨

(٣) السابق : ٤ / ٥٥

(٥) ينظر البديع : ١٠ ، ٢٥ ، ٣٦



فلقد سبق الجاحظ إلى الحديث عن الاستعارة ، والتعريض والكناية ،  
والتشبيه ، وجودة الابتداء وهي من الأبواب التي تحدث عنها  
« ابن المعتز » .

وصرح « ابن المعتز » في كتابه أنه تبع الجاحظ في « المذهب الكلامي »  
وهو الباب الخامس من أبواب البديع الذي ذكرها « ابن المعتز » (١) .

ومما لا شك فيه أنه قد استفاد من كتابات « ابن قتيبة » و « المبرد » وهما  
من مشاهير العلماء في عصره .

وقد عرض « ابن قتيبة » لبعض الألوان التي ذكرها « ابن المعتز »  
كالاستعارة ، والكناية ، والمبالغة ، كما عرض المبرد لبعض الألوان ،  
وخاصة التشبيه الذي أفاض في الحديث عنه .

#### بين ابن المعتز و ثعلب :

كان أحمد بن يحيى « ثعلب » المتوفى سنة ٢٩١ هـ أستاذ « ابن المعتز »  
الأول ، وكان « ابن المعتز » يعتز بتلفظه على « ثعلب » ، وظل يكن له الود  
ويعترف له بالفضل ، ويراسله حتى في أشد ساعات الحرج وهو بين  
جدران السجون .

وتروى لنا كتب الأدب الأرجوزة التي كتبها « ابن المعتز » من  
سجنه إلى أستاذه « ثعلب » ، يبعثه شوقه إليه ، ويفصح له عن مدى تعلقه  
به ، وهو يقول :

ما وجد صاد بالخيال موثق

---

(١) البديع : ٥٣



بماء مزن بارد مصفق  
بالريح لم يكدر ولم يرق  
جادت به أخلاق دجن مطبق  
بصخرة إن تر شمساً تبرق  
ماد عليها كالزجاج الأزرق  
صریح غيث خالص لم يمدق  
إلا كوجدى بك لكن أتقى  
يا فاتحاً لكل باب مغلق  
وصيرفياً فاقداً للمنطق  
إن قال هذا بهرج لم ينطق  
إنا على البعاد والتفرق  
لنلتقى بالذكر إن لم نلتق (١)

وقد ألف «ثعلب» كتابه «قواعد الشعر» ، وبحث فيه عدداً من المسائل  
البلاغية ، والنقدية ، منها : التشبيه ، والكناية ، وسماها «لطافة المعنى» (٢) ،  
والاستعارة (٣) ، وحسن الخروج (٤) ، والمطابقة وسماها «مجاورة  
الأضداد» (٥) ، والجناس ، وسماها المطابق (٦) ، وغير ذلك .

ولم يشر «ثعلب» إلى تاريخ تأليف كتابه هذا ، ومن هنا اختلف العلماء  
حول تأثر «ابن المعتز» بكتاب «قواعد الشعر» لثعلب .

- 
- |                        |                      |
|------------------------|----------------------|
| (١) زهر الآداب : ٢١٧/١ | (٢) قواعد الشعر : ٤٢ |
| (٣) السابق : ٤٧        | (٤) السابق : ٥٠      |
| (٥) السابق : ٥٣        | (٦) السابق : ٥٦      |



فأستاذنا الدكتور أحمد موسى يرى : أن « ابن المعتز » سابق في  
تأليف كتابه ، حيث ألفه سنة : ٢٧٤ هـ ، وعلى هذا فلم يتأثر « بقواعد  
الشعر » (١) .

وأستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يرى عكس ذلك فيقول :  
« ابن المعتز من غير شك ، مدين لأستاذه « ثعلب » في « البديع » فنحن  
نكاد نجزم بأن « ثعلبا » ألف هذا الكتاب قبل أن يؤلف « ابن المعتز »  
كتاب « لأن « ثعلبا » عالم معمر ، ولو كان « ابن المعتز » سبقه بالتأليف ،  
لاستفاد من كتابه ، وأكثر من الحديث عن ألوان البديع (٢) .

ودليل أستاذنا الدكتور خفاجي يسهل الرد عليه ، إذ لا يتعين على  
اللاحق أن يستفيد من السابق ، كما أنه ليس شرطا على اللاحق أن يزيد  
على السابق .

ولو كان الأمر كما قال أستاذنا ، فيمكن أن نقول : إن « ثعلبا » تكلم  
في كتابه عن موضوعات لم يتحدث عنها « ابن المعتز » كفنون الشعر  
وقواعده ، ولو ألف « ابن المعتز » كتابه بعد كتاب « ثعلب » ، لاستفاد  
منه ، وذكر هذه الفنون وغيرها .

لقد صرح « ابن المعتز » في كتابه بأنه لم يجمع فنون البديع أحد قبله ،  
فلماذا اتهمه في هذا القول ، ولم يثبت لدينا عكسه .

وإذا كان « ثعلب » أول مؤلف في هذا الموضوع فكيف سكت على  
دعوى تلميذه ؟ ولم يكف به فيها ؟

---

(١) ينظر الصبغ البديعي : ١٣٨ .

(٢) ابن المعتز وتراثه : ٦٠٦ .



ويرد الدكتور حنفي شرف على هذا بدليل غير مقطوع بصحة ،  
فيقول : لعل « ثعلب » ، لم ير الكتاب ، أو رآه ولكنّه فهم أنّه يقصد أنّه  
أول من ألف تحت هذا الاسم لا أول مخترع ، وربما ظهر المؤلفان في زمن  
واحد ، فتكون الأسبقية للأستاذ (١) .

أما قول الدكتور حنفي شرف : لعله لم يره ، فشكوك فيه ، إذ يستبعد  
أن يخفى « ابن المعتز » عن أستاذه مثل هذا العمل ، وقوة الصلة بينهما ،  
ودوام المراسلة والاتصال حتى في أحلك الظروف تؤيد ما قلناه .

« و ثعلب » عاش بعد تأليف « البديع » سبع عشرة سنة ، ألم يتيسر له  
الاطلاع على الكتاب في هذه المدة الطويلة ؟ !

وهذه المدة التي عاشها « ثعلب » بعد ظهور « البديع » ليست كافية  
لأن يؤلف فيها « قواعد الشعر » وما هو أكبر منه ؟ .

والذي نريد أن فصل إليه : أنه لا ينبغي المغالاة في إثبات قائل  
« ابن المعتز » « بثعلب » حتى نسلبه فضله الكبير ، وأثره البعيد في بناء  
صرح البيان العربي ، في الوقت الذي لم نعر فيه على دليل قاطع بذلك .

والذي لا شك فيه أن بين الكتابين فروقا جوهرية يجب أن تشير  
إليها :

(١) أن كتاب « قواعد الشعر » « ثعلب » « تغلب عليه الصبغة النقدية ،  
حيث ألف للحديث عن الشعر وفنونه من مدح وهجاء ، ورثاء واعتذار ،  
وتشبيه وتشبيب .

و كتاب « البديع » « لابن المعتز » تغلب عليه الصبغة البلاغية ، فعماد  
الحديث عن فنون البديع ، ومحسنات الكلام .



(ب) يختلف كل من المؤلفين في بعض المصطلحات ، فتعجب يقول :  
« مجاورة الأضداد » ، وقد سماها « ابن المعتز » ، « المطابقة » ، وتعجب يقول :  
« لطافه المعنى » ، وقد سماها ابن المعتز « الكناية والتعريض » ، وتعجب  
يريد بالمطابق المجانس ، وقد فرق « ابن المعتز » بين اللوفين .

( ح ) كتاب « ابن المعتز » ، فياض بالشواهد الأدبية ، والأمثلة الجيدة  
من القرآن الكريم والحديث الشريف والنثر والشعر في القديم والحديث ،  
وكتاب « تعجب » فقير في هذه الناحية .

وعلى كل فالسكتاiban — مهما اختلف الباحثون حولها — لها قيمة  
كبيرة في قاريخ النقد والبيان ، وهما من أول الخطوات الرائدة في  
هذا الدرب .

### كتاب البديع والثقافة اليونانية :

الذي يطالع كتاب « البديع » ، يحكم عليه بأنه عربي في شكله ومضمونه ،  
فقد جمع فيه مؤلفه ألوانا من البديع ومحاسن الكلام ، كانت معروفة  
عند اللغويين والأدباء المتقدمين كالخليل بن أحمد ، والأصمعي ، وأبو عبيدة ،  
وغيرهم ، ولكنها كانت مبعثرة في ثنايا السكتب لا يجمعها مؤلف واحد .

وسار في كتابه على منهج أدبي ذوقى قوامه ضرب الشواهد ، وجمع  
الأمثلة ، وهو منهج يسير لا أثر فيه للفكر المنطقي ، ولا للثقافة اليونانية .

ولكن الدكتور طه حسين أثار شبهة حول كتاب « البديع » ، يرى فيها  
أن هذا السكتاب لم يسلم من أثر الغارة « الهلينية » ، ويبدو فيه أثر الثقافة  
اليونانية .

وقد ذكر ذلك في مقدمته لكتاب « فقد النثر » فقال : ... وجد منذ



منتصف القرن الثالث يسافان : أحدهما عربي محافظ ، لا يقرب الفلسفة اليونانية إلا في كثير من التحفظ والاحتراص ، والآخر يوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو .

على أن من الخطأ البين أن نعتقد أن البيان الذي نعتناه بالمحافظة قد سلم من أثر الغارة الهلينية ، فقد يكرن عجيبا على أقل تقدير أن يظهر أول كتاب في البيان العلمي في ذات الوقت الذي ظهرت فيه ترجمة « كتاب الخطابة » لأرسطو ، ومع ذلك فهذا الذي كان .

لقد ترجم حنين بن إسحاق « كتاب الخطابة » ، ومن المحتمل أن تكون هذه الترجمة قد ظهرت بعد وفاة الجاحظ ، أي في النصف الثاني من القرن الثالث ، لأن حنين بن إسحاق توفي سنة ٢٩٨ هـ ، في هذه الفترة عينها وضع أمير المؤمنين الشاعر النعمان بن المعتمر كتاب « البديع » .

لم أطلع على كتاب « البديع » ، هذا ولكن الذين نقلوا عنه أكثروا من ذكره كثرة تمكنا من تصوره ، فهو عبارة عن تعداد لأنواع البديع مع الاستشهاد لكل نوع منها بشواهد من كلام القدماء والمعاصرين لابن المعتمر ، ومع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض ، وهم يقولون إن ابن المعتمر أحصى في كتابه ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع ، من يدرمها في كتاب معاصره قدامة بن جعفر وفي كتب الذين جاءوا بعده يلاحظ فيها لا محالة أثرا يينا للفصل الثالث من كتاب « الخطابة » وبعبارة أدق ، للقسم الأول من الفصل الثالث . وهو الذي يبحث في « العبارة » (١) .

لقد أثار الدكتور طه حسين هذه المقولة من غير أن يطلع على كتاب « البديع » ، وساندها كثيرون ممن تعلموا عليه ، واعتنقوا آراءه ، ومنهم

---

(١) مقدمة نقد النثر : ١١ ، ١٢ .



الدكتور محمد مندور الذى اطلع على كتاب «البديع» وأجهد نفسه فى إثبات  
تأثر ابن المعتز بأرسطو ، ففى كتابه «النقد المنهجي» يقول : من أين أتى  
«ابن المعتز» بتلك الاصطلاحات ؟ .

يقول ابن المعتز : إنه لم يسبقه إلى ذلك أحد ، وأنه قد ألف كتابه سنة  
٢٧٤ هـ ولما كنا نعلم أن حنين بن إسحاق ، قد ترجم كتاب «الخطابة» لأرسطو ،  
عما يدل على أن هذا الكتاب قد عرفه العرب ، وليس بغريب أن يكونوا  
قد أحاطوا بموضوعه قبل ترجمة حنين . ومع ذلك نستطيع أن نرجع إلى  
نص أرسطو نفسه ، فنجد في الجزء الثالث من كتابه يتحدث عن «العبارة» ،  
وفيه يذكر الاستعارة ، والطباق ، والجناس ، ورد الأعجاز على ما تقدمها ،  
وهذه أربعة من الخمسة التى ميز بها «ابن المعتز» مذهب المحدثين ، وأما الخامس  
وهو المذهب الكلامي ، فقد ذكر ابن المعتز نفسه أنه قد أخذه عن الجاحظ  
وهو فى الواقع ليس من خصائص الصياغة الجديدة ، بل هو منهج  
عقلي (١) . . .

ويتحدث «مندور» عن الاستعارة ويقول إن تعريف ابن المعتز لها  
يكاد يكون تعريف أرسطو ، ويتحدث عن الطباق ويقول إن لفظة طباق ،  
ما هى إلا ترجمة للفظ اليونانية ، وابن المعتز — على الأرجح — كان يعرف  
تحليل أرسطو لهذا الوجه من البديع (٢) .

ثم يقول : وابن المعتز لم يقتصر على التعريفات والمقاسيم ، بل عداها  
إلى نقد المصيب من كل وجه من أوجه البديع التى ذكرها ، وهو فى هذا  
أيضا يشبه أرسطو الذى نجده فى نفس الفصل الثالث من «خطابته» ينتقد  
ما فى بعض الأمثلة من عيوب (٣) .

---

(١) النقد المنهجي : ٦١ ، ٦٢

(٢) السابق : ٦٣

(٣) السابق : ٦٥



### الرد على هذه الشبهة :

من قراءتنا لما كتبه الدكتور طه حسين في مقدمة « نقد النثر » نرى أنه يستند في دعواه إلى دليلين :

الأول : ظهور ترجمة « خطابه » أرسطو في عصر « ابن المعتز » على يد حنين بن إسحاق .

والثاني : موضوعات الكتاب ومحتواه .

وإذا نظرنا في الدليل الأول وجدناه لا ينهض للحجة لأمر :

١ — أن ترجمة « حنين » ، « للخطابة » لم يعرف تاريخها الحقيقي ، وهل كانت قبل تأليف « البديع » أو بعده .

٢ — أن وفاة حنين سنة ٢٩٨ هـ أو ٢٩٦ هـ لا تدل على أنه ترجم الخطابة قبل سنة ٢٧٤ هـ تاريخ تأليف « البديع » . فمن الجائز أن تكون الترجمة بعد هذا التاريخ ، والمدة الباقية في حياة حنين ، كافية لأكثر من هذا .

٣ — على فرض وقوع الترجمة قبل تأليف « البديع » ، هل كان فرضا على « ابن المعتز » أن يطالع على هذه الترجمة ؟ ؟ أليس من الجائز أن يكون « ابن المعتز » لم ير هذه الترجمة ؟ كما لم ير الدكتور طه حسين كتاب « البديع » ، مع أنه ظهر بتحقيق المستشرق الروسي كراتشكوفسكي سنة ١٩٣٥ .

ومن هذا نرى أن دليل الترجمة لا ينهض للاحتجاج به .

وإذا تأملنا الدليل الثاني وجدناه ساقطا لأمر :

١ — أن الدكتور طه حسين حكم على كتاب « البديع » قبل أن يطلع عليه ولا يصح الحكم على شيء إلا بعد رؤيته ودراسته بحيث يصبح الحاكم مؤهلا للحكم .



٢ — أن تصوره لكتاب «البديع» من خلال «نقد الشعر» لقدامة، وغيره قصور غير دقيق، حيث ذكر أن الكتاب عبارة عن تعداد لأنواع البديع، مع الاستشهاد لكل نوع منها...، ومع الموازنة بين هذه الشواهد بعضها وبعض، والذي يطالع «البديع»، لا يجد فيه هذه الموازنات التي تصورها القاضي.

٣ — أن حكمه على «البديع» من خلال «فقد قدامة»، وغيره، حكم خاطيء لأن منهج «قدامة» يختلف تمام الاختلاف عن منهج «ابن المعتز»، فمنهج قدامة عقلى محض، ومنهج «ابن المعتز» أدبى ذوقى.

وقد فرق الدكتور مندور بين المنهجين فقال: ابن المعتز، غير قدامة.. ابن المعتز يبدأ تفكيره من الوقائع والنظر فيها، وهو عربى صميم، سليم الذوق، يعرف الشعر العربى ويتذوقه.... وأما قدامة فعقليته شكلية صرفه، وهو لا يبدأ بالنظر فى الشعر، بل يكون أولا هيكلا لدراسته، ويحدد تقاسيمه، أو إن شئت فقل: إنه يصنع قطعة أثاث هندسية التركيب، ثم يأخذ فى ملء أدرأجهاء (١).

وبناء على هذا يتضح أن مقولة الدكتور طه حسين لا تستند إلى أدلة صحيحة، وهى شبهة لا أساس لها ولا دليل عليها.

وحينما ننظر فى كلام الدكتور مندور نرى أنه يستدل بنفس الدليلين السابقين دليل الترجمة ودليل الموضوعات.

ولكنه يختلف عن الدكتور طه حسين فى الدليل الثانى نتيجة لقراءته كتاب «البديع»، فقد أجهد نفسه فى المقارنة بين التعريفات والموضوعات ليثبت دعواه، وكلامه منقوض، بأمور:



١ — أن ألوان البديع التي تحدث عنها « ابن المعتز » موجودة في كلام العرب وعرفها اللغويون والأدباء من قبله ، وقد وردت على لسان الخليل والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم ، فهل تأثر هؤلاء بخطابة « أرسطو » ؟

٢ — أن ابن المعتز لم يدع أنه لم يسبقه إلى معرفة هذه الألوان أحد ، ولكنه ادعى أنه لم يسبق إلى جمع فنون البديع (١) . وهذا يدل على أنها كانت معروفة ولكنها غير مجموعة ولا منظمة في كتاب .

٣ — أن المنهج الذي سار عليه « ابن المعتز » في كتابه ، منهج بسيط لا أثر للمنطق فيه ، ولا يخضع لترتيب عقلي منقول عن اليونان .

٤ — إن القول بأن ابن المعتز نقل هذه الألوان عن «خطابة» أرسطو فيه تجريد لعلماء العربية وأدبائها من معرفتهم بخصائص لغتهم ، ومواطن الحسن والقبيح فيها .

ولقد فطن الشعراء في الجاهلية إلى معرفة جيد الشعر من رديئه ، وحسنه من قبيحه ... أيستبعد على « ابن المعتز » وهو شاعر وأديب ، أن يهتدى إلى معرفة المعيب من الشعر في لغته ، حتى يقلد في ذلك « أرسطو » ؟ ؟

يقول الأستاذ علي الجفندي مؤكدا وجود الجناس في العربية :

الجناس من البلاغات الفطرية التي تسرى على الألسنة بلا عمل ولا تكلف . وشواهد غزيرة في الأدب القديم والقرآن الكريم . . . . ولم نعر على شاهد واحد من الجناس اليوناني الذي تحدثوا عنه ، وأول من تحدث عنه الأصمعي ، ثم ابن المعتز ولا صلة لهما باليونانية ، (٢) .

---

(١) البديع : ٥٨

(٢) فن الجناس : ١٤ — ١٧



ولقد نفى الدكتور إبراهيم سلامة تأثر «ابن المعتز» بخطابة أرسطو فقال (١) : وعلى الرغم من أن كتاب «الخطابة» كان معروفاً في نهاية القرن الثالث الذي عاش فيه «ابن المعتز» فإننا لم نر على كتاب «البديع» أية مسحة من الترجمة أو أية لوثة من العقل الهليني . فالألوان التي ذكرها كلها مأخوذة مما نقل عن الشعراء ، والأدباء ، وهو فوق ذلك شاعر رقيق الحاسة ، واسع المحفوظ ، يستطيع أن يورد على النوع البديعي الواحد كثيراً من الشواهد والأمثلة .

ولقد تحدث المستشرق الروسي «كراتشكوفسكي» بهذه الحقيقة ، وبين أن التأثيرات اليونانية في البديع العربي لا يمكن الجزم بها بل من الصعب إثباتها فيقول : وما من شك أنه على صعيد الخلق الأدبي عامة ، لم يكن لأرسطو أي تأثير على الجاحظ أو أي كاتب عربي آخر في القرن التاسع (٢) ...

ويقول : فأسلوب ابن المعتز نفسه ، وسرعة الخاطر ، والبداهة في أعماله ، تتميز بشكل واضح عما نجده في أعمال فلاسفة اليونان (٣) .

ويقول : من الصعب إيجاد آثار للنفوذ اليوناني في نشوء البديع العربي . فقد ولد هذا الأخير في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأ فيها البديع اليوناني كل الاختلاف (٤) .

وأكد أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أصالة كتاب «البديع»

---

(١) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : ٨٢ وما بعدها

(٢) علم البديع والبلاغة عند العرب : ٥٩

(٣) السابق : ٥٨

(٤) السابق : ٢٣



وبين أنه من أوائل مؤلفات ابن المعتز ، وقد ألفت في مرحلة الشباب قبل أن يلم بثقافة أخرى سوى الثقافة العربية (١) .

وهناك دليل آخر يمكن الاستدلال به في دحض شبهة تأثر «ابن المعتز» بخطابة ، أرسطو ، وهو أن ابن المعتز قد أنكر على معاصريه تفاخرهم بالبديع ، وجمع لهم من الشعر القديم ما أثبت لهم أنهم لم يأتوا بجديد في مجال القول البديع ، وأظهر نخره بأنه أول جامع لفنون البديع ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد .

وكان من الطبيعي لو أنه تأثر بالثقافة اليونانية أن يهاجمه ، ويقولوا له وأنت أيضا لم تأت بجديد ، وإنما نقلت عن اليونان تراثهم ...

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم يصل إلينا .

ومن هنا نرى أن الأدلة الكثيرة التي قدمناها تظهر بجلاء تام أن كتاب «البديع» وليد ثقافة عربية خالصة جاءت من رافدين نهل منهما «ابن المعتز» :

الأول : تربيته في أحضان اللغويين والأدباء الذين كانوا عماد النهضة العلمية في هذا الوقت .

والثاني : صفاء أفكاره ، وجودة قريحته ، وتمتعه بالخيال والشاعرية ، وقدرته على الابتكار والتجديد .

ونتهي كلامنا في تفنيد هذه الشبهة بكلام الدكتور شوقي ضيف في



رده على ما أثاره الدكتور طه حسين : « إن كل ما فى كتاب « البديع »  
عربى خالص، وقد ألفه « ابن المعتز، ردا على من يلتمسون قواعد البلاغة  
فى المصنفات اليونانية ، والخارجين على قواعد العربية فى الشعر » (١) .

## ٢ — أثر « ابن المعتز » فى الدراسات البيانية :

حينما سبق « ابن المعتز » إلى وضع كتاب « البديع » كان قد غرس  
النواة التى نبتت منها رياض هذا العلم ، وآتت ثمرا جنيا فى ميادين الأدب  
والبيان والنقد .

ولقد أثر كتاب « البديع » فى الدراسات البيانية التى ظهرت من بعده ،  
وترك « ابن المعتز » بكتابه بصمات واضحة المعلم فى تاريخ البيان العربى .

وفى اللحات الوجيزة التالية نماذج من تأثر العلماء بكتاب « البديع » ،  
وهى من غير شك دليل قوى على أثره الكبير فى بناء صرح الدراسات  
البيانية .

## قدامة بن جعفر :

ألف قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ كتابه « نقد الشعر » ولم  
يصرح بالأخذ عن « ابن المعتز » ، ولكن المطالع لكتابيه يلحظ أنه عرف  
كتاب « البديع » واستخدمه واستفاد منه فى كتابه (٢) .

ويبدو أثر كتاب « البديع » فى « نقد الشعر » جليا واضحا ، فى مواضع

---

(١) البلاغة تطور تاريخ : ٧٠

(٢) علم البديع والبلاغة عند العرب : ٩٦



متفرقة ، فقد عرض « قدامة » للاتفات (١) ، والتشبيه (٢) ، والإستعارة ،  
وذكرها في المعازلة (٣) وأمثلةها مما ذكره « ابن المعتز » .

كما بحث « الاعتراض » تحت اسم « التتميم » (٤) والإفراط في الصفة  
تحت اسم « المبالغة » (٥) والطباق تحت اسم « التكافؤ » (٦) ، وتحدث عن  
المطابق والمجانس (٧) ، وهما يدخلان في باب التجنيس عند ابن المعتز .

ويفترق قدامة عن ابن المعتز باتباعه لمنهج عقلي صرف ، وانفراده  
بألوان أخرى كثيرة لم يذكرها صاحب « البديع » .

### الأمدي :

وجعل الحسن بن بشر الأمدي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ كتاب ابن المعتز  
من مصادره ، وثقل عنه في مواضع كثيرة من « موازنته » ،

فاستشهد بما قاله « ابن المعتز » في مقدمة كتابه عن سبق المتقدمين إلى  
فنون البديع ، وإكثار المحدثين منها ، وإسراف أبي تمام في سلوك هذا  
المذهب حتى أساء في بعض شعره (٨) .

وأشاد بفضل « ابن المعتز » وعلمه بالشعر . وحسن اختياراته

---

(١) بنظر نقد الشعر : ١٥٠

(٢) السابق : ١٢٤

(٣) السابق : ١٧٥

(٤) (٥) (٦) السابق : ١٤٤ — ١٤٧

(٧) السابق : ١٦٢

(٨) بنظر الموازنة : ١٨/١



في كتابه (١) ، واستند على أحكام « ابن المعتز » في حكمه بالقبح على بعض  
تجنيسات أبي تمام (٢) .

وأعجب الأمدى بمصطلح « المطابقة » عند « ابن المعتز » ، وعاب تسمية  
« قدامة » لهذا اللون بالتسكافؤ (٣) .

ومن هنا نرى مدى اعتداده بديع ابن المعتز وتأثره به .

### أبو هلال :

وقاثر الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى ٣٩٥ هـ بابن المعتز إلى حد  
بعيد ، ففي كتاب « الصناعتين » جعل أبو هلال الباب التاسع لفنون البديع ،  
وذكر فيه الألوان التي ذكرها ابن المعتز وزاد عليها كثيراً مما ذكره  
قدامة وغيره .

والأبواب التي أخذها أبو هلال من بديع ابن المعتز تكاد تكون  
صورة من أصلها ، في التعريف ، والأقسام ، والأمثلة ، وذكر  
المعيب (٤) .

وباب التشبيه عند أبي هلال فيه جل الأمثلة التي ذكرها ابن المعتز من  
التشبيهات الجيدة ، والتشبيهات المعيبة (٥) .

---

(١) السابق : ٢٣/١

(٢) السابق : ٢٨٦/١

(٣) السابق : ٢٩٢/١

(٤) ينظر الصناعتين في فصول : الإستعارة والمطابقة ، والتجنيس ،  
ورود الأعجاز ، وغير ذلك .

(٥) ينظر الصناعتين : ١٨٠ — ١٩٨



ولا تختلف طريقة أبي هلال في تناول أبواب البديع عن طريقة ابن المعتز . فهو يعرف اللون البديعي ، ويقسمه ، ويذكر له أمثلة من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر والنثر في القديم والحديث .

وعلى الجملة فأنر د ابن المعتز ، في د أبي هلال ، واضح تمام الوضوح ، ومن السهل إدراكه بمقارنة الأبواب المشتركة بينهما .

#### الباقلاني :

وتأثر أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ببديع د ابن المعتز ، حيث ذكر في كتابه د إيجاز القرآن ، كثيراً من الأمثلة التي أوردها ابن المعتز ، ونقل صراحة في حديثه عن المطابقة (١) والتجنيس (٢) .

#### ابن رشيق :

ومن المتأثرين إلى حد كبير بابن المعتز أبو علي الحسن بن رشيق المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ، ويظهر ذلك جلياً حينما عرض في كتابه د العمدة ، للألوان التي ذكرها د ابن المعتز ، فقد نقل عن ابن المعتز كثيراً من تعاريفه للألوان ، وشواهد لها (٣) .

وفي حديثه عن التصدير يذكر تقسيم ابن المعتز لهذا الباب ، ويذكر أمثله (٤) .

---

(١) ينظر الصناعتين : ١٨٠ - ١٩٨

(٢) ينظر إيجاز القرآن على هامش الإتيان : ١١٧/١ ، ١٢٠/١

(٣) ينظر العمدة : ٢٣٢/١ (٤) ينظر العمدة : ٣/٢



وفي تناوله للالتفات يدخل فيه الاعتراض ، ويقول ، وقد جعل  
« ابن المعتز » الاعتراض بابا على حدته بعد باب الالتفات (١) .

وفي باب الاستثناء يشير إلى أن ابن المعتز سماه « توكيد المدح  
بما يشبه الذم » (٢) .

ويسوق كلام « ابن المعتز » في المذهب الكلامي ... ثم يقول : وقد  
نقلت هذا الباب نقلا من كتاب عبد الله المعتز ... واضطررتني إلى ذلك قلة  
الشواهد فيه (٣) .

#### ابن منقذ :

وتأثر أسامة بن منقذ المولود سنة ٤٤٨ هـ في كتابه « البديع في نقد  
الشعر » بابن المعتز وصرح بذلك في مقدمة كتابه فقال : هذا كتاب جمعت  
فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر ، وذكر  
محاسنه وعيوبه ، فلمهم فضيلة الابتداع ، ولي فضيلة الاتباع ، والذي  
وقفت عليه ، كتاب « البديع » لابن المعتز ، وكتاب « الحالى » للحاتمي (٤) .

وبالمقارنة بين الأبواب المتشابهة في الكتابين نرى شواهد  
« ابن المعتز » تطل زاهية في كتاب « ابن منقذ » ، مما يدل على الاستفادة  
والتأثر .

---

(١) السابق : ٤٥/٢

(٢) السابق : ٤٨/٢

(٣) السابق ٤٨/٢

(٤) البديع في نقد الشعر : ٨



### ابن أبي الإصبع :

أما زكي الدين عبد العظيم بن الواحد المعروف بابن أبي الإصبع المصري ،  
المتوفى سنة ٦٥٤ هـ .

فقد تأثر في كتابيه « تحرير التحبير » و « بديع القرآن » ، إلى درجة  
كبيرة ببديع ابن المعتز وقد جعله إمام البديع ، وصرح بأن كتابه من  
المصادر التي اعتمد عليها (١) .

وسمى الأبواب التي وردت في كتابي « ابن المعتز » و « قدامة الأبواب  
الأصول (٢) .

وبدأ كتابيه بذكر أبواب « ابن المعتز » ، ولما فرغ منها أخذ في ذكر  
الأبواب التي أضافها « قدامة » (٣) .

هذا ، وقد ظل المتأخرون من البلاغيين ، ينهلون من معين « ابن المعتز » ،  
الفيض بالشواهد الأدبية ، فيسوقون أمثاله ، ويرددون شواهد  
في مؤلفاتهم .

ومن كل ما قدمناه نرى أن كتاب « البديع » أثر تأثيراً كبيراً  
في الدراسات البيانية ، وظل مصدراً هاماً للمؤلفين في علوم البلاغة (٤) ،  
ومن هنا كانت قيمة هذا الكتاب جليلة ، ومكافئته لا ينكرها باحث .

---

(١) ينظر بديع القرآن : ٥

(٢) السابق : ١١٤

(٣) السابق : ٦٤

(٤) ينظر علم البديع والبلاغة عند العرب : ٣١



### قيمة كتاب البديع :

بعد أن رأينا أثر كتاب « البديع » ، واطلعنا على تأثير البيانين به ، فإننا نستطيع بيسر أن نعرف قيمته ، ومكانته في تاريخ البيان العربي .

فهو أول مؤلف في البيان العربي على هذا النحر المنظم ، درس فيه « ابن المعتز » عناصر الجمال في الأسلوب العربي ، وجمع فيه محاسن الكلام التي ازدان بها كلام الفحول ، وترجع قيمة كتاب « البديع » إلى قاحيتين (١) .

الناحية البلاغية ، وذلك أنه أول كتاب ألف في البلاغة العربية على نحو منظم مفصل ، دون تشويش أو خروج عن موضوع التأليف .

والناحية النقدية : وذلك أنه أول كتاب تناول الأدب تناولاً فنياً ، وشرح بعض عناصر الحسن فيه ، وبه انتقل النقد إلى طور جديد ، هو طور العناية بالصورة وقد كان الجهد كله موجهاً إلى نقد المعاني والإشادة بقوتها ونفامتها .

وقد كشف « ابن المعتز » بهذا الكتاب عن ميزات المذهب الجديد في الأدب وهو مذهب البديع ، وحدد خصائصه (٢) ، ودعا أصحابه إلى التزام التوسط فيه والاعتدال في استعماله اقتداءً بالقدماء الذين كانت تجري هذه الفنون على أسفتهم من غير تعمل ، أو تسكف .

ويحاول بعض الباحثين أن يقال من قيمة كتاب « البديع » بدعوى أن

---

(١) مقدمة والنقد الأدبي : ٣٦

(٢) ينظر النقد المنهجي : ٦٠



الفنون التي تحدث عنها قد ذكرها العلماء السابقون ، ولم يكن لابن المعتز من فضل غير تخليص الأسماء والتعريفات تخليصاً جنى على تلك الفنون ودمغها بالشككية ، ووجه هم علماء البلاغة إلى ظاهر الدراسة الأدبية ، فتركوا اللب ، وأعجبوا بالجزئيات ، وأغرموا بالتزويد في الأسماء (١) .

وهذا الكلام يشتمل على قضيتين :

الأولى : أن فضل ابن المعتز ، ليس إلا في تخليص الأسماء والتعريفات .

والثانية : أنه بجمعه لهذه الفنون قد جنى على الدراسات البلاغية ووجهها إلى الشككية والاهتمام بالجزئيات . . .

وهذا الكلام مردود عليه بأمور :

١ — أن ابن المعتز ، لم يقف عند الفنون التي ذكرها السابقون واحكمه أضاف فنونا جديدة لم يسبق إليها ومنها : رد الأعجاز على ما تقدمها ، والاعتراض ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذي يراد به الجد ، وغيرها .

٢ — أنه لو لم يكن له إلا تخليص الأسماء والتعريفات كما زعموا لسكفاه لأنه من المعلوم أن العلوم لا تتقدم ولا تنهض إلا بعد تحديد مصطلحاتها وتعريفاتها ، ولو ظلت المصطلحات غير محدودة لما تقدم البيان العربي .

٣ — أن جمع ابن المعتز لهذه الفنون لا يؤخذ منه اهتمامه بالشكل ، ولا يحمله وزر الاهتمام بالجزئيات ، والتزويد من الأسماء ، لأنه في جمعه هذه الفنون قد اهتم بالمضمون وأكبر دليل على ذلك تحدّثه عن المعيب وإشارته إلى القبيح ، إذ أن العيب في استعمال هذه الفنون يأتي من الاهتمام بالشكل دون المضمون .

---

(١) أثر القرآن في تطور النقد العربي ٢٢٤ ، ومفهوم الاستعارة : ٥٢



ومنهج «ابن المعتز» في دراسة هذه الفنون منهج ذوقى يقوم على عرض الأمثلة ، وسوق الشواهد الكثيرة مما يساعد على تربية الملتصقات الأدبية ، وتنمية الحاسة النقدية ، وهذا من أهم أهداف دراسة علوم البلاغة .

وبعد : فإن الحقائق تنطق بأن لكتاب «البديع» قيمة كبيرة في تاريخ البيان العربى ، بمنهجة الذى رسمه لدراسة فنون البلاغة، وبتوجيه الأذهان للبحث المنظم فى الدراسات البلاغية ، وهذا ما جعل أثره قوياً مشاهداً فى جل كتب البيان العربى على مر العصور .

وبهذا نصل إلى نهاية بحثنا عن كتاب البديع وأثره فى الدراسات البيانية، ضارعين إلى الله عز وجل أن يسدد خطانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور / الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت  
مدرس البلاغة والنقد







# جَوْلَتِ وَرَأَى فِي سَعْرِ الْعُلَمَاءِ

الدكتور حلمي حسن أبو العز

مدرس الأدب والنقد  
في كلية اللغة العربية بدمهور



ليس شريفا على تراثنا العربي الحافل بضروب الفن ، وألوان المعارف والعلوم أن يتكشّف لنا فيه كل يوم جديد ، وأن تتراءى للباحثين فيه صنوف من الجلال العلمي والجمال الأدبي في شتى المجالات ، حتى إن الشيء لم يبدو جديدا مع قدم نشأته وبعد زمنه .

وموضوع بحثنا هذا عن شعر العلماء ، هو أحد الموضوعات الجديدة القديمة في وقت واحد إن صح هذا .

فلطالما قرأنا وعاشنا كثيرا من العلماء داخل مؤلفاتهم أو محاريب علومهم ومعارفهم ، وكنا نعجب دائما من كثرة ما حصله هذا العالم أو ذاك من مختلف العلوم والفنون ، حتى بدت جموعهم بمعارفهم المتعددة . وعلومهم المتباينة ، أشبه الأشياء بشمس هائلة ، تصدر عن كل قرص منها أشعة مضيئة ومتعددة ، وإن خرجت من أصل ضوئي واحد .

ولقد راقني أن أقنول أحد الجوانب الأدبية لدى نخبة من هؤلاء العلماء الأعلام . وهو الشعر بخاصة ، حتى أقمين ملاحمة الفنية ، وأتذوق بحسب الأدبي القواضع بعض ثمراته ، رغبة في الوقوف على ماهية هذا اللون الصادر من تباينت في مجالات المعرفة قدراتهم ، وغمرت بالإنجاد العلمية والمحصلات الفكرية حياتهم ، فبدا كل منهم أمة بمعارفه ، وموطنا يأوى إليه ذوو البصائر في مختلف الميادين .

وفي الحقيقة أن هناك شيئا آخر كان له نفس الدور والأهمية في دفعي إلى البحث في هذا المجال ، وهو ما قرأته وسمعته من بعض النقاد المحدثين عن سمات الضعف البادية في أشعار العلماء ، وحشد مغلوماتهم بالكثير من القواعد . أو المصطلحات ، أو الأحكام ، أو النظريات ، إلى آخر ما للعلماء به صلة ، مما يحول بينهم وبين اللحاق بفكرسان الحلبة ، من صفاعتهم الشعر دون سواه .



وما كدت أجمع غير قليل من المادة التي سأتناولها ، حتى راعني ما وجدته في تراثنا الجليل هؤلاء الأفاضل من أشعار ، بل من آيات منظومة في مختلف الفنون والأغراض ، صاغت يد صناع ، وشفقت — بجانب قدراتهم العلمية ومؤلفاتهم الفريدة في موادها وطرق معالجتها — عن مهارات في النظم ، وقدرة على الإبداع والابتداع أيضا لدى الكثير منهم في تجاربهم الشعرية ، حتى فاقوا بقرضهم كثيرا من منظومات المتخصصين في الشعر ، والمتفردين بعمله في مختلف العصور .

وفي الواقع أنني كنت أشعر بالنشوة الغامرة في كثير من الحالات التي كانت تقع فيها تحت بصرى إحدى التجارب الأدبية أو المنظومات الشعرية لأحد هؤلاء العلماء ، الذين تهيأت مواهبهم لاستيعاب هذا الحشد الهائل من العلوم والآداب على وجه سواء حتى أصبح من المؤلف أن أجد النادرة الشعرية ، أو الطارفة الأدبية المستملحة ، لإمام في الفقه ، أو عالم في النحو أو حاذق في الفلك ، أو بصير بأمور الطب ، أو رائد في الرياضيات ، أو في الفلسفة ، أو غير ذلك من المواد العلمية ، مما يؤكده لنا أنه لا مناقضة بين الفقه والأدب مثلا ، أو بين الشعر في سائر الاتجاهات ومختلف الأغراض مادام الفقيه أو العالم متشبعا من المادة العلمية أو الأدبية ، إذ إنه على قدر هذا التثبت والاستيعاب للمواد ، تكون القدرة على دوام الإعطاء والإنتاج ، واختيار الملائم من الألفاظ والعبارات للتعبير عن القصد وتوضيح الغاية إن كان الموضوع علميا ، أو الترجمة عن المشاعرواحساسيين عما يناسبها من الكلمات أو الجمل إن كان الموضوع أدبيا .

ومن الطريف أن جل متطوعات هؤلاء العلماء لم تلق اهتمام مؤرخي الأدب أو النقاد كما يجب أن يكون الاهتمام ، فظل الكثير منها مغمورا بين طيات الصحف والكتب ، تتجسد من خلالها ملامحهم ، وتسكاد تسمع من بين السطور استغاثتها للأخذ بيدها .



ولعل ذلك يرجع إلى تلك النظرة غير المستأنية التي درج النقاد على توجيهها إلى أشعار العلماء ورميهم بضعف الملكة الشعرية ، وتخلطهم في هذا الميدان عن مطاولة تلك الملكة المرموقة التي يحظى بها غيرهم من صنّاع القريض .

وعلى هذا ، فحسب المنظومة ضعفاً — في نظر هؤلاء النقاد — أن تكون لعالم ، أو أن يحتوى بيت فيها على هذه العبارة أو تلك مما غلب استعماله في أقوال العلماء ( شرعيين أو نقويين أو غيرهم .... ) .

ومن هنا نرى بجانب الإنصاف لأشعار العلماء ، إذ ليس مجرد استعمال عبارة فقهية ، أو لغوية .. الخ ، جديراً بإخراج أشعارهم عن تلك المدارات الفلسفية التي اصطفتها النقاد لأشعار الأدباء وحدهم .

فقد تغلب مادة من العلوم بذاتها على باقي المواد لدى النقيض أو العالم ، أو يكون اشتغاله بمادة علمية معينة أكثر من سواها ، فلا ضير عليه إذا ما تحركت موهبته الشعرية آنذاك تجاه خاطرة بذاتها ، أو غرض بعينه ، أن ينظم أو يسجل مشاعره ، بأي الألفاظ أو العبارات ، أو الصور والأخيلة التي يراها ملائمة لموضوعه أو أبياته ، دون تحفظ من ألفاظ خاصة أو اقتصار على جمل معينة ، أو حرص على عبارات دون غيرها ، أو التزام بأخيلة محددة ، فهو بهذا يفقد نظامه الروح ، ويبقى جسداً هزئلاً يترقب يوم البعث والنشور .

فالعبرة كما نرى ليست في إدخال عبارة أو أكثر من مادة العالم التي كان يعايشها وقت نظامه لأبيات قصيدته ، ما دام غيرها لا يفنى بمدلولها في توضيح غايته ، فمن الضرورة أن تترك آثارها في شعره ، وإنما العبرة بقدرة العالم أو الشاعر على الترجمة الصادقة لما يعتمل في نفسه تجاه هذا



الحديث أو ذاك ، بما يراه ملائماً للذوق الأدبي الرفيع من الأساليب وطرائق التعبير ، بأى الألفاظ أو العبارات شاء .

وبناء على هذا ، فأعتقد أنه لا يعد من النعيب الفنى ، ولا من المآخذ السيئة على هؤلاء العلماء وجود عبارة أو أكثر فى منظوماتهم تلفت النظر إلى معرفتهم بهذا العلم أو ذاك ، بل إن من حق العالم الشاعر أن يبدى فى بعض أبياته ما يشير إلى ملاحظه العلمية ، ويغبه الغافلين إلى سعة إداركه ، وتعدد مواهبه وثقافته ، وإن كنت لا أقصور حرص هؤلاء العلماء على مثل هذا الحق ، إذ تناسب تلك الإشارات البرقية ، أو العبارات العلمية صفواً فى منظوماتهم ، دون قصد منهم ، لغلبة هذه المسادة أو تلك عليهم ، وذلك أن لم يكن ميزة لهم فليس مأخذاً عليهم .

ومن هنا ، فلا يمكن أن نعيب مثلاً قول الفقيه الشافعى : حمد بن محمد بن إبراهيم البستي : (١)

تساح ولا تستوف حقلك كله  
وأبق فلم يستقص قط كريم  
ولا تغل فى شيء من الأمر واقصد  
كلا طرفى قصد الأمور ذميم

إذ ليس بالغريب على فقيه عالم بأحكام الشريعة أن يقتبس هذا المعنى من قول الله الحكيم : « ولا نجعل بك مغلولاً إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » (٢) .

---

(١) بقيمة الدهر — للتحفالى ج ٤ ص ٣٣٦

(٢) سورة الإمراء الآية ٢٩



كما لا نغيب على ابن القاهم الزمخشري قوله في عتبه على الزمن وتقديم  
من هو دونه عليه :

وأخرنى دهرى وقدم معشرى على أنهم لا يعلمون وأعلم  
ومذ أفلح الجهال أيقنت أفنى أفا الميم ، والأيام «أفلح أعلم ،

فإذا ما عرفنا أن «الأفلح» هو مشقوق الشفة السفلى ، وأن الأعلم ،  
هو مشقوق الشفة العليا (١) ، فإن من كان كذلك لا يستطيع أن ينطق  
بحرف «الميم» التى رمز بها «الزمخشري» إلى نفسه ، حيث يريد أن يقول :  
لأنه لم يعد حفيا بهذا الدهر الذى علت فيه الأسافل مع جهلهم ، وهوت فيه  
منزلة الأعالى مع علمهم ، فأصبح بهذا الوضع «المقلوب» نسيا منسيا ، وكأنه  
حرف الميم بين الشفتين المشقوقتين للدهر الجهول .

أقول : إننا مادما نعرف «الزمخشري» العالم بأصول اللغة ومخارج  
حروفها ، والعلامة فى النحو ، والبلاغة ، والأدب ، والتفسير ، فوق حذقه  
للشعر ، فإننا لا يمكن أن نعد هذه الألفاظ اللغوية مأخذا عليه ، أو قدحا  
فى شعره كما يقول النقاد . بل من الإنصاف للرجل أن يقال : إن تعبيره هذا  
وما احتواه من الخيال ، يعد من التشبيهات النادرة التى قد يعز على سواه  
من فحول الشعر صوغها بهذا الأسلوب .

وفى إطار هذا المعنى أيضا ، تطالعنا أبيات أخرى جيدة التعبير  
والتصوير لعالم الطب ، والرياضيات ، والفلك ، والهندسة ، والفلسفة  
أبى يعقوب الكندي يقول فيها (٢) :

أفان الذنابى على الأروى فغمض جفونك أو فكس

(١) انظر مادة «فلح» و «علم» فى كتب اللغة .

(٢) الحكم والأمثال — لابن سعيد العسكرى — ص ١٠٥



وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس  
فإن الغنى فى قلوب الرجال وإن التهور بالأنفس  
وإن تطعم النفس ما تشتهى تقشك جميع الذى تحشى

خير للعلماء وأفاضل الناس الاعتكاف والوحدة ، حتى لا تقع أبصارهم  
على ما فى الحياة من المهازل وقلب الأوضاع الصحيحة ، إذ علت الأذنان  
على الرقوس . وتبوا الأراذل أسمى المنازل فى مجتمعنا الإنسانى ، ولم يعد  
للصفوة من العلماء غير الاستئناس بالوحدة ، وابتغاء مساكنهم من لا تخفى  
عليه منزلتهم ومساكنهم سبحانه وتعالى .

ولو أننا نظرنا فى بيته الأخير لوجدنا تمرسه لعلم الطب ، واشتغاله به  
قد غلب عليه وقت إنشاده ، « فشخص الداء » و « أعطى الدواء » ، خلال  
هذا التشبيه الضمنى الجميل ، الذى يدعو إلى الإعجاب بصوغه وحسن تأتبه  
الألفاظ . وروعة ملامته للمعنى .

ومن هنا أيضا ، نرى أن من عدم الإنصاف رعى أشعاره بالضعف ،  
لإتيانه بمثل كلمات : « تطعم » و « تحشى » و « تقشك » ، إذ قرشد إلى عمله بالطب  
كما يشف تخيرها وحسن صوغها عن قدرات قل نظيرها عند من تفردوا  
وبفسح أردية القريض .

وعلى هذا ، فينبغى ألا نعيب كلمات : « الغربية » و « البر » و « البحر »  
و « القفر » و « الناس » و « الأرض » ، خلال ما يلى من أبيات مادام منشدها  
أحد العلماء الجغرافيين وهو : محمد بن عبد الله الإدريسي الأندلسى وذلك  
فى قوله (١) :

ليت شعرى أين قبرى ضاع فى « الغربية » عمري



لم أدع للعين ما تشاء      ستاق في « بر » و « بحر »  
 وخبرت الناس « والآر ض »      لدى خير وشر  
 لم أجد « جارا » ولا « دا را »      كما في طي صدرى  
 فكأنى لم أسر إلا      بميت أو « بقفر »

إذ لا تغفلنا تلك الكلمات في ظاهرها عن جلال معناها ، وجمال صوعها ومدى ملاءمتها دون غيرها في الوفاء بمقصود الشاعر ، حيث يشهد مصرع الوفاء بين الناس ، وتحول دون غايته غايات الآخرين .

وهكذا نجد أن هؤلاء العلماء قد عبروا عن أحاسيسهم بصدق وأدوا ما جال بخواطرهم في كلمات منظومة ، وأبيات جيدة الصوغ محكمة النسيج ، جذبتنا نحوهم ، وجعلتنا نعائش أحاسيسهم ومشاعرهم إلى حين ، دون أن يكون لإحدى الكلمات أو العبارات العلمية ، أو اللغوية أثر في الحيلولة دون بلوغ قصدهم إلى مشاعر غيرهم ، وحسبنا من العلماء ذلك ، وإلا فبماذا يمكن أن نحكم على من صناعتهم الشعر من بعض الفحول المتقدمين ، حين تبدو في منظوماتهم أمثال هذه التعبيرات الفقهية ، أو ما هو أكثر من تلك العبارات اقترابا من أقوال الفقهاء أو العلماء ؟

فلنقرأ — على سبيل المثال — قول الشاعر العباسي الشهير : محمد ابن عبد الله المهلبى ، حين يهجو إنسانا دفع إلى مصادقته فترة ثم تبين له لؤمه ، وضعة نفسه ، فأعرض عنه وقال مخاطبا إياه (١) :

ما كنت إلا كلحم ميت      دعا إلى أكله اضطرار

إذ نجد الشاعر قد استغل تلك القاعدة الفقهية التي لا تبيح للإنسان أكل الميتة أو الجيفة إلا في حالة الاضطرار من أجل الحياة .

(١) النبيان لأبي البقاء العسكري — ج ٢ ص ٢٨١



أقول : إن المهمل قد استغل تلك القاعدة في هذا التشبيه الذي جسد الحاجة إلى مصادقته مع كراهيته له وبذنه فيه .

ثم لنقرأ قول حكيم الشعراء أبي الطيب المتنبي ، في إحدى مدائحه في عمر بن سليمان الشرابي (١) :

وزارك بي دون الملوك تخرجي

إذا عن بحر لم يحز لي التيمم

فهو يتجنب الحرج وفعل ما يلام عليه ، حين يخص سيف الدولة وحده بالزيارة ويعدل عن زورة من عداه ، لأنه البحر ، وغيره من الملوك قمام وتراب ، وهل يباح في وجود البحر تيمم ؟

إن المتنبي أيضاً يستغل تلك القاعدة الفقهية التي تبطل التيمم في حضرة الماء ليصوغها تلك الصياغة الرائعة في هذا التشبيه الضمني البليغ .

ثم لنقرأ بيتي الشاعر الهجاء : دعبل بن علي الخزاعي ( الذي لم يسلم من لسانه أحد ) حين يقول (٢) :

يأليت شعري كيف نوميكا      يا صاحبي إذا دمي سفكا  
لا تأخذنا بظلامي أحداً      قلبي وطرفي في دمي اشتركا

حين أوداه سهم الصباية لم يزد أن يظلم غيره في سفك دمه ، أو يشهد شاهد إلا على قلبه وعينه ، إذ ارتكبا وحدهما ذلك الجرم ، وجراه إلى ذلك المصير ، « وشاهدك قاتلاك » ، كما نعلم .

فهل يمكن أن نتهم أحداً من هؤلاء الفحول في شعره ، أو نقول

---

(١) دوان المتنبي ( شرح البرقوقي ) ج ٤ ص ٢١٣

(٢) الأغاني — الأصفهاني — ج ٢٢ ص ٧٧٨٢ ( دار الشعب ) .



إن أعمارهم تعد من أشعار الفقهاء لصياغتهم بعض الأحكام الشرعية في بعض الآيات ؟

أعتقد أنك توافقني على الإجابة بالنفي ، وإلا فأى حكم أيضا يمكن أن نطلقه على أشعار أبي الطيب المتنبي ، حين يأخذ معنى بيت لفقيه الشافعية : منصور بن اسماعيل ، ثم يصيغه في أحد أبياته ؟

فلنقرأ معاً قول الفقيه الشافعي (١) :

أقول إن سألوني عن سماحته      ولست ممن يطيل القول إن مدحا  
لو أن مافيه من جود تقسمه      أولاد آدم عادوا كلهم سمحا

ثم لنقرأ قول حكيم الشعراء (٢) :

لو فرق الكرم المفرق ماله

في الناس ، لم يك في الزمان شحيح

إذ لا يخفى ما بين ثلثي أبيات الفقيه وبين بيت المتنبي من وشائج القرى بل والانصهار في بوتقة واحدة .

فهل يرى بشعر المتنبي لهذا التضمين ، أو لأنه أخذ معنى يفته من الشاعر العالم دون أن يرميه بالضعف أو يعيبه لمجرد أنه شعر فقيه ؟ أرى أنك توافقني على الإجابة بالنفي هنا أيضاً .

وأعتقد أن هذا القدر من الأضواء كاف لتوضيح الرؤية تجاه ما تخيرناه من نماذج شعرية لبعض العلماء ، والأدباء ، وكيف طعمت بعض منظوماتهم بمصطلحات علمية ، أو أحكام شرعية ، أو قواعد نحوية ،

---

(١) التبيان ج ١ ص ٢٥٠

(٢) ديوان المتنبي ج ١ ص ٣٧٤



أو دلالات لغوية ، وغير ذلك مما له بالعلوم صلة حيث تدعو الحاجة إلى هذا عند الأديب . أو تغلب المهنة بذلك لدى العالم ، إذ لا ضير ولا حرج على أيهما في هذا ، مادامت الألفاظ والمعاني ليستا ماسكا لفئة دون غيرها أو أن للعلماء ما ليس للأدباء من وسائل التعبير والتصوير ، فالعبرة كاهنة فيما لدى الشاعر — عالما أو أديبا — من القدرة على تخيير الألفاظ وانتقاء العبارات ، وجودة الصياغة ، وملائمة التصوير ، وذلك لا يتأتى بغير تمكن الناظم وثبته من المادة ، فعلى قدر ثقافته وعمق معرفته ورسومه قدمه فيها وإلمامه بها ، تكون قدرته على الإبداع في النظم ، والسمو في الغاية ، ومواصلة الإعطاء .

وبناء على هذا ، فليس من حق الناقد أن يقذف المنظومة الشعرية بالضحالة أو بالضعف لأن قاضها من العلماء ، أو مجرد احتوائها على بعض الكلمات أو المصطلحات العلمية ، بنفس القدر الذي لا يبيح له الحكم بالجودة أو بالقوة على منظومة أخرى ، لأن صاحبها ليس من العلماء وإن تخللت أبياتها بعض العبارات أو المصطلحات مما سبق الحديث عنها ، وذلك لأن المهمة الحقيقية والمثالية للناقد هي أن يعمق النظر في النص ( للعالم أو الأديب ) فيعييه إذا ما بدت الكلمة أو العبارة المقتبسة نابية عن الذوق الأدبي السليم ، أو تهاوت من الضيف بين جارتها في البيت الشعري فأحدثت به هزة في المعنى ، أو اضطرابا في الفكرة ، أو خللا في الصياغة والتركيب ، وإلا حكم لصاحب النص بالجودة والشاعرية .

كل هذا دون تحيز لفئة ، أو لشخص ، أو سير وراء الهوى ؛ فذلك ادعى للحكم على الناقد ، أو له أيضا . من الآخرين .

وما دمننا في وياض الأدب — وما أجملها وأسعد القلوب بها — فلنخط



بضع خطوات في رحباتها الزاهرة النضرة ، ولنتأمل بخاصة فيما أفضاته  
وتعهدته أيدي علمائنا الشعراء ، حيث فتخير لهم بعض الجنى ، ونقطف  
من غراسهم المتباينة خير الثمار .

ولعل من أكثر الأغراض طرافة في منظومات العلماء هو : الاعتداد  
بالنفس ، أو ما يسمى بغرض « الفخر » لدى غيرهم من الشعراء .

إذ تجد للعلماء في هذا المقام أو الغرض الفنى ما يبين أقوال سواهم  
وأفكارهم ومعانيهم ، وأخيلتهم في نفس الغرض .

فعدنا بالشعراء أن يفتخروا ، أو يفاخروا بالنسب ، والجاه والغنى  
والشجاعة .. إلخ

ولكن ما نجد لعلمائنا الشعراء ، يسمو فوق هذه الغايات إذ يناون  
ياقوالهم عما يقلل من هيبتهم ، أو يخدش وقارهم ، ولا يصدر عنهم ما يخل  
بورعهم ومكانتهم بين سواهم ، فهم يفاخرون بفقرهم ، ويباهون بعلمهم  
ويكثرون من القول في الترفع بذواتهم ، وتحقير كل ما يعد غاية لغيرهم من  
ألوان المتع والنجيم والجاه في الحياة ،

فها هو ذا سليمان بن قبيصة بن يزيد بن المهلب ، يكتب إلى الخليل بن  
أحمد الفراهيدي — وكان سليمان من المحبين له ، والمقدرين لفضله وعلمه  
يستزيره إلى السند — حيث كان سليمان واليا عليها ، فيرفض الخليل طلبه  
دعوته ، ويكتب إلى حامل الدعوة من سليمان هذين البيتين :

أبلغ سليمان أنى عنه في سعة

وفي غنى غير أنى لست ذا مال

الرزق عن قدر ، لا الضعف ينقصه

ولا يزيدك فيه حول محال



وعندما بلغ قوله هذا سليمان ، أرسل إليه بهدية ومال كثير ، ولكن الخليل يردّها إليه ، وينشد قوله : - (١)

وخصلة يسكر الشيطان إن ذكرت  
منها التعجب ، جاءت من سليمان

لا تعجبن خير زل من يده  
فالكوكب النحاس يسقى الأرض أحيانا

إذ نرى الخليل بن أحمد في كفاية قائما برزقه المقدر له ، وأنه ليس بحاجة إلى عطاء مخلوق ، لأنه بعلمه في سعة وغنى عن ذوى الجاه حتى وإن افتقد المال ، أو عصب الحياة كما نقول .

وها هو ذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة (أحد الفقهاء السبعة في المدينة) يفض من الخليفة العالم الزاهد : عمر بن عبد العزيز ، وذلك حين يذهب إليه عبيد الله مستأذنا في الدخول عليه ، فيقفه الحاجب محيلا بينه وبين الدخول ، محتجا بأن الخليفة ينفرد بعبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان لأمر من الأمور ، فيعود عبيد الله إلى بيته ، ويكتب إلى عمر بن عبد العزيز أبياتا يقول فيها : (٢)

ولم يأمروا من يصفى الود يلفنى  
ولم تزلت داره دائم الوصل

(١) الأوراق - للصولي - قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ١٥ وفيه نسب هذان البيتان لاسماعيل بن سماعة في ذم والى الرقة : سليمان بن المنصور وفيه كلمة « وزلة » بدلا من كلمة « وخصلة » .

(٢) الأغاني ح ٩ ص ٣٢٦٤



عزير إخائي ، لا ينال مودتي  
من الناس إلا مسلم كامل العقل  
ولولا اتقائي الله قلت قصيدة  
تسير بها الركبان ، أبردها يغلي  
بها تنقضي الأحلاس (١) في كل منزل  
وينفي الكرى عنه بها صاحب الرحل  
كفاني يسير إذ أراك بحاجتي  
كليل اللسان ، ما تمر وما تحلى  
تلاوذ (٢) بالآبواب منى مخافة إل  
ملامة ، والإخلاف شر من البخل  
أبن لي ، فكن مثلي ، أو ابتغ صاحباً  
كمثلك ، إني تابع صاحباً مثلي

يقول الرواة : إن عمر لما أخبر بأبيات عبيد الله الفقيه ، تأثر تأثراً  
شديداً ، ثم بعث إليه عراك بن مالك ، وابن أبي خيثمة ، يعذرائه عنده ،  
ويقولان له بلسان عمر : إن عمر يقسم بالله ما علم بمجيئك ولا برد الحاجب  
إياك ، فأقبل عنده ، فعذره .

فأي تقدير من خليفة يطاول هذا التقدير لرجل مكفوف البصر ؟ إنه  
العلم وفضله ، وصدق الحق القائل : يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين  
أوتوا العلم درجات .

ثم لنعد إلى الآيات ، ولنتأمل قليلاً فيما قاله عبيد الله الفقيه للخليفة

---

(١) الأحلاس (جمع حلس) وهو ما يلي ظهر البعير أو الدابة

(٢) تلاوذ : تراوغ وتتهرب



فيها . أليست ترى معنى كيف استطاع هذا العالم ، أن يسلك بقصيدته مسالك المطبوعين من الشعراء ، فيتدرج بالفاظه ، ومعانيه ، وأخيلته ، في ترجمة مشاعره ، وتجسيد أثر فجيئته في نفسه ، إذ أمى تقديره من حاجب الخليفة ، ظاناً علم الخليفة بذلك ، ود إن بعض الظن إثم .

فقرأه في يتيه الأولين يرسم بعض خلاله وصفاته التي جعلها عنه الخليفة ، إذ لم يكن جديراً بأخوته ومودته غير المسلم الكامل العقل .

وهكذا ، وبهذا القدر من الغلظة والقسوة يجازى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، مقابل رفض حاجبه السماح له بلقاء عبيد الله الفقيه .

ثم يبدى نفسه في ثالث الأبيات ورابعها وهو يحاول كظم غيظه ، وكأنه لم يرق بالجزاء إلى ما يليق بفعل الخليفة ، حيث تحول خشية الفقيه من الله دون هجماء عمر ، بما ينفي الكرى ويقض المضاجع من الكلمات .

ثم تنساب الألفاظ القاسية ، والعبارات القارضة الموجهة في خامس الأبيات وسادسها ، موجهة إلى جسد الخليفة ، إذ يبيديه كليل اللسان ، قليل الخيلة أمام الحاجة اليسيرة ، وأن لقاء عمر به مع بخله كان أهو على نفس عبيد الله من تهربه منه وخشيته مواجهته .

وفي النهاية يختم أبياته بتلك النصيحة القاصمة التي لا يتحملها غير عمر بن عبد العزيز ، وظنى أنها لا تصدر آنذاك أيضاً إلا من عبيد الله الفقيه .

فأله در الخليفة عمر عبد العزيز ، حين سمع هذه الأبيات من الرجل ، فلم يأمر بعقابه ، وإنما يطلب منه الصفح وقبول العذر .

ولله در العالم الفقيه والشاعر المطبوع ، إذ لم يخش إلا الله فأعلن غضبته في هذه الأبيات ، التي حفظت للعلم ، وللعلماء في عصره مكانتهم .



وها هو ذا أيضاً : أبو القاسم الشاطبي ( الفقيه الزاهد ) يرسل إليه أحد  
أحد أمراء عصره رسولا يستدعيه عنده ، ليستفتيه في أمر ضاق به من  
حواله ، وكان الأمير قد علم مكانة أبي القاسم وفضل منزلته في العلم والقضاء ،  
فيرد الشاطبي ، رسول الأمير بورقة صغيرة ، طالبا إعطاءها لأمره ، بعد  
أن نظم فيها هذين البيتين :

قل الأمير مقالة من عالم نطق نبيه  
إن الفقيه إذا أتى أبوا بكلم لا خير فيه

فأى إعتداد بالنفس وإعتزاز بالعلم يسمو فوق هذه الحكامات الموحزة  
والمنظومة في بيتي الشاطبي الفقيه ؟

ثم لنستمع إلى صوت الإمام الشافعي رضي الله عنه في هذه الأبيات  
التي تمجد همته العاليه ونفسه الحرة الأبية ، وتجسد قناعته ورضاه بالقليل  
من القوت والمال ، وكيف أن ذلك لا يلجئه لغير الله ، ولا يشعره بالحاجة  
إلى أي مخلوق ، فيقول (١) :

أنا إن عشت لست أعدم قوتا  
وإذا مت لست أهدم قبرا  
همي هممة الملوك ، ونفسي  
نفس حر ترى المذلة كفرا  
وإذا ما قنعت بالقوت عري  
فلماذا أزور زيدا وعمرا

والشافعي وأمثاله من العلماء في هذا المقام معظومات غير قليلة توكد لنا

---

(١) ديوان الشافعي ص ٥٨ تحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجي



أنهم يتجهون بمثل هذه الألوان الفنية من الفخر أو الاعتداد بالنفس والاعتزاز بالعلم اتجاهها نهديها ، وينحون به مفتحي جليلا من الرفعة والسمو بالنفس البشرية لا يعرفه غير ذوي البصيرة والفاهين في الحياة .

ولنقرأ للشافعي أيضاً هذه الأبيات لنرى هذا اللون الغريب من الفخر حين يقول (١) :

على ثياب لو يساع جميعها  
بفلس ، لكان الفلاس من أكثرها

وفيهن نفس لو يقاس ببعضها  
نفوس الوري ، كانت أجل وأكبرا

وما ضر نصل السيف أخلاق غمده  
إذا كان عضبا حيث وجهته فرا

فليست غاية الإمام وأمثاله المباهاة بما يزدان به غيره من فاخر الثياب وإنما مطلبه الكمال ، وغايته معالي الأمور ، وما عليه بعد ذلك أن يستره من الثياب مالا يقدر بفلس واحد ، فتي كان النعم الخلق أو الجفن البالي مفقدا قيمة السيف القاطع ؟

إنه نخر العلماء بالعلم ، وز هوهم بالخلق الكريم ، خلال كلمات منظومة ، وأبيات من سحر البيان .

ثم لمختم هذا اللون الفني من نظم العلماء ، بما أنشده القاضي الشاعر :  
أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (صاحب الوساطة) حيث يقول (٢) :

---

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ١٧ ص ٢٢٠

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٣



يقولون لي فيك انقباض وإنما  
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما  
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى  
ولكن نفس الحر تحمل الظما  
ولم أقض حق العلم إن كان كذا  
بدا مطمع صيرته لي سلما  
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي  
لأخدم من لاقيت ، لكن لأخدا  
أشقى به غرساً وأجنه ذلة  
إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما  
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم  
ولو عظموه في النفوس لعظما  
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا  
بحياه بالأطماع حتى تهتما

إنها كلمات مدادها التواضع في رفعة ، أو الرفعة في تواضع ، وهذا  
شأن العلماء لا المتعلمين ، وسعادة الزهاد لا المتزهدين ، حيث لا يعدل  
إبتهاج نفوسهم بالعلم وتفرغهم إليه أي جاه أو سلطان .

وبهذا نرى القاضى الشاعر قد جمع في أبياته القليلة غايات كثيرة ، يتوجها  
شرف المعنى ورقة الأسلوب ، وروعة التصوير ، وحسن تأت للفكرة  
بما يشهد له بالجودة وسلامة الطبع الشعرى .

وهكذا يتراءى لنا اعتماد العلماء بأنفسهم وبعلمهم غرضا مستقلا ،



احتوته منظوماتهم وباينت فيه أفكارهم ومعاينهم وأخيلتهم غرض الفخر  
المحمود لدى غيرهم من الشعراء .

ومع ذلك فقد وجدنا لغير قليل منهم أيضا منظومات في الفخر ،  
يجارون بها سواهم وتميز بسمة التطاول على أقـدار الناس . والترفـع  
بذواتهم عن غيرهم .

ولا شك في أن للنفس البشرية دورها في هذا الأمر ، ولإنهم ليسوا  
بمعنأى عن الزلل والوقوع في بعض الهنات والأخطاء كغيرهم من الناس  
في دروب الحياة .

ومن منظومات هذا اللون الفخرى لدى العلماء . قول أبي المظفر : محمد  
ابن أحمد الأبيوردى الخرساني ، وهو أموى النسب ، وكان عالما فقيها ،  
وشاعرا أديبا (١) :

الناس من خولى والدهر من خدى  
وقفة المجد عندى موطىء القدم

والنسر يتبع سيفي حين يلحظه  
والدهر ينشد ما يهوى به قلبى

لو صيفت الأرض لى دون الورى ذهباً  
لم ترضها — لمرجى فائلى — همى

وهو كما ترى ضرب من المغالاة في الفخر بنفسه ، بل والإغراق فيه  
حسب ما كان سائداً في عصر بني أمية . حيث كانت تتأجج نيران العصبية  
وبخاصة لمن كانوا ينتمون إلى بني أمية كفقهاءنا الشعراء .



فهو بقوله هذا يدور في قلبك قومه ممن بيدهم أمر الدولة كما نرى ،  
وإلا فأنى لعالم فقيه أن يتحدث عن نفسه بهذه الصورة ، حيث تلاحق  
النسور غزواته ويردد الزمن أحاديثه ، وتزل تحت قدمه أسنى الغايات ،  
وتخضع أمامه الحياة والأحياء ويستهن بذهب الأرض عطاء لمن يطلب  
منه النوال ؟

إنها نفس الإنسان ، وملكة الشعر ، ود إن النفس لأمارق بالسوء ،  
صدق الله العظيم .

وما هو ذا إمامنا الشافعي رضى الله عنه يفتخر ببعض أبيات يقول  
فيها وإن بدامة حفظا شديد الحذر (١) :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى      لكنت اليوم أشعر من لبيد  
وأشجع في الورى من كل ليث      وآل مهلب وبـى يزيد  
ولولا خشية الرحمن ربى      حسبت الناس كلهم عبيدى

فانظر إلى ما أحدثه صدر البيت الأخير من إعتدال ووقوف على  
جادة الطريق المستقيم . في الوقت الذى تسالت فكرته وما يرمى إليه من  
رغبة وهوى بشرى إلى غيره من الناس .

إن التمكن من العلم والشعر معاً وحسبه أمام الله والناس هذا .

وإذا ما إفتقنا إلى فن آخر كالمذح مثلاً ، وجدنا للعلماء فيه أيضاً  
ما ليس أميرهم ، فهم لا يمتدحون — كباقي الشعراء — لطلب دنيا . أو  
لتحقيق غاية ، أو تزلفاً إلى ذى جاه وسلطان وإنما الجديد في هذا الفن أن  
العلماء يرقون بمدائحهم فوق تلك الغايات ، حتى لا يطلبون بها النوال أو



العطاء ممن يسعى غيرهم إنيه ويريقون أمامه بمدائحهم ماء الوجه والكرامة  
في غالب الأحيان ، وإنما كان العلماء يرجون بها رضا الله سبحانه وطاعة  
رسوله عليه الصلاة والسلام فقصرت مدائحهم وتوسلاتهم النابعة من  
قلوبهم الخاشعة . على ذات الله ورسوله وأحبائهما من آل البيت النبوي  
الطاهر .

وبذا سمت مدائحهم ، وارتقت غايتهم ، وكان لهم في هذا اللون  
ما لا يطاول بمدحات غيرهم من المتكسبين .

ومن هنا فلم يكن العالم الشاذ عن الجماعة ، والذي دعت الضرورة ، أو  
غلب عليه الهوى وقتاً فامتدح غيره من أولى الأمر في الدنيا ، بمنأى عن  
النيل منه أو التهريض به من سواه ، ومقصورة أبي زيد المكوذي ( العالم  
النحوي ) في العقب على ابن دريد لمدحته ، أو مقصورته في ابن ميمال  
الشهيرة ، وكذلك في العقب أيضاً على حازم القرطاجني ، لمدحته أو  
مقصورته أيضاً في المستنصر الحفصي ، تعد شاهداً على إتخاذ العلماء سبيلاً  
موحداً في مدحاتهم ، وأنهم لا يتركون من خرج عن الجادة دون توجيه  
أو تعديل للمسار ، فبذت اتجاهات العلماء في مدائحهم وهي تعرج دائماً على  
مدارج السكال ، حيث تنصهر ذواتهم في تلك المدائح للذات العلية ويتغنى  
فيها بالحب الإلهي الطاهر ، فتتدى أقوالهم فيها حملاً خاصة من السمو  
الروحي ورفعة الغاية والمراد .

وإن شئت فقرأ معي قول أبي القاسم السهيلي (صاحب الروض الأنف)  
وهو يمتدح من بيده الأمر ويسأل من يملك الإعطاء (١) :

سأسأله ما شئت ، إن يمينه تسح دفاعاً بالمني والرهائب



فحسبي ربي في الهزائن ملجأ  
وحرزا إذا خيفت مهام النوائب

إنها دون شك ففحات قدسية وكلمات منظومة بليغة صعدت أنفاس  
فقيّة من قلب مؤمن زاخر بصدق العبوديّة لمن رفعت دونه الحجب حيث  
لا خشية أمام فيوضات رحمته من نوازل الأيام وحدثان الدهر .

ومنظومات هذا اللون من المدائح النقية وقصائد العشق والتفاني في  
الذات الباقية تنفذ دونها الكلمات ، وحسبنا ما رمزنا به في هذا المقام ،  
فلصاحب السيرة العطرة أيضا عليه الصلاة والسلام مدحاته التي فاقت كل  
فنون الشعر عند هؤلاء العلماء ، حيث لا تملق من مدحه ، ولا رياء في مرد  
جلال أعماله ، وكيف لا يرقون بأشعارهم الغاية في هذا المقام ، وهم  
الذين يخشون الله من عباده ، ويمتدحون من لا تداني بأسمى صفات العالمين  
صفاته صلوات الله وسلامه عليه .

ومن هنا أيضا فحسبنا بعض أبيات نجتزئها من إحدى المطولات في  
مدح الرسول ﷺ حيث يتردد البصر في حيرة ، ويقف المرء مشدوها  
أمام عشرات القصائد والمطولات ، دون قدرة على اختيار إحداها أو جزء  
من أبيات بعضها ،

ولعل فيما أنشده العالم الأديب ابن أبي الحصال الذي كان يعمل كاتباً  
للعلي بن يوسف بن قاشفين بمراكش في القرن السادس الهجري ما يروى  
بعض الظما الروحي ويخفف من غلواء الصبابة والحب لساكن المدينة  
الحبيب عليه الصلاة والسلام وذلك بذكر أبيات من مدحته النبوية التي  
يستهلها بقوله (١) :



إليك فهمتى والفؤاد يثرب  
وإن عاتنى عن مطلع الوحى مغربى  
أعل بالآمال نفساً أغرها  
بتقديم غاياتى وتأخير مذهبي  
ودينى على الأيام زورة أحد  
فهل ينقضى دينى ويقرب مطلبى  
وهل أردن فضل الرسول بطيبة  
فيأورد أحشائى وباطيب مشربى  
وهل فضلت من مركب العمر فضلة  
تبلغنى أم لا بلاغ لمركبي  
ألا ليت زادى شربة من مياهها  
وهل مثلها ربا لفلة مذنب  
ويا ليتنى فيها إلى الله صابر  
وقلبى عن الإيمان غير مقلب

ثم يطول نفس العالم المحب لرسول الله ﷺ بأبياب يتحسر فيها على ما فات  
من عمره دون أن يشتري الجنان بعزيمة في سبيل الله ، وكيف أن التوفيق  
أخطأه وفاز غيره بما كان يرجو التقرب به ، ثم يعود إلى ما كان يمنى  
به نفسه من زورة الرسول الحبيب عليه السلام فيقول :

أمانى قد أفنى الشباب إقطارها  
وكيف بما أعيا الشباب لأشباب  
وقد كنت أسرى في الظلام بأدهم  
فها أنا أغدو في الصباح بأشهب  
فن لى وأنى لى بريح تحطنى إلى ذروة البيت الرفيع المطنب



إلى الهاشمي الأبطحي ، بحمد

إلى خاتم الرسل المبكين المقرب

إلى صفوة الله الأمين لوحيه

أبي القاسم الهادي إلى خير مشعب

إلى ابن النبيين الذي صيغ بحمد

ولما تصغ شمس ولا بدر غيب

ومن كلمات النور المدحى أيضا تطالعنا هذه الآيات التي يرويها  
الصفدي في كتابه : « نكت الهميان (١) » ، مع غيرها للعالم الفقه المحدث  
الأديب الرباني : جمال الدين أبي زكريا يحيى بن يوسف المصري ،

الذي يقول عنه ابن تغري بردي : (٢) إن مدائحه في النبي ﷺ تقارب  
عشرين مجلدا ، وهي استعراض نظمى رائع للسيرة العطرة ، بما فيها من  
من المعجزات ، والغزوات ، والإشادة بالخلفاء الراشدين ، وحسبنا هذه  
الآيات من « خائيتة » الطويلة في مدحه عليه السلام حيث يقول فيها :

يا خاتم الرسل الكرام و فاتح الـ      سخيرات ، يا متواضعا شماخا  
يا من رست و سمت قواعد دينه      وبه هوى أس الضلال و ساخا  
يا خير من شد الرحال لقصده      حادى المطى وفى هواه أناخا  
عظفا على عبد تعاق حبكم      طفلا وفى صدق المحبة شاخا

والحق أن باب مدائح العلماء في هذا المقام رحب فسيح ، وللفقهاء فيه  
صولات وجولات تقعد دون اللحاق بالكثير منها غرر القصائد لدى غير

---

(١) نكت الهميان — للصفدي — ٣٠٨

(٢) النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي ج ٨ ص ٦٦



القليل من فحول الشعراء ، بل لعله خير الأبواب التي وجدوا فيها منطلقهم  
الروحي الحقيقي حيث صاغوا — دون غيرهم من الشعراء — مدائحهم  
بروحانية وصدق إيماني إلى من يستحقها .

ومن هنا ، فلا غرابة أن تجد الخليفة العباسي الثاني : أبا جعفر المنصور  
ينظر فيمن حوله يوما فلا يجد إلا مطربا له أو متزلفا إليه من الأمراء  
أو الوزراء أو القواد أو الشعراء ، ولكن شخصا واحدا يجالسه الخليفة  
ويرى فيه مالم يره في غيره ، وهو العالم الزاهد : عمرو بن عبيد ، فيطيل  
النظر إليه ، ثم يقول لمن حوله جميعا :

كلكم يمشى رويدا      كلكم يطلب صيدا

غير عمرو بن عبيد (١)

وحسب هذا العالم أن يمدح بلسان من يتهافت فحول الشعراء على مدحه  
أو التقرب إليه .

ولا عجب أن يكون لمثل هؤلاء العلماء الأتقياء ضروب من شعر الزهد  
توقى بهم إلى منزلة سامية في هذا اللون الفني أيضا ، حيث تشعر في منظوماتهم  
تمام اليقين بالله سبحانه ، فوق معرفتهم المؤكدة لما في الدنيا من زائل  
المتاع .

ومن نماذجهم الزهدية ، ما نراه في قول الفقيه الزاهد : ابن العسال  
الطليطلي (٢)

انظر الدنيا فإن أبصرتها شيئا يدوم  
فأغد منها في أمان إن يسألك النعيم

(١) أدب الفقهاء ص ١٤٣

(٢) نفح الطيب — المقرئ — ج ٤ ص ١٩٥ ، ٢١٣



وإذا أبصرتها منك على كره تهيم  
فاسل عنها وأطرحها وارتحل حيث تقيم

ثم لنستمع إلى هذه الخاطرة السريعة التي نظمها العالم الفقيه المحدث :  
أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف (صاحب كتاب أحكام الفصول في  
أحكام الأصول ، وكتاب التعديل والتجريح) يقول : (١)

إذا كنت أعلم علما يقينا بأن جميع حياتي ساعة  
فلم لا أكون ضئيلا بها وأجعلها في صلاح وطاقمه

ولقد عمد كثير من العلماء إلى أسلوب المناجاة الصوفي الخالص ، سالكا  
سبيل أهل الطريق تأملا وتشوقا وسكرا وفناء و كشفنا وحنينا وأقينا  
وارتياحا كما نجد ذلك في قول الفقيه العالم أبي عمر أحمد بن عيسى  
الالبيري : (٢) .

شربت بكأس الحب من جوهر الحب  
رحيقا بكف العقل في روضة الحب  
وخامر ماء الروح فاهتزت القوى  
قوى النفس شوقا وارتياحا إلى الرب  
وفادى حنينا بالأنفـين حنينها  
إلهي إلهي ، من لعبدك بالقرب  
نخاطبه وحييا إليه مليكه  
سأكشف يا عبيد لعينك عن حجب

---

(١) وفيات الأعيان — لابن خلكان — ح ٢ ص ١٤٢

(٢) الذخيرة — لابن بسام — قسم أول مجلد ثان ص ٣٤٢



فأعلن بالتسبيح : مثلك لم أجده  
تعاليت عن كفاء يكافيك أو صعب  
أجول ببعضي فوق بعضي كأنني  
ببعضي لبعضي كالنجائب والركب  
نخذ بزمام الشوق مني تعطفنا إليك ولا تسلم زمامي إلى لبي  
لعل أسقى ثم أسقاء دائما رحيقا بكف العقل من جوهر الحب  
وأشعار العلماء الزهدية والصوفية كثيرة وجميلة ، وتحمل كثيرا من  
أشعارهم سمات الجردة ، وتباهى منظومات الشعراء المتخصصين بالمهارة  
والإبداع .

وحين نلقت أنظارنا إلى أحد الألوان الأدبية الأخرى التي تناولها  
الشعراء من قديم كفن الغزل ، وكيف تطور : (الإباحي) وما فيه من  
تهمك وفحش في التعبير إلى الغزل بالمذكر في العصر العباسي . (العفيف)  
وكيف وصل بنقاء لفظه وسمو غايته ومعناه إلى مرحلة المناجاة والتصوف ،  
أقول : إن علماءنا كان لهم في فن الغزل أيضا مقام ومنظومات ، وإن  
لم تتجاوز اللون العفيف إلى غيره إلا قليلا إذ بدوا في أشعارهم الغزلية  
على جانب غير قليل من التحفظ واتخاذ بعضهم الرمز وسيلة للافصاح بها  
عما تكنه صدورهم تجاه الحبيب ، فارتقوا بهذا اللون في غزلهم ونسيبهم ،  
دون تخطيط أو إسفاف أو فحش فيما تناولوه من أقوال .

ولعل من أرق الأبيات في هذا المقام ما أنشده عروة بن أذينة (الفقيه  
المحدث) في بيتين له يقول له الرواة بشأنهما : « إن سكينه بنت الحسين  
مرت بعروة وهو بغناه واره ، فقالت له أنت ابن أذينة ؟ قال : نعم ،  
قالت : أنت الذي يقول الناس إنك امرؤ صالح وأنت الذي تقول : (١)

---

(١) الأغاني ٢٠٢ ص ٧١٦٦



إذا وجدت أوار الحب في كبدي  
عمدت نحو سقاء القوم أبرد  
هبتى بردت ببرد الماء ظاهره  
فمن لغار على الأحشاء تنهد  
قال لها : نعم .

ومن الأبيات السائرة والمنسوبة إليه قوله : (١)  
قالت وأبثتها وجدى فبجت به  
قد كنت عندي تحب السر فاستتر  
ألست تبصر من حولي فقلت لها  
غطى هواك وما ألقى على بصرى

وقوله في هذا المقام أيضا . (٢)

إن التي زعمت فؤادك ملها	جعلت هواك كما جعلت هوى لها
فبك التي زعمت بها وكلا كما	يبدى لصاحبه الصباية كلها
ويبيت بين جوانحي حب لها	لو كان تحت فراشها لأقلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها	يوما وقد ضحيت إذا لأظلمها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة	شفع الفؤاد إلى الضمير فسلمها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها	بلبساقه فأدقها وأجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة	أرجو معاونتها وأخشى ذلها

---

(١) الشعر والشعراء — لابن قتيبة — ٢ ص ٥٧٩

(٢) شرح الحماسة (للمبريزي) ٣ هامش ص ٢١١



منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها .  
فدنا فقال : لعلها معدورة من أجل رقيتها فقلت : لعلها  
وأبيات ابن أذينة كما تجسد حركات وجدده ولوعات صباهته وهواه  
وقبرر في يسر وبساطة تعبير ما أضمرت له الجوانح وأخفته الأفتدة .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ( أحد الفقهاء السبعة في المدينة ) قوله  
في التودد والحنين إلى زوجته : (١)

أكاد إذا ذكرت العهد منها أطير لوان إنسانا يطير  
غنى النفس أن أزداد حبا وليكني إلى صيلة فقير  
وأفقد جارحاك سواد قلبي فأنت على ما عشنا أم — ير

ومن رقيق غزل القاضي : علي بن عبد العزيز الجرحاني قوله : (٢)  
أفدى الذي قال وفي كفه مثل الذي أشرب من فيه  
الورد قد أيفع في وجنتي قلت : ففى باللائم يحتميه

فالفكرة والأسلوب والتصوير في بيتيه ينساب كل منها دون تعثر  
أو غرابه بما قد يعز على كثير من المتفرغين لعمل الشعر .

من أبيات التودد والحنين أيضا تلك الأبيات الرقيقة التي نظمها أبو الأسود  
الدؤلي ( التابعى الفقيه المحدث النحوى الشاعر ) قوله : (٣)

ليت شعري عن أميري ما الذى غاله في الود حق ودعه

(١) الأغاني ج ٩ ص ٢٢٧١

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٩

(٣) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢٩ وما بعدها .



لا تنى بعد إذ أكرهتنى فشد يد عادة من — تزع  
لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما البرق معه  
ومن أبيات الصباية والحنين إلى الماضي وما فيه من ذكريات . قول  
أبي بكر الشبلي الصوفي : (١)

رب ورقاء هتوف في الضحى	ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت إلها وعيشا سالفا	فبكيت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقم —	وبكاها ربما أرقم —
ولقد تشكو فما أفهمها	ولقد أشكو فما تفهمني
غير أنى بالجوى أعرفها	وهي أيضا بالجوى تعرفني
أتراها بالبكاء مولدة	أم سقاها البين ما جرعتني

وأنى لشارح أن يعنى بمدلول هذه الأبيات أكثر مما وفى به صاحبها  
أو يتأتى له مثل ما أوتيته ناظمها من رقة اللفظ ودقة المعنى وجودة الصياغة  
وروعة التصوير ؟

وحتى لا يطول بنا المقام في هذا اللون الفني عن سابقه ، فسوف  
نكتفى بما ذكرناه من الغزل ( العفيف ) وهو السكثرة الغالبة في غزل  
العلماء حتى يتسنى لنا إلقاء الضوء أيضا على الجانب الآخر من الغزل ( غير  
العفيف ) لدى بعض العلماء ، لأنه مع ( قائمه أو ندرقه وشدوده في أشعارهم )  
لون أدبي له سماته وملاحظته وقدرات قائله . وحتى لا تثرى باع الفقهاء  
وقد قصرت عن الكتابة في هذا اللون أيضا .

ومن هنا فسوف نكتفى بهذه الأبيات التي أفشدها قاضي أشبيلية  
أبو حفص بن عمر والتي يقول فيها :



مشت كالغصن يثقبه النسيم ويعوده النسيم فيستقيم  
لها ردف تعلق في لطيف وذاك الردف لي ولها ظلوم  
يعذيني إذا فكرت فيه ويتمها إذا رامت — قوم  
وما حي لها إلا عذاب عليه من نضارتها نعيم

وهي أبيات لا تراها تقل عما نظمه العلماء في هذا الغرض وسابقه من  
الأغراض ، كما تنطق بها سمات القدرة على الصياغة والسلامة في الطبع الشعري  
بما لا يقل عن نظيره لدى حاملي لواء الفريض من الأدباء

ولسوف قطوف مسرعين في باقي الرياض الأدبية لعلمائنا بعد أن  
اتضحتم مهاراتهم في ضروب الشعر ، وتعدت جوانب الإبداع الفني في  
منطوماتهم خلال ما تناولناه من سابق الفنون والأغراض حتى تكتمل دائرة  
الضوء من حولهم فيرى غير المتصفين لهم ما خفي من جوانب عظمتهم  
ودلائل قدراتهم وتمكنهم من الإجادة في العلوم والآداب على حد سواء .

فالجهلاء مثلاً يعد من الأغراض التي قد يترامى للكثيرين بعد العلماء عنه  
وعدم التعرض له ، خاصة وأن غير القليل ممن صناعهم الشعر كانوا  
يحرزون منه ، أو تحول أخلاقهم دون الكتابة أو التنظيم فيه ومع هذا نجد  
لبعض الفقهاء في هذا المقام بعض المنظومات ، وإن بدت أقل الأغراض  
كتابة لديهم ، فهي خارجة دون شك عن مألوفهم وحقبة طباعهم ، وإذا  
فإن ما نراه من هجاء الفقهاء ينأى عن الإسفاف وسوء التناول أو المبالغة  
المجوجة ، كما نراه عند غيرهم من المتخصصين في صناعة الشعر .

فها هو ذا الشيخ الفقيه : محمد بن سعيد المسكي يهجو بعض أهل عصره  
فيقول : (١)



اترك العجب فما أنت سوى رجل إما لضحك أو لغم  
كغراب اتسوء يمشى مرحا معجبا وهو أخو الشؤم الأدم  
يفعل الثوب وفي أكشافه وسخ العرض وآلات التهم  
ففي باطن التقرير والهجاء يمكن النصيح والإرشاد ، وهذا دائما شأن  
الراغبين في الخير من العباد .

كما نجد في منظومات الفقهاء الهجائية أيضا ألوانا من الطرافة والملح  
المستعذبة ومن ذلك ما يروى : أن الحافظ بن حجر العسقلاني ، وبدر الدين  
العين (العالمين الجليلين) لم يكونا على وفاق في الرأي ، فشبت بينهما علاقة غير  
حسنة ، وحدث أن مالت منارة المدرسة المؤيدية بمصر ، على برج باب  
زويلة ، وكان للشعراء في ذلك منظومات غير قليلة ، فأنهز ابن حجر العسقلاني  
هذه الفرصة وأنشد هذين البيتين معرضا فيهما « بالعيني » فقال (١) :

لجامع مولانا المؤيد روق  
مفارقة بالحسن تزهو وبالزين

تقول وقد مالت على البرج أمهلوا  
فأيس على جسمي أضر من « العين »  
ويبلغ ذلك « العيني » فيرد على « ابن حجر » بهذين البيتين ويقول فيهما :  
مفارقة كعروس الحسن إذ جلست وهدمها بقضاء الله والقدر  
قالوا : أصيب « بعين » قلت ذا غلط

ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر  
والتعريض في قول كل من العالمين بصاحبه لا يحتاج إلى بيان ، مع  
ملاحظة قوة البديهة وحسن الصياغة وسلامة العرض وجودة النظم .



وفي مقام قدرات العلماء على النظم أيضا في مجالات الفنون المختلفة بالإضافة إلى مهاراتهم العلمية وثقافتهم المتباينة ، نجد أن كثيرا من الفلاسفة قد نظموا أفكارهم العميقة ونظراتهم الدقيقة في الكون والحياة ، وقد كثر ذلك في العصر العباسي بخاصة حتى بدت اظاهرة من ظواهره .

ولعل من أشهر القصائد أو المنظومات في هذا المقام وأسيرها ، تلك «الرائية» التي نسبت إلى الشيخ الرئيس ابن سينا وليست له ، وهي في الحقيقة لابن الشبل لبغدادى «الحسين بن عبد الله بن يوسف» الذي تميز بالحكمة والفلسفة ، كما كان خبيرا بصناعة الطب فوق أنه كان أديبا وشاعرا ، وهو يستهلها بقوله (١) :

ربك أيها الفلك المدار      أقصد ذا المسير أم اضطرار  
مدارك قل لنا في أى شيء      ففى أفها منى منك انهمار  
وفيك نرى القضاء وهل قضاء      سوى هذا القضاء به تدار  
وعندك ترفع الأرواح أم هل      مع الأجساد يدركها البوار  
فابن الشبل يبدو في حيرة وقلق أمام تلك الحركة اللانهائية للفلك المدار وهل هو كما يتصور بعض الفلاسفة يسير دوراته المنظمة للكون عن قصد منه أم أن دوراته هيده الله ولا حياة للفلك في ذلك ، ثم يتساءل ابن الشبل إن كان هناك قضاء آخر لهذا الفلك ؟ وهل للأرواح حياة تخلده بها في العالم العلوى حيث ترفع إليه ، أم يلحقها الفناء مع أجساد المخلوقات في العالم السفلى ؟ ثم يستمر في استعراض حيرته وألغازه فيقول :

ودهر ينثر الأعمار فثرا

كما للورد في الروض انتشار

(١) دمية القصر — للباخريزي — ج ١ ص ٣٥٢ وما بعدها



ودنيا كلها وضعت جفينا غفلة من قوائها ظنوا  
هي العشواء ما خطبت هشيم هي المعجاء ما جرحت جبار  
فن يوم بلا أمس ويوم بغير غد إليه بنا يسار  
فالأعمار ورود تستطها يد الدهر ، والدنيا أم غشوم قلد ولا توضع ،  
وما تغاله بحراها لا يصلح للبقاء ، وما الحياة غير يوم مشئوم لا أمس له  
ولا غد .

وهذه الألوان من الشعر الفلسفي موجودة بكثرة لدى العلماء ، ولعل  
من أشهرها وأكثرها سيورة ، ما أنشده أبو الفليس ، أحد الفلاسفة الشعراء  
في القرن الرابع الهجري إذ يقول (١) :

في النفس والجسم إن فسكت معتبر  
بل دون ذلك ضل الرأي والفكر

وحرار كل لبيب في اتحادهما  
وقلك عين وهذا حكمه الأثر

يأليت شعري إذا الأبدان أضمرها  
يبد البلى وحواما الترب والمدر

هل للنفوس التفات نحو عالمها  
كما تلفت نحو المركز الحجر

ليحصل الفوز في دار الخلود لها  
وتتقضى دونها الآفات والغير

---

(١) صوان الحكمة — لأبي سليمان المنطقي السجستاني — ص ٣٥٩  
(تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي)



أم تضمنحل كما قد بان هيكلها  
ولا يحس لها ورد ولا صدر

هذا الذي صدأت منه خواطرنا  
وليس يحلو صداها العلم والخبر

فلا علم بمصير النفس بعد فناء الجسد إلا لله وحده ، أما كونها تفتنى مع  
الجسد أو ترقى بعد انتهاء دورته في الحياة إلى المليكوت الأعلى ، فذلك هو  
الأمر المحير والمشكلة المعقدة لدى جماعة الفلاسفة كما نرى .

وعلى كل فتملك صياغات محكمة لأفكار عميقة ومعان دقيقة ، تدل على  
تمكن من النظم لا يقل عن تمكن هؤلاء الفلاسفة في علومهم ، إن لم يميزهم  
بتلك المنظومات عن غيرهم من المتخصصين في الشعر ، إذ لا وجود لمثل  
هذه الألوان الفنية في منظوماتهم .

وحين ينتقل بنا المقام إلى الحديث عن الشعر التعليمي ، فسنبجد أن  
العلماء قد تبرعوا بمجادة عذارة هذا الفن ، إن لم يكونوا قد ضيقوا المكان  
على غيرهم فيه حتى لم يكدرى في كل أزمنته ومنظوماته سواهم ، مما يدل  
على طول باعهم فيه ، وتمكنهم من صناعته الشعرية في مختلف المواد والعلوم  
وان تفاوتت القصائد والمنظومات في عدد الأبيات قلة أو كثرة .

ولعل من أشهرها تلك الألفيات من الأبيات التي تذكر منها : في النحو  
والصرف : ألفية بن مالك وألفية السيوطي وألفية ابن معطي ، وفي  
الأصول : ألفية البرهان ، وفي علوم البيان : ألفية السيوطي وألفية  
القباقي ، وفي المنطق نجد ألفية أبي الوفاء المصري ، وفي مصطلح الحديث  
نجد ألفية السيوطي وأيضاً ألفية العراقي ، كما نجد في الطب ألفية داود  
الأنطاكي ، وفي تعبيد الرؤيا ينظم فيها ابن الوردي أيضاً ألفيته .



وتعد منظومة الدمشقي ( بدر الدين ) : من أطرف وأحكم ما كتب عن  
العلاقة بين الرجل والمرأة وما فى حياتهما من الآداب والأحكام حيث  
تجاوزت اثني عشر ألف بيت .

وكلمها دون شك ترقى بأصحابها إلى سماوات العمل الأدنى والفنى حيث  
القدرة على سرد الحقائق العلمية، أو الأحكام الشرعية، أو القواعد اللغوية،  
أو غير ذلك بتعبير فنى رقيق، وإحكام فى الصياغة والنظم دقيق، مع  
الإيجاز، وقرب المأتى، ورفعة الغاية التى لا يطلبون لها الأجر إلا من  
الله وحده، إذ لا هم لهم سوى إفادة الملتقى وطالب المعرفة، بأيسر لفظ  
وأفصح كلمة، فى سلامة وعذوبة، تنبث من خلالها الحكمة أو الموعظة  
الحسنة، كلما استطاع الناظم ذلك .

وحسبنا أن قد ذكر من حشدهم النظمى الزاخر بالمعرفة فى هذا المقام،  
بعض المطالع النظامية التعليمية لمجرد الاستئناس، وعدم الغفلة عن كثير  
من مزاياهم الشعرية .

ومن ألوانهم المتعددة فى مجالات العلوم، ما أنشده ابن دريد، فى المقصور  
والممدود، إذ نراه يبدوها بما يفتح أوله فيقصر ويمد، والمعنى مختلف،  
وهكذا، فيقول (١) :

لا تركن إلى الهوى واحذر مغارقة الهواء  
يوما تصير إلى الثرى ويصير غيرك بالشراء

فانظر كيف يسدى النصيح داخل هذا النسج العلمى التعليمى الدقيق،  
والذى ينساب فى منظومته برقة إلى آخرها .



ثم لننظر أيضا إلى منظومة العلامة ، ابن شقرون ، في الطب ، ولنتأمل في أبياته التي يقول فيها :

وبعد ، فالقصد بهدي الجمل      ذكر مزاج قوتنا المستعمل  
طبع الحبوب ومركب الغذاء      وماله نفع وماله أذى  
ويقول فيها أيضا :

وربما نذكر من مياه      أمرا كثير الناس عنه ساهي  
نتبعه أدوية نفيسه      تذهب أمراضا بدت خسيسه  
كما نجيد القول في اللباس      وفي المساكن وماوى الناس  
ونبسط التعبير في المقال      كما يرى مطابق السؤال

وهكذا تنساب أبيات ابن شقرون ، على سجيته وبطبعه البعيد عن التكلف أو الصنعة مع احتواء نظمه هذا على تلك الأمور النافعة والمتعددة ، والتي ذكرنا جانباً منها في إجمال يتبعه بتفصيل وقدرة على النظم وجمال في التعبير والتصوير .

أما في مقام الرثاء فقد بد الكثير من العلماء آيات منظومة تقطار كلماتها أسمى ولوعه لشهورهم بجلال الفقد وأثر الفجيعة عندهم .

ولا غرابة في ذلك ، إذ كانت تصدر منظوماتهم في الرثاء عادة من المحبين وذوى العاطفة للصادقة تجاه من يرثونهم من آلهم أو إخوانهم أو رفاقهم في الحياة ، أو ممن تربطه بالرائى رابطة العلم المتينة كان يكون شيخه أو تلميذه وهكذا .

ومن هذا اللون ما أنشده شهاب الدين محمود القرشي في رثاء شيخه نجم الدين الطبري قاضى مكة حيث يقول في مطلعها (١) .

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ج ٣ ص ٢٢ .



ما للجنون بهما التسهيد قد نزلا  
وما لطيب الكرى عن مقلتي رحلا  
ما بال قلبي يتذكار الهموم له  
شغل ودمعي إن كيففته هملا  
نجم أضاء علينا صبح طرقة  
حتى إذا ما انجلت أيامه أفلا  
مفتاح كنز علوم الدين كم فتحت  
به بصائر قوم للورى ذللا

فاغتر إلى هذا الاستهلاك المؤثر و كيف يهيء نفس المتلقى لمشاركتة  
آلامه ويشد اقتبائه السامع إلى عظم خطبه وفادح أثر الفقد على عين الشاعر  
وقلبه ( ترجماني المشاعر والأحاسيس عند الناس أجمعين ) .

ثم لنقرأ ما أنشده العالم الصوفي : أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في  
رثاء صديقه الوزير ابن بقية بهذه القصيدة الشهيرة والتي يبدوها بقوله (١) :

علو في الحياة وفي الممات      لحق أنت إحدى المعجزات  
كأن الناس حولك حين قاموا      وفود نذاك أيام الصلات  
كانك قائم فيهم خطيبا      وكلهم قيام . للصلاة  
مددت يدك نحوهم احتفاء      كمدتهما إليهم بالهبات

فأي تعبير وتصوير يبلغ من القلب ما بلغه الشاعر في هذه الآيات ؟  
إنها دون شك من كلمات القلوب .

---

(١) وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٢٠ .



وعندما تسقط مدينة « يربشتر » الأندلسية أمام النور ماندين ( في  
عهد الخليفة المقتدر بن سليمان ) تتفاعل في نفس العالم الزاهد الفقيه المحدث :  
ابن العسال مشاعر الإيمان والغيرة على بلاد المسلمين وأبنائها ، فيرثيها بهذه  
الآيات التي يدفع بها القلوب إلى الذود عن حياض البلاد ، معرضاً  
بما ارتكبه الغازون فيها من فضاخ وأهوال يتندى لها الجبين ، فيقول (١) :

ولقد رمانا المشركون بأسمهم  
لم تخط ، لكن شأنها الإصماء  
هتكوا بخيلهم قصور حريمها  
لم يبق لا جبل ولا بطحاء  
جاسوا خلال ديارهم فلم يبق بها  
في كل يوم غارة شعواء  
بأنت قلوب المسلمين برعبهم  
فحماقتنا في حربهم جنباء  
كم موضع نغموه لم يرحم به  
طفل ولا شيخ ولا عذراء  
ولكم رضيع فرقوه من أمه  
فله إليها ضجة وبغاء  
ولرب مولود أبوه مجدل  
فوق التراب وفرشه البيداء  
ومصونة في خدرها محجوبة  
قد أبرزوها ما لها استخفاء

---

(١) الروض المعطار — للحميري — ص ٤٠ وما بعدها ( طبعة لجنة  
التأليف والنشر ) ١٩٣٧ .



ثم نختم جولتنا هذه بمنظومة الفيلسوف والطبيب والفلكي والأديب :  
« ابن الشبل البغدادي » في رثاء أخيه ، مجتزين منها هذه الأبيات التي  
يقول فيها (١) .

يا أخى عاد بعدك الماء سما      وسموما ذاك النسيم الرخاء  
كيف أرجو شفا . ما بي وما بي      دون سكنائى فى ثراك شفاء  
شطر نفسى دفنت ، والشطر باق      يتمنى ، ومن مناه الغناء  
إن تكن قدمته أيدي المنايا      فإلى السابقين تمضى البضاء  
إنما الناس قادم إثر ماض      بدء قوم للآخرين انتهاء

وجنوح العالم الشاعر إلى الفلسفة يبدو بوضوح فى : عمق الفكرة  
ودقة المعنى وتمسكته من اللغة يترأى فى : قدراته على تخير الألفاظ وملاءمتها  
التامة لتوضيح فكرته ، وسعة ثقافته وتعدد معارفه يتجسد فى : روعة  
تصويره ، وتحليق خياله ، ومشاركتها فى الوفاء بمراده ، وأصالة موهبته  
وطبعه الشعرى يتجلى فى : تدرجه المقصود بالمعنى إلى الغاية خلال الأبيات  
فى يسر وبساطة ، ثم فى ختمها بالحكمة التى يترأى بها فصل الخطاب .

وهكذا تبدو الكلمات والعبارات والأخيلة ، وقد انتظمت بوعى  
وإدراك فى سلك الأبيات ، بما يشهد له ، كما يشهد لسكثير سواء من العلماء  
بالقدرة والتمكن من النظم ، بنفس القدرة والتمكن من المواد العلمية التى  
عرفوا بها وأفنوا أعمارهم فى سبر أغوارها .

(١) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٣ وما بعدها .



وبعد :

فقد كانت هذه جولة سريعة في رياض الأدب لعلمائنا الشعراء، أمتعت  
الآبصار فيها بالتطلع إلى غراسهم النضرة المتباينة وخشعت القلوب الواعية  
إلى همس كلماتهم ، وسحر ببيانهم ، وذلك خلال ما تناولناه من أغراض  
وفنون شعرية : نسجت أيديهم لها مختلف الأردية وتميزت برفعة الغاية  
وسمو الهدف ، كما رأينا في مدائحهم ، وغزلهم ، وهجائهم ، ونثرهم فوق  
مالم نره في أشعار غيرهم ولا يطاول بنظم سواهم من فحول الشعراء  
كما رأينا في الشعر التعليمي ، والشعر الفلسفي ، والاعتداد بالنفس . الخ .

وبهذا يمكن القول : إن ما قدمه العلماء في منظوماتهم من مهارات  
ولإبداع وإبداع ، فوق ما لهم من قدرات علمية ، ومعارف وثقافات  
متعددة ، يجسد لهم باقتنار ملامح الجلال والعظمة من خلال إنتاجهم  
الشعري الذي يعد من أخصب المواد الأدبية للدراسة والتحليل ، وأجدرها  
بالبحث والتنقيب في تراثنا الجليل ، لاستخراج ما لا شك في نفعه ولا جدال  
في طرافته وعظيم أثره :

دكتور / حلمي أبو العز



## مراجع البحث

- ١ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، د محمد عبد المنعم خفاجي - الحلبي .
- ٢ - ابن المعتز العباسي - ذ أحمد كمال زكي - أعلام العرب .
- ٣ - أثر القرآن في تطور النقد العربي - د محمد زغلول سلام - ط - دار المعارف .
- ٤ - أمرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق د خفاجي .
- ٥ - إعجاز القرآن - الباقلاني - بهامش الإتيان .
- ٦ - بديع القرآن - ابن أبي الإصبع - ط - نهضة مصر .
- ٧ - البديع - ابن المعتز - ت - كراتشكوفسكي - العراق .
- ٨ - البديع في نقد الشعر - أسامة بن منقذ ط - مصطفى الحلبي .
- ٩ - بغية الإيضاح - الخطيب القزويني - شرح عبد المتعال الصعيدي .
- ١٠ - بلاغة أرسطو بين العرب واليونان - د . إبراهيم سلامة .
- ١١ - البلاغة تطور وتاريخ - د . شوقي ضيف - دار المعارف .
- ١٢ - البلاغة عند الجاحظ - د . أحمد مظلوم - الدار الوطنية بالعراق .
- ١٣ - البيان والتبيين - الجاحظ ت - عبد السلام هارون .
- ١٤ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة ت - السيد صقر .
- ١٥ - تاريخ الأدب العربي - الزيات - دار الثقافة بيروت .
- ١٦ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني - ت محمود شاكر .
- ١٧ - زهر الآداب - الحصري .
- ١٨ - الصبغ البديعي في اللغة العربية - د . أحمد موسى .



- ١٩ — الصناعتين — أبو هلال العسكري — الأسناقة .  
٢٠ — علم البديع والبلاغة عند العرب — كراتشكوفسكى — ترجمة  
الحجيري .  
٢١ — العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده — ابن رشيق — ت —  
محمد محي الدين .  
٢٢ — قدامة والنقد الأدبي — د. بدوي طباية .  
٢٣ — قواعد الشعر — ثعلب ت : د . خفاجي .  
٢٤ — مفتاح العلوم — السكاكي — ط — مصطفى الحلبي .  
٢٥ — مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين . . . د . أحمد عبد السيد  
الصاوي .  
٢٦ — الموازنة بين أبي تمام والبحتري — الأمدى — ت السيد صقر .  
٢٧ — نقد الشعر — قدامة بن جعفر — ت — خفاجي .  
٢٨ — نقد النثر — ت . العبادي .  
٢٩ — النقد المنهجي عند العرب — د. محمد مندور — ط — نهضة مصر .







حَقِيقَةُ التَّوَلُّدِ

لِنَاثِصِیلِ الْمَوَاهِبِ السُّعْرَةِ الْجَادَةِ

د. د. مُحَمَّدٌ كَرِيمٌ

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين  
محمد بن عبد الله ، المبعوث رحمة للعالمين .

أما بعد

فلقد ترك لنا شعر أئمة العرب من لدن العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي  
تراثا شعريا يعد وثيقة حياتية دقيقة لأجيال هذه الأعصر ، ومعلما تاريخيا  
لطبيعة النفس البشرية الواعية في مواجهتها للتيارات الفكرية والصراع  
الحضاري رغبة في الأفضل وطمعا في البقاء .

وبما يسترعى الانتباه حقا أن هذا التراث الشعري قائم على أصول  
فنية وطاقات تعبيرية ، يقف أمامها الملتقى النواقي ، والقاريء الحصيف  
حاجزا عن تطويقها أو حتى عن استيعابها ذلك الاستيعاب الذي يفض  
بكرتها ويجعلها لقمة سائغة لكل من تسول له نفسه اقتناصها دون التزود  
بما يؤهل له ليكون جديرا بها .

ولا أحسبني مبالغا إذا ما قلت: إن هذه الأصول الفنية وتلك الطاقات  
التعبيرية تمثل رافدا من روافد الفصاحة التي من الله بها على العرب  
وجعلها سميا خاصا لهم دون غيرهم ، وإلا لما نسب الشاعر العربي القديم  
إبداعه إلى الشياطين — وقد كانوا ينسبون كل شيء خارق إلى الشياطين  
لأنهم كانوا يعتقدون حسب زعمهم أن ما يعجز عنه الإنسان لا يمكن  
حدوثه إلا عن طريق الشيطان — وذلك على نحو قول أحدهم :

إني وإن كنت صغير السن      وكان في العين نبو عن  
فإن شيطاني أمير الجن      يذهب بي في الشعر كل فن



ووصل بهم زعمهم إلى أن جعلوا الشياطين قبائل ، فشيطان حسان بن ثابت من بني الشيصبان ، وذلك على حد قوله :

إذا ما ترعرع فينا الغلام      فما إن يقال له من هو ؟  
إذا لم يشد قبل شق الإزار      فذلك فينا الذي لا هو  
ولي صاحب من بني الشيصبان      فطورا أقول وطورا هو (١)

وقد ظل الشعر العربي على امتداد هذه الأعصر متمتعا بهذه الأصول وتلك الطاقات تباها بها ، مجسما لها ، وذلك بفضل شعرائه الذين وضعوا نصب أعينهم أشعار من سبقهم مستلهمين لأصولها . . . . مسترفدين لطاقتها ، واعين لأبنيتها وتراكيبها ، مقدرين ما فيها من جهد في سبيل تطويع ألفاظ اللغة إلى ما يريد الشاعر ، وحرصه على استثمار خصائص الكلمة ، واعتصار أكبر كمية من الإيحاعات الهادقة .

وكان من فتاج ذلك أن شهدت ساحة الناطقين بلغة الضاد على امتدادها المتزامن مع الفتوحات الإسلامية طوال هذه الأعصر شعراء عمالقة ساهموا بإبداعاتهم في جعل الأدب العربي قمة شائخة ومنارة هادية بين آداب الأمم الراقية من حولنا .

والباحثون في تاريخ أدبنا العربي قدامى كانوا أو محدثين ، عربا كانوا أو مستشرقين لم يصلوا إلى طفولة محققة للشعر العربي وإنما كشف لهم بحتم ونقصهم الدائب والمستمر عن شعر . . . . زاهر بأمرار الفصاحة متمتع برونق البلاغة اشعراء فحول . . . استمدوا فحولهم من تراث لم تعرف أصوله بعد .

وهام أولاء شعراء العربية الأول ، والذين يعدون أقدم ما وصلت



إليه جهود الباحثين يصرحون في أشعارهم بأنهم لم يتبوءوا... تلك المكانة  
السامقة في ميدان الشعر وقرضه إلا بفضل تتبعهم لآثار السابقين عليهم .  
وهاهو ذا امرؤ القيس يقول (١) :

عوجا على الظلل المحيل لأنما نبك الديار كما بكى ابن خدام

وهاهو ذا زهير يقول (٢) :

ما نرانا نقول إلا معارا أو معادا من قولنا مكرورا

وعنزة بن شداد يقول (٣) :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد قوهم ؟

وقد أدرك الشعراء بعامة ، والتواقون إلى الشهرة والتفوق .. بخاصة —  
وذلك في كل عصر شهد فيه الشعر تقدما وازدهارا — قيمة تتبع إبداعات  
السابقين ، بل والمجيدين من المعاصرين لهم ، فانكبوا عليه متذوقين  
مستلهمين .

ولا نذهب بعيدا إذا ما قلنا: إنه وجد من بين عمالقة الشعر في عصوره  
الذهبية الأولى من ثاروا على بعض الأطر والتقاليد للقصيدة العربية كل في  
حينه ، وذلك على شاكلة بشار وأبي نواس في القرن الثاني الهجري ، إذ  
دعا كل منهما إلى الخروج بالقصيدة العربية — من إطار الكلاسيكية الجديدة  
التي شهدتها القصيدة الأموية إلى إطار جديد تكون فيه قدرة على التعبير  
عن المجتمع الجديد (٤) .

(١) ديوان امرؤ القيس ١١٤ تقديم حسن السخندوي

(٢) ديوان زهير ٩٥ تقديم أكرم البستاني

(٣) ديوان عنزة ٧٣ تقديم فوزي عطوي

(٤) تاريخ الشعر في العصر العباسي ٧ د/ يوسف خليف



والناظر لشعريهما يجد فيه ما يوحى باعتداد الشعاعين بما ذهبوا إليه  
في ميدان الشعر ، وهادو ذا بشار يقول ما ذجا واقعه الخلقى المشاهد —  
بكسر الخاء — باعتداده بذكائه — حسب زعمه — بعمامة وما ذهب إليه  
في ميدان الشعر بخاصة (١) :

عميت جنينا والذكاء من العمى      فجئت عجيب الظن للعلم معقلا  
وغاض ضياء العين للقلب فاعتدى      بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا  
وشعر كنور الأرض لاهت بدينه      بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا  
وهادو ذا أبو نواس يسخر بعنف من تلك المطالع الطمليه للقصيدة  
العربية وذلك في قوله (٢) :

عاج الشقى على دار بسائلها      وعجت أسأل عن خمارة البلاد  
لا يرقأ الله عيني من بكى حجرا      ولا شفى وجد من يصبو إلى وتد  
دع ذا عدمتك واشربها معتقة      صفراء تعتق بين الماء والزبد

وفي القرن الثالث الهجرى . . تصطدم صيحات الداعين إلى الزخرف  
اللفظى والعمق العقلى بصيحات الداعين إلى الحفاظ على عمود الشعر وسمته  
. . . المسطح الواضح ، وكان على رأس التيارين أبو تمام والبحترى .

ثم يطالعنا القرن الرابع الهجرى بشاعره — المتنبي — الذى شغل الوسط  
الأدبى وما زال — ليدعو إلى عودة القصيدة العربية لروحها البدوى فى غير  
انفصال عن روح العصر الجديد بما يحمله من ثقافات عقلية فحق هذا مزاجا ووجه  
عبقريه بين بساطة البداوة وصفائها وفطريتها وبين ؟ ثقافة عصره العقلية  
بقضاياها المعقدة (٣) .

(١) الأغاني ١٣٦/٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) ديوان أبي نواس ١٨١ تقديم أحمد عبد المجيد

(٣) تاريخ الشعر فى العصر العباسى ٨ د/ يوسف خليف



ومما تجدر الإشارة إليه أن ما نادى به مثل هؤلاء الشعراء ، ودعوا إليه ، قد لاقى قبولا وتقديرا من النقاد المعاصرين لهم والذين وقفوا على تقاجهم من بعدهم ، يتضح ذلك من تلك الألقاب التي أطلقوها عليهم .

قبشار أبو المحدثين ، وأبو تمام زعيم المجددين ، والبحترى زعيم المحافظين ، والمتنبي شاعر العربية الأكبر أو جبار الشعراء .

والواقع ، أن الفضل الأكبر لهذه الزعامات يرجع إلى وقوف هؤلاء الشعراء طويلا أمام تراث سابقهم مستوعبين هاضمين ، ولولا ذلك لما تمكنوا من أن ينسب إليهم مجد ، أو يضيفوا إلى تراثهم من المضامين الفكرية والقيم الجمالية ما يتفق مع أزمته وتطورها .

وهاهو ذا أبو نواس — يتزود باللغة على يد خلف الأحمر ثم يمضي إلى البادية فيقيم بها حولا كاملا ينهل اللغة من ينابيعها ثم يقبل على دواوين الجاهليين والإسلاميين فيحفظها ، ويقول الجاحظ عنه : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لجة مع حلاوة ومجانبة الاستكراه . ويقول عنه أبو عمر الشيباني : لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره لأنه محكم القول (١) .

وهاهو ذا أبو تمام يتجاوز مرحلة التزود والحفظ إلى اختبار أشعار لعدد من الشعراء الجاهليين والإسلاميين وتدوينها في كتب خاصة إعجابا بها وجعلها منارة يسير على هديها الطامحون في تأصيل ملكاتهم إلا بداعية . فكان منها — الاختيار القبائلي الأكبر — وقد اختار فيه قطعا من محاسن أشعار القبائل ... ومنها الاختيار الذي تعلق فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة .

---

(١) الشعر العجمي تطوره وقيمه الفنية ٣٢ د / محمد أبو الأنوار



وهو اختيار مشهور معروف بـ « اختيار شعراء الفحول » ومنها اختيار تلمظ فيه أشياء من الشعراء « المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين وبوبه أبوابا وصدره بما قيل في الشجاعة وهو أشهر اختياراته وأكثرها في أيدي الناس ويلقب بـ « الحماسة » ومنها « اختيار المقطعات » وهو مرتب على ترتيب الحماسة إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل ، ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين (١) وعلى منوال أبي تمام نسج البحتر فجمع مختاراته المعروفة بـ « حماسة البحترى » معجبا ومرشدا .

لذا لا نعجب من أن تحرم ساحة الشعر العربي لقرون طوال عقب انهيار الخلافة العباسية من شعراء نابهن لأسباب شتى تكاثفت جميعها لقطع صلة الشعراء ببنابيع الشعر الأصلية انقطاعا أفسد أذواقهم وأخذ قرائهم فعمت في أشعارهم التعبيرات الركيكة المبتذلة والمعاني السقيمة والأساليب الملتوية ، وتحول الإبداع الشعري إلى نوع من المهارات اللفظية المصطنعة والألغاز واللعب بالكلمات ، حتى وصل إلى مرحلة من الانحدار جعلت الكثيرين من المهتمين بالأدب العربي والغيورين عليه يعتقدون أن العودة بالشعر إلى عصوره الأولى والتي عرف فيها بقوة نسجه ومثاقه تراكيبه ضرب من الوهم والخيال ، فما كان من « البارودي » إلا أن فاجأهم بما لم يكن في الحساب — إذ وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمثانة وأوشك أن يرتفع هذا الارتفاع بلا قدرج ولا تمهيد كأنه القمة الشاهقة تنبت في متون الطود عما قبلها فينقطع بينها وبينه طريق الوصول إلا أن تستدير لها من القمم التي قلبها وتقرب منها ، فإذا أوسلت بصرك نحو خمسمائة سنة وراء عصر

(١) السرقات الأدبية ٥٤ در بدوى طبانة .



البارودى لم تكدر تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه ، وكنت  
كمن يقف على رأس الطور المنفرد فلا يرى أمامه غير التلال والكشبان  
والوهاد إلى أقصى مدى الأفق البعيد (١) .

وشىء طبعى أن تشهد الساحة الأدبية آنذاك الكثيرين من المعجبين  
بصنيع البارودى وبخاصة هؤلاء الذين سيطر عليهم القلق والفرع على  
الأدب ولغته ، فما هو ذا شكاب أرسلان أحد الأدباء اللبنانيين يعبر عن  
إعجابه بصنيع البارودى حينما قرأ شعره بقوله :

فلما قرأنا شعر محمود سامى مىكرنا بأدبه ورقصنا على سيقه وبعث لنا  
نساء روحية لم نعهدنا فى أنفسنا من قبل أن عرفناه وعلينا أن فى المعاصرين  
من قدير أن يضارع الأولين وأن يسامى بنفسه أنفاسهم (٢) .

ويعلق د / سامى الدهان على شدة إعجاب شكيب بشعر البارودى وخلفه  
لشتى الحيل والوسائل التى تمكنه من الاتصال به فيقول :

واعترف بأنه كان يتلو شعر البارودى كل يوم بعد تلاوة كتاب الله  
ويترنم به فى نجواه ويجعله نعل أسماره وغبوق ليله وصباح نهاره فما  
ابث أن أهتدى إلى وسيلة يبلغ بها مراسلته وهو أن يستشهد بشعره  
فى مقالاته التى كان ينشرها فى الأهرام بذكر اسمه وبغير ذكره مرة  
أخرى ونحته بلقب أمير الشعراء (٣) .

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم ص ١٣١ وما بعدها عباس محمود العقاد

(٢) شوقى أو أصدقه أربعين عاما ١٠١ شكيب أرسلان

(٣) الأمير شكيب ١٤٥ د / سامى الدهان



ومما قاله الأديب — خليل مطران — ولا نفسى له أى للبارودى فضلا  
جديرا بالذكر الخاص وهو أنه أول شعراء البعثة الحديثة بمعنى أنه أول  
من رد الديباجة إلى بهائها وصعائها القديمين ، وما أبرز فريضة اقريض  
جيله ، فإتلك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعدا إلى أرقى أزمنة العرب  
فهى كالحبال الشامخة وحوها القصائد الأخرى كالأركان المقامة من حجارة  
أطلال بلا اختيار ولا نسق ولا هندام (١).

على أن البارودى لم ينفراً هذه المكانة فى دنيا الشعر إلا لإصابته فى  
اختيار طريق الشجرة والتفوق المتمثل فى دواوين الشعراء من لدن العصر  
الجاهلى حتى العصر العباسى ، حيث تتبع مراحل تطورها ومارافقها من  
أزياء وقفايد فى الأسلوب والمعانى والأغراض والموسيقى والصور والنظم  
على غرارها حتى تمكن من توطيد الصلة ببنيتنا وبين شعراء هذه الأعصر  
وجعلنا نعيش وكأنما حياتهم لم تنقطع عنا .

وقد أشار البارودى إلى هذه الحقيقة كثيرا فى شعره مع حرصه على  
أن يبين أنه لم يكن يوقا هؤلاء الشعراء فى تلك العصور فحسب وإنما  
كأبت له شخصيته الشاعرة والكاشفة عن رؤيته الخاصة للحياة والأحياء  
وذلك فى مثل قوله (٢) :

مضى « حسن » فى حلبة الشعر سابقا  
وأدرك لم يسبق ولم بأل « مسلم »  
وباراهما « الطائي » فاعترفت له  
شهود المعانى بالتي هى أحكم

---

(١) المجلة المصرية العدد الرابع ٤٣٥

(٢) ديوان البارودى ج ٣ ٤٢٩ وما بعدها



وأبدع في القول « الوليد » فشعره  
 على ما تراه العين وشي متمم  
 وأدرك في الأمثال « أحمد » غاية  
 تبرز الخطى ما بعدها متقدم  
 وصرت على آثارهم ولربما سبقت إلى أشياء والله أعلم  
 وحق له أن يفخر بعمله هذا ويتبعه على شعراء عصور مضت ضلوا  
 طريق الأصالة والإبداع الجيد فوآدوا مواهبهم للبكر وقدموا حياتهم  
 قربانا لزوايا الإهمال ومرارة النسيان وذلك على نحو قوله (١) :

أحييت أنفاس القريض بمنطقى  
 وصرعت فرسان العجاج بلهذى

وقوله (٢) :

قومته بعد اعوجاج قفاته . والرح ليس يروق غير مقوم  
 ولم يقف البارودى عند حد تتبعه لتراثنا الشعرى في عصوره الزاهية  
 والوفوف على أمراره مستلهما مستفيدا وإنما أراد أن يفيد غيره — فاختار  
 ثلاثين ديوانا لثلاثين من الشعراء العباسيين يبدؤون ببشار بن برد ويقتنون  
 بشرف الدين أبي العباس بن عفيف، وانتخب من هذه الدواوين مارق لفظه  
 ودق معناه وخلا من الحشو والتعقيد مرتبا ذلك على سبعة أبواب : الأدب  
 — المدح — الرثاء — الصفات — النسب — الهجاء — الزهد (٣) .

وقد أراد البارودى من وراء ذلك — أن يتحف الأدباء من أهل عصره

(١) ديوان البارودى ج ٣ ص ٤٨٧ وما بعدها

(٢) مقدمة مختارات البارودى ٣



بمجموعة مختارة من شعر فحول الشعراء المولدين لتسكون عونا للناشئين على طبع ملكة البلاغة (١).

أضف إلى هذا تشجيعة لإقبال الشعراء عليه في بيته حتى بعد عودته من منفاه وقد ضعف جسمه ووهن نشاطه وذهب نور عينيه أو كاد ، يقول د/ عبد الحميد الجندى :

وكان حافظ إبراهيم يذهب إلى أستاذه - يعنى البارودى - في داره الفسيحة بخيط الهدية بالقرب من باب الخلق بعد أن آب من منفاه وهناك كان يلتقى بلقيس من شباب شعراء ذلك العهد فيتحدثون حول أستاذهم العظيم ويعرضون عليه ما أفتجته قراءتهم ، وكان الأستاذ لا يرضى عليهم بتوجيهاته الغالية (٢) وذلك رغبة منه في تبصير المواهب الشابة نحو الطريق السوى لتأصيل الملكات الإبداعية وقدرتها على استنظام الماضي في التعبير عن إيقاع عصرها .

ومن هذا المنطلق فإنه يمكن القول : إن البارودى فتح لمعاصريه من الشعراء النابهين أهم روافد التألق والنجومية وبدلاً من أن يقفوا عند حد تراثهم اتجه الكثيرون منهم إلى الجمع بينه وبين آداب الأمم الأخرى فأضافوا إلى الشعر العربى ما جعلهم في سجل الخالدين .. وها هو ذا شوقى على سبيل المثال يمزج بين استيعاب التراث العربى وآداب الأمم الأخرى وبخاصة الأدب الفرنسى ، فيضيف إلى شعرنا ما لم يكن يعهده من قبل ، وقد تمثل ذلك في مسرحه الشعرى هذا فضلاً عن تجديده في جوانب كثيرة من الشعر من حيث بناء القصيدة وتكوين الصور الشعرية ، وما قاله د/ طه حسين في هذا الصدد : كان شوقى يحسن التركيب وكان متقناً للفرنسية قد يرع فيها نطقاً وفهماً ، وكان أول أمره كثير

(١) مقدمة مرأى الشعراء ٢٢ خليل مطران

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل ٩٢ د/ عبد الحميد الجندى



القراءة حريصاً على الفهم فقرأ كثيراً ، وتمثلت نفسه ما قرأ وما فهم .  
وانضم إلى هذه العناصر التي كانت تركيب طبيعته عنصر جديد هو العنصر  
الفرنسي الذي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله ونمت العناصر الأخرى  
بالقراءة والحياة ، عاش شوقي العرب في شعرهم وأدبهم فعظم حفظه من  
العربية ، وعاش الترك في حياته اليومية واتصل بهم أشد اتصال فعظم  
العنصر التركي فيه ، ولسوء حظ الأدب الحديث لم يعاش شوقي قدماء  
اليونان كما عاش قدماء العرب ولو قد فعل لأهدى إلى مصر شاعرها  
الأكبر ، (١) .

وقد حدث أن وجد أدباء جمعوا بين الشعر والنقد فكانت لهم  
إبداعاتهم الشعرية ونظرياتهم النقدية وغالباً ما كانت نظرياتهم هذه تنسب  
بطابع التمرد على بنية القصيدة التراثية وما جاء على غرارها من أشعار  
المعاصرين لهم ، إلا أن هؤلاء الأدباء لم يغفلوا عن إلزامهم بالتراث شأنه  
في ذلك شأن اهتمامهم بأداب الأمم الأخرى والتي كانت تعد محرراً أساسياً  
في تكوين نظرياتهم النقدية .

وهام أولاء عبد الرحمن شكري ، وعبد القادر المازني ، وعباس محمود  
العقاد يحاولون التجديد في الشعر العربي ليكون مساوياً لما درسوا من آداب  
الأمم الأخرى وبخاصة الأدب الإنجليزي وجعلوا من اتجاهاً هذا مدرسة  
نقدية إبداعية أطلق عليها مدرسة الديوان ، ومع ذلك احتل تراثنا الشعري  
جزءاً كبيراً من مكونات مواهبهم النقدية وملكاتهم الإبداعية .

فالمازني - على سبيل المثال - نرى في شعره فطرته السوداء إلى  
الحياة وتذبذبه بين الإقبال عليها والنفور منها ، كما نرى فيه استخفافه بالحياة  
والأحياء وتهكمه من كل شيء وسخريته بكل شيء وذلك لا يمكن أن نجعلنا  
نفض الطرف عما يحتويه من تقليد ومحاكاة ، فنحن نرى أن المازني على



الرغم من تجديده ، وعلى الرغم من تطويعه الشعر لوجدانه يقلد شعراء  
بعضهم ، فتجده يحاكي « ابن الرومي » ، بل تجده يعارضه في قصيدتين من  
مطولاته هما الحمزية ، والنونية مع أن المازني قد صرح في أكثر من موضع  
أن التشطير والمعارضة لا علاقة لها بالشعر الأصيل ، ولكنها تدريب على  
النظم فحسب ، وتجده كذلك يحاكي مقطوعات مشهورة للشريف الرضي ،  
والحق أنه تأثر بهذا الشاعر و كان يعود إلى شعره بين الفترة والفترة (١).

ويفسر - العقاد - مر اتكأ المبدعين الواعين على فتاج سابقهم  
والمجريين من معاصريهم تفسير المبدع الحصيف والفواقة الماهر في استثمار  
فتاج غيره والوصول به إلى أرقى مستوى من العمق والنضج وذلك حينما  
سئل ، لماذا يهوى القراءة ؟ فأجاب :

أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا ، وحياة واحدة  
لا تكفيني ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة ، والقراءة دون  
غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد  
لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب ،  
فكرتك أنت فكرة واحدة ، شعورك أنت شعور واحد ، خيالك أنت  
خيال فرد إذا قصرته عليك ، ولسكنك إذا لاقيت بفكرتك ففكرة أخرى  
أو لاقيت بشعورك شعوراً آخر ، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك ،  
فليس ... فصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين أو أن الشعور يصبح  
شعورين أو أن الخيال يصبح خيالين ، كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقى  
مئات من الفكر في القوة والعمق والامتداد ، وأن الفكرة الواحدة جدول  
منفصل أما الأفكار المتلاقية فهي المحيط الذي تتجمع فيه الجداول جميعاً (٢).

لذا لم يكن بدعاً أن يفتن العقاد بصنيع البارودي في اتجاهه إلى

(١) مجلة الهلال عدد سبتمبر ١٩٧١

(٢) ساعات من حياتي : ٢٠١ طاهر الصنّاحي



التنقيب عن تراثنا الشعري وإحيائه وأن يتجه هو الآخر إلى السير على  
نمط شعراء العربية الناجين في كثير من نظمهم فله على سبيل المثال قصيدة  
قونية نظمها على نمط قصيدة لابن الرومي وله قصيدة خمرية نظمها على نمط  
ابن الفارض .

ومما تجدر الإشارة إليه أن شعراءنا العرب الذين هاجروا بعيدا عن  
ساحة الأدب العربي وكونوا الرابطة القلبية ثم العصبية الأندلسية وتميزوا  
بطابع خاص في أشعارهم لم تلمهم ثقافات الأمم التي نزحوا إليها من  
الوقوف على أمرار التراث الشعري العربي والاستفادة منه ، يدلنا على  
ذلك نتائجهم الشعري واحتفاؤهم بالعباقة من الشعراء العرب التراثيين .

فها هو ذا — إلياس فرحات — لم يخل شعره من خبايا الحكمة  
والمثل يرسلها في خلال القصيدة وتكثر هذه الظاهرة في شعر فرحات  
كثرة تذكرنا بالحكم والأمثال في شعر المتنبي (١) .

وذلك في مثل قوله داعيا إلى الإصلاح الإجتماعي بعد أن لعب شيطان  
الإستعمار دوره الآثم في نشر الفساد بين أبناء البلد الواحد (٢) .

من ربي لبنان يعلو صوت أحرار البلاد  
إن مر الموت يخلو في سبيل الإتحاد

لا تطيق الشام ضيا من عتاة معتدين  
فرقوا الإخوان كيما يستمروا حاكمين

ليس لبنان المغدى غير صدر للشام  
لا يقيم الدين حدا بين إخوان كرام

(١) أشعار وشعراء من المهجر ٩٢ محمد عبد الغنى حسن .

(٢) تاريخ الشعر العربي الحديث ٣٢٢ ، ٣٠٥ أحمد قبش .



وها هو ذا — إيلها أبو ماضى — بنكرنا بأبى العلاء المهرى ووقوفه  
متأملا فى أصل الوجود وذلك فى قصيدته، لست أدري، وبما قاله فيها (١) :

كلما أيقنت أنى قد أمطت الستر عني  
وبلغت السر سرى ضحككت نفسى .. منى  
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدنى  
فهل الجهل نعيم أم حليم : لست أدري  
إننى جئت وأمضى وأنا لا أعلم  
أنا لغز وذهابى كمجيبى طلسم  
والذى أوجد هذا اللغز لغز مبهم  
لا تجادل ! ذو الحجا من قال إني : لست أدري

وها هى ذى العصبية الأندلسية تقيم فى عام ١٩٣٥ م مهرجانا تذكاريا  
لمرور ألف سنة على وفاة المتنبي (٢) وقد قامت هذه العصبية آملة — فى تجديد  
طبيعة الشعر العربى ولكن فى هدوء وفى غير ما عنف أو ثورة كما أنها لم  
تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما بين الشعر الحديث والشعر العربى القديم  
بل كانت على العكس من ذلك راعية فى بقاء شئ من القديم يصل الماضى  
بالحاضر ولا يقطع العرب عن التراث الفكرى لأبائهم الأقدمين (٣) .

ولعل فيما قدمت ما يؤكده أهمية التراث الشعرى ومواكبته لكل  
قياس تجديدى فى ميدان الشعر حتى تتحقق للشاعر أصالته ونجوى مبدعه دونما  
أى أكثرات بتلك الدعاوى الهادفة — بقصد أو بغير قصد — إلى تحطيم

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث ٣٢٢ ، ٣٠٥ أحمد قبش .

(٢) التجديد فى شعر المهجر ٥٢ د / محمد مصطفى هدارة .

(٣) المجلة — عدد أكتوبر ١٩٦٣ .



تراثنا ومقومات لغتنا والتي اشتدت حدتها منذ أواخر العقد الخامس من القرن العشرين وذلك على شاكلة ما نشره — لويس عوض عام ١٩٤٧ م تحت عنوان « حطموأ عمود الشعر » ، حيث أكد — حسب زعمه — أن الشعر العربي قد مات وأن من يشك في هذه الحقيقة فليقرأ جبران، وفاجي وأمثالهما ، أما شعائر الدفن فقد قام بها أبو القاسم الشابي ، وإيليا أبو ماضي ، وطه المهنديس ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الرحمن الخنيس ، وعلى با كثير (١) .

والواقع أن مثل هذا الادعاء قد لاقى قبولا من بعض الذين خرجوا على نظام الثقافية في الشعر ، وخيل إليهم أن طريق الشهرة إنما هو في استبعاد الماضي لأنهم يعيشون حساسية جديدة في الشعر لا يمكن أن تنمو وتؤتي أكلها إلا ببذ الثراث والإقبال على المترجم من آداب الأمم الأخرى ، فضلوا وأضلوا وأتوا بالغاز وأحاج وشعوذة لفظية وتعقيدات معنوية أصابت التيار الشعري العام بالضمور والقصور ، وأصبح الشعر مهنة من لا مهنة له .

ولو فطن هؤلاء إلى صنيع رواد حر كتهم الشعرية مع الثراث لتبين لهم ، أنهم كانوا ولا يزالون على صلة وثيقة به ، فمازك الملائكة — التي تعد الرائدة الأولى لحركة الشعر الحر عند الكثيرين من النقاد والمؤرخين — لم تغفل تراثها الشعري ولم تتخل عن الشطرين .

وهاهي ذي تقول من إجابة على سؤال وجه إليها : إن هناك فرقاً بين وبين شعراء الشعر الحر ، هو أنهم تركوا شعر الشطرين تركاً تاماً ، وكان أوزانه تهمهم ، وهذا يخالف موقفي ، فأنا لم أترك شعر الشطرين الخليلي في أية فترة من حياتي الشعرية ، وإنما مضيت أستعمل الشكلين معا حسب

---

(١) آفاق عربية عدد يوليو ١٩٧٥ — « مجلة » .



الحاجة الفنية للقصيدة وذلك واضح حتى في « شظايا ورماد » - اسم ديوان لها - الذي بدأت به الدعوة الحارة إلى الشعر الحر عام ١٩٤٩م (١).

وها هو ذا صلاح عبد الصبور يعكف عامين كاملين على التراث الشعري العربي يقرؤه ويتمثله ويعجب بأصوات منه ويرفض أصواتا أخرى، وها هو ذا أدونيس في سوريا يعكف طويلا على الشعر العربي في مختلف عصوره ويفتخب لنا منه مختارات ينشرها في ثلاثة مجلدات ضخمة تحت ... عنوان ديوان الشعر العربي . وغيرهما كثر قاموا بالصنيع نفسه أو قريب منه (٢).

هذه ناحية ، وناحية أخرى أن هؤلاء الذين ضلوا وأضلوا لو تأملوا التراث الشعري من لدن العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي وما جاء بعده من شعر اعتمدت أصوله وطاقاته ومتطلبات حينه على التراث استلهاما واسترفادا لعلوا أنهم ليسوا بدعا في امتلاكهم لحساسية شعرية جديدة ، وإنما وجدت حساسيات شعرية - حسب إطلاقهم - منذ العصر الجاهلي ، وذلك بدءا من زهير بن أبي سلمى ومدرسته ومرورا على بشار وأبي نواس ثم أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبو العلاء ثم البارودي وشوقي ورواد مدرسة الديوان ، وجماعة أبولو ، وغيرهم . إلا أن هذه الحساسيات أضافت إلى الشعر من القيم الجمالية والمضامين الفكرية ما يؤكدها صلتها بالماضي ، ويوثق مساهمتها للحاضر .

وبون شاسع بين استراتيجيات هذه الحساسيات وتلك الحساسية .. التي يعيشها كثير من متشاعري اليوم والأمس القريب .

والمتتبع لتصريحات رواد هذه الحركة الشعرية بشعر بنوع من الإحباط

---

(١) آفاق عربية عدد يوليو ١٩٧٥ - « مجلة »

(٢) استنداء الشخصيات التراثية ٣٢ د / جلال العشري



والياس قد سيطر عليهم نتيجة ما أصاب حر كتهم من إسفاف وابتذال في مبتدأها ومحتواها على أيدي من خدعوا في تحمل هذه الحر كة من إطلالة ألقافية، وما علموا أنه مازالت ضوابط ونظم - لا يكون الفن فنا إلا بها - في داخل النتاج الشعري نفسه لا يستطيع تحقيقها إلا من ملك أدوات الشعر وعمله .

ومما قالته - نازك الملائكة - روا على سؤال يدور حول أسباب الابتذال في الشعر الحر وما فيه من غموض وتعمية .

أما أسباب الابتذال في الشعر الحر فتكمن في جهل كثير من الشعراء للغرض منه ، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الشعراء لا يعرفون شيئاً عن أوزان الشعر العربي ، فهم يخرجون على الوزن في شعرهم الحر دون أن ينتبهوا أو يلاحظوا ، فضلاً عن أنهم يقحمون في شعرهم تشكيلات وزنية غير منسجمة مثل الخلط بين «متفاعلين فعلين» و «متفاعلين متفاعلاتين» وبينهما .  
بون شامع يجعل شعرهم قبيح الوقع في السمع العربي المدرب ، وأبرز عيوب شعرهم الحر أن فيه تقليداً كبيراً يقلد الواحد منهم الآخر في الصور والأفكار والبناء ظاناً أنه يأتي بشعر رائع مع أن شعره مهمل ضعيف ، ومن الابتذال عندي أن يظن هؤلاء الشعراء أن شعر الشطرين قد مات إلى غير رجعة وأن المستقبل كله لشعرهم الحر ، فالواقع أن الشعر الخليلي لن يموت مطلقاً ، وأن له مستقبلاً عظيماً يكتمل حين ينضج الشعر في عصرنا .

ثم تقول : ليس الغموض إلا ظاهرة من ظواهر التقليد ، يقلد الشاعر الحديث ما يقرأ من شعر غربي ، وأنا أحب الشعر الأنكليزي والفرنسي وأجد لذة عميقة في قراءتهما غير أنني أمقت أن يقلد شعراؤنا هذا الشعر (١)

ومما قاله الشاعر البياتي : إنني أتساءل ما الذي حققه هؤلاء على صعيد

---

(١) آفاق عربية عند يوليو ١٩٧٧ «مجلة»



الأشكال الشعرية خاصة الشعراء الذين جاءوا بعد جيل الرواد ، لقد غرق معظمهم في الرمال المتحركة للترجمات الشعرية من آداب الأمم الأخرى ، واستعاروا لغتها وأزياءها وبيانها وبديعها، بل يبدو لي أحياناً أن الغموض الناتج عن قصور في الرؤية وعجز في الأدوات الفنية أصبح ينبعث بأنه محاولة ... إيجاد أشكال جديدة .

كما أتساءل من جديد : من هو الذي يستطيع إيجاد أشكال شعرية جديدة ؟ هل هو الشاعر المبتدئ الذي لا يحسن حتى استخدام لغته التي يكتب بها ؟ قلت منذ البداية : إن إيجاد أشكال شعرية جديدة هو نتيجة من نتائج ثورة المضمون . ولا يمكن أن تتأق مثل هذه المحاولات إلا لشاعر مبدع أصيل وليس لكل من هب ودب (١)

لذا فإننا نقاشد هؤلاء الذين أقحموا أنفسهم في دنيا الشعر أو تجنوا على مواهبهم بانحرافهم عن طريق الجادة والصواب قائلين لهم :

أقبلوا على أدبكم العربي بعامة وتراثكم الشعري بخاصة ، متتبعين لقيمة .. الجمالية وأصوله الفنية وطائفة التعبيرية وقدرته على مواكبة ما يطرأ على مسرح الحياة من تطور فكري فنتيجة تفاوت الأزمنة وتباين الأمزجة .. لنتهيأ لكم القدرة على الإبداع الجيد ، وإن كان لابد من آداب الأمم الأخرى فليس هناك ما يحول دون الإقبال عليها سوى إغفال خصائص الأجناس ، والمواهمة بينها وبين قيمنا وأذواقنا ، ولستم فيمن سبقكم من عمالقة الشعر الذين جمعوا بين التزود من أدبنا العربي وآداب الأمم الأخرى القدوة والمثل ، وبذلك فقد تراثنا تقدير آداب الأمم الأخرى لتراثها وفصل إلى ما نريده من أصالة وإبداع ... خلاق



ولقد وقع من نفسى مقاله « جوستاف لانسون » من مقال عن منهج دراسة الأدب موقع القبول والرضا إلى حد كبير إذ يقول : نحن نسعى إلى تحديد أصالة الأفراد أى الظواهر الفردية التى لا شبيه لها ولا تحديد ولكن مهما يكن الأفراد من العظمة والجمال ، فإن دراستها لا يمكن أن تقتصر عليهم ، وذلك أولا لأننا لن نعرفهم إذا لم نرد أن نعرف غيرهم فأمعن الكتاب أصاله إنما هو إلى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة وبؤرة للتيارات المعاصرة وثلاثة أرباعه مكون من غير ذاته فلسكى نجده لا بد وأن تفصل عنه كميات كبيرة من العناصر الغربية ، يجب أن نعرف ذلك الماضى الممتد فيه وذلك الحاضر الذى تسرب إليه . (١) ولا يختلف الشاعر عن الكاتب فيما ذهب إليه — جوستاف لانسون — من تحديد لماهية الأصالة .

---

(١) النقد المنهجي عند العرب . د/ محمد مندور



الوارى الجديد  
دراسة تاريخية حتى بداية العهد الحديث

دكتور أحمد الطفاوي



تشتمل هذه المحافظة على عدد من واحات الصحراء الممتدة غربى وادى النيل بمصر ، وكان بعض هذه الواحات يتبع من الناحية الإدارية محافظة الصحراء الغربية التى تكونت سنة ١٩٤٦ م ، وكانت قاعدتها مرسى مطروح ، وفى سنة ١٩٦٦ م ، فصلت الواحتان : البحرية والفرافرة عن محافظة الصحراء الغربية التى تغير اسمها وأصبحت تعرف باسم محافظة مطروح وضمت إلى الواحتين : الداخلة والخارجة وأصبحت تكون محافظة الوادى الجديد . . .

وكان للباحثين العرب من قبيل — كاليقوبى والمسعود وأبى الفدا والمقرئ وغيرهم — شرف الأولوية فى أرتياد الصحارى والسياحة بمجاهلها مستهدفين لأخطارها فى وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النزر اليسير . . .

وكانت هذه الصحارى — ولا تزال — حجابا — مقفلا ، ومرا مجهولا منها قال عنها العارفون ، فللصحراء هدوؤها وللرمال المنبسطة سكونها ، ولتلك الجبال الشائخة عظمتها ، ولهذه الصخور الجرانيتية تعدد ألوانها من حمراء قانية إلى زرقاء صافية ومن صفاء سمائها ولمعة نجومها وضياؤها خلال لياليها الساحرة ، ثم من جفاف هوائها ، وطلاقتها ومن اتساع أراضيها وفراغها ، ومن سכיمة القفار وهدوئها ، كل هذه العوامل تلفت نظر الباحث ، وتخاب لب الرواد ، وتجذبهم نحو أرتيادها . . .

وكلمة صحارى تطلق على تلك القفار الممتدة ذات المساحات الواسعة ، وكثبان الرمال الخالية من الماء والنبات ، كالصحارى الكبرى وصحراء جوبي ، لكن صحراواتنا فى مجموعها أبعد — إلى حد ما — من ذلك ، فالآبار فى بعض مناطقها متقاربة ، والواحات فى بعض أجزائها متعددة يأنه تجيب إلى الإنسان أرتيادها والتمتع بمناظرها بشوق مهما كلفه الشوق من مشقة وعناء ، أما ساكنوها من البدو وما فطروا عليه من



البساطة في المعيشة والسهولة في التعبير ، يعطينا فكرة حقيقية عن حالة هؤلاء القوم ويصور لنا سر عظمتهم ، وبساطة حكمهم ، كما يفسر لنا ذكاهم وبعد نظرهم في معرفة النجوم واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها ، مما يجعلهم سادة هذه الصحارى وأدلتها .

ومن المدهش حقا ، أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين تلك المروج النضرة التي تحيط بوادي النيل وبين هذه الصحارى المقفرة التي تحده من الجانبين .

أن قارات العالم ( كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا ) ، بها الصحارى الشاسعة المجهولة والأرضى المقفرة ، ولكنك إن تجدد في مختلف بقاع العالم ما يماثل بعض مناطق صحرائنا الغربية في صمتها ووحشيتها وحالة الجذب التي تطفئ عليها ، وليس من الضروري أن ترتادها لمسافات طويلة لتدرك هذه الحقيقة ، فإن خطوات قليلة بين رمالها اللينة يمكن أن تنقل الإنسان من المروج النضرة ، والأرض الخضراء الياضية الغنية بمياه النيل السعيد إلى هضبات متسعة مقفرة تسكتفها الرمال والصخور على مدى البصر .

ويمكن تقسيم صحرائنا هذه إلى مناطق ثلاث :

#### ١ — المناطق الساحلية :

وهي الشريط الأخضر الذي يتركز ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ويشمل الأرضى المتماوجة التي تتخللها الخضرة والقواقع ، وهو أكثر الأقسام عمرا وأزدهارا بالسكان .



٢ — المنطقة الوسطى :

وتشمل هضبة ليبيا والجرف الكبير ، ومنخفض القطارة ، وأراضيه وهضبات وأراضى منخفضة ذات تربة خشنة وعرة تتخللها أحياناً الجروف والأخاديد البارزة المدببة ذات الأحجار الجرانيتية والبالورية .

٣ — المنطقة الجنوبية :

وقد من الله عليها وعوضها خيراً عن الأمطار بعرد من الواحات المنتشرة فيها ذات التربة الخصبة والمياه العذبة .

ولقد عرف المصريون القدماء من الواحات سبعاً كانوا يطلقون عليها في كل عصر اسماً يتناسب مع ما كانت تستخدم فيه في ذلك العصر، ولم تكن التسميات قديمة إلا إلى تمييز هذه المنخفضات الحية عما يحيط بها من أرض قاحلة موات .

أما تلك الواحات فهي :

١ — كيغيم أو واحة راس : أى الواحات الجنوبية وهى المعروفة بالواحة الخارجة .

٢ — تسنيس : وهى المعروفة بالواحة الداخلة .

٣ — ويت أى الواحة ولا يعرف لها اسم ولا موضع .

٤ — سكة آمو أو حقل النخيل : وهى المعروفة بواحة سيوة .

٥ — ويتمحت أو واحة الشمال : وهى المعروفة بالواحة البحرية .

٦ — سكة همام أو حقل الباح : وهى المعروفة بوادى النظرون .

وفى الفقرة التى زار فيها المؤرخ اليونانى هيرو ديت مصر كان المصريون



القدماء يطلقون على الواحات اسم « جزر الرحمة » لأنها الملاذ الرحيم الذي يقدم الراحة والطمأنينة هبة لكل مرتحل في درب الصحراء القاحلة الوعرة . بعد تلك الرحلات الطويلة الشاقة ، فيشعره بجمال الحياة في جداوله الرقراقة وظلاله الورافة ، فهي الأمل الباسم والرجال المرتقب الذي قيمته القافلة بين ذلك البلقع العريض الموحش .

لذا كان الرومان يسمونها « ويسز » أي نهاية الرحل أو محطة الاستراحة . كذلك عرفها بعضهم « زورز ماس » بأنها جزيرة بعيدة وسط الصحراء كل من رسا عليها لا يمكنه الإقلاع عنها ، إذ لا يستطيع أن يتخذ سبيله إلى الهرب في طرق صحراوية قاحلة جرداء . وليس لأقدم البشر بها من أثر يمكن الاهتداء به إلى سواء السبيل .

ولعله عبر عنها بالجزيرة ، لأنها مقصد الضارب في الصحراء . كما هو الحال في جزر البحار ، إذ هي مقصد كل ممتط للبحر مرتحل فوق العباب الطمأنينة والهدوء والصحراء والبحر نهايتهما قريبان الشبه في الخطورة عندما فنيهما يضل السارى أو تعصف به الأنواء .

ولسنا ندري على وجه التحقيق متى عرف المصريون الواحات، ولكن الذي نستطيع أن نثبتنه بعد التحقق منه هو أن أول من تعامل مع الواحات من ملوك مصر الملك « سينستريس الأول »، إذ أرسل أحد أمنائه المدعو « أكوديدي » لعقد معاهدة تجارية مع الواحات الخارجية فاقتم أكوديدي هذه الفرصة وأقام لنفسه حجراً مقدساً بمعبد « أوزوريس » بالعرابة المقدسة ، وهذا هو اقدم أثر يشير إلى حدوث مثل هذه الزيارة وكان ذلك سنة ١٩٣٥ ق.م .

ولقد لعبت الواحات بموقعها الجغرافى وظروفها الطبيعية أدواراً شتى في حياة الشعب المصرى، فالمصريون القدماء اتخذوا منها مستعمرات لنفى الأشقياء والمجرمين ومقبرة لجشهم عندما يموتون حتى لا تلوث بأدرانهم أرض مصر



المقدسة ، ولهذا الإجراء قصة دينية تفسره ، ذلك أن « سميت » إله الشر والجرمة عندما قتل «أوزوريس» إله الآخرة المتولى بحكمة الموتى وحاسبتهم ، قام الإله حوريس رب الأرباب بمطاردته إلى أن تمكن من القبض عليه وقتله في مدينة قفط ومن ثم عهد إلى أعوانه في نقله إلى مكان ناء سحيق تائه وسط الصحراء يقال له «أوتو» وهو اليوم : الواحة الخارجة كبرى الواحات المصرية وقتذاك عقاباً له على ما ارتكب من جرم !!

وبمرور الزمن أصبحت الواحات ملجأ لجماعة المضطهدين والمطرودين ، كما صارت مواطن صالحة للرهبة والتشف والصوفية والزهاد الدينية . ويقال أن كلمة «واحة» مصرية قديمة معناها مكان للراحة والواحة مفرد جمعها واحات ، وهي عبارة عن قطع متفرقة من الأراضي الزراعية وسط الصحراء تروى أراضيها من ماء يخرج طافياً من عيون تتفجر من باطن الأرض .

ولما جاء العرب إلى مصر وجدوها مسماة بهذا الاسم ، فلم يحاولوا تغييره وأدخلوا هذه التسمية في العربية كما هي مثلما أدخلوا كلمة بستان وبنزهير الفارسيين دون تبديل .

واقعد كانت منطقة الواحات بصفة عامة وثيقة الصلة والروابط بحوض وادي النيل ، نظراً لأهمية المنطقة بموقعها على مسالك التجارة عن طريق القوافل التي كانت تخرج من حوض وادي النيل وتعبّر المنطقة إلى الأقاليم الإفريقية في الشمال والغرب والجنوب الغربي .

وعلى الرغم من أن تاريخ المنطقة وتطورها قد أسدلت عليه الفترات المظلمة ستاراً كثيفاً ، فإننا نجد توضيحاً لذلك في تطور الوضع المناخي الذي حول الأقاليم الخصبة إلى مناطق جرداء انحصرت أراضيها الخصبة تدريجياً في مناطق صغيرة هي التي عرفت بالواحات ، وقد أخذت هذه في التآكل المدمر الذي دفع السكان إلى الهرب إلى مناطق أكثر رخاء ، واستوحشت



الحيوانات التي كانت تعيش في الواحات ، وانقرض العدد الأكبر منها ، كذلك فإن طرق القوافل قد أغلقت بسبب سافيات الرمال التي كانت تغطيها ، وكان من هذه الطرق ، الطريق إلى الشمال والغرب والطريق من الواحة الداخلة والكفرة ، وقد أقفلا في عهد أحمد بن طولون ، وقتاً كده خطورة هذه السافيات الرملية من قدرتها على دفن الحملة العسكرية الضخمة التي أرسلها قبيل لتدمير واحة سيوة أو الواحة الداخلة على خلاف في الروايات ، وهذه العواصف الرملية تمثل أهم مظاهر الطبيعة في الواحات حيث تأتي على هيئة رمال سيالة تتحرك بطيئاً نحو الجنوب تتخذ شكلاً هلالياً .. ولذا فهي ذات خطر عظيم على المزارع والمباني ، وكم من بلدة زالت ونخيل غمس وطريق ردم تحت رمال هذه الغرود التي تعد أخطر أسلحة ضد الإنسان في هذه المناطق وتتجمع هذه الغرود الرملية في شكل مجاميع كالبحر المتماوج وتختلف في الارتفاع ، وقد تصل أحياناً إلى ٥٠ متراً وفي الاتساع نحو ١٠ كيلو مترات ، وقد ردمت هذه الغرود كثيراً من العيون والآبار بجهة باريس بالواحة الخارجة واكتسحت النخيل بناحية عين القضاء بالواحة الداخلة وهي الآن تهدد بلدة جناح بالواحة الخارجة أيضاً .

لقد أطلقت على المنطقة الشرقية للصحراء الليبية مسميات عديدة ، اختلفت باختلاف الافتراضات التاريخية التي مرت بها ، ولا شك في أن ذلك كان يرجع إلى الصراع الذي كان دائم الوقوع بين السكان الضعاف والنازحين من الأقوياء ، وعرفت المنطقة التي تضم الواحات الثلاث : الخارجة والداخلة والفراغة باسم « موريثانيا » وكانت تحكم من قبل أسرة بيده التجارة .

ويرجع لفظ « موريثانيا » إلى جماعات من الميديين « الذين جاءوا من الشام إلى الساحل الليبي ، وامتد نشاطهم إلى منطقة الواحات للتجارة والسيطرة على طرقها ومواردها .



وقد وقع تصحيف على اللفظ « ميري » فتغيرت الدال إلى راه ، وظهر اللفظ « ميري » ثم حدث أيضا تغيير في الصورة والصوت وظهر اللفظ « موري » .

ومن الأمور الطبيعية أن تحدث التطورات اللغوية بسبب الهجرات ، وكما سبق أن قلنا فإن الصراع كان مستمرا بين السكان الضعاف في هذه المنطقة وبين النازحين من الأقوياء .

وقد جاء اسم موريتانيا الذي عرفت به الواحات التي ذكرناها في كتاب حنا النيقومي كذلك جاءت الإشارة إليه في كتاب « برنو » والصحاري والسودان الذي ألفه السير ريتشارد بالمر ، حيث ذكر : أن الصحراء الواقعة شرق برفوج (برنو) تمتد إلى أثيوبيا (حوض وادي النيل الأسط) وموريتانيا شمالا وأرض المازكس ( أليجا ) في الشمال الشرقي .

كذلك يذكر أيضا : أن المازبكس ثاروا سنة ٣٧٣ م ودخلوا أرض موريتانيا فأرسل الامبراطور ثيودوسيوس حملة قصد تأديبهم وهم في أرض موريتانيا ، وقد وردت أسماء القبائل التي سكنت موريتانيا في الوثيقة التي كتبت في عهد ديوقليتيان .

كذلك تحدث بروقيوس عن الروم الذين نزلوا في صحراء ليبيا ، فقال : أنهم اشتبكوا في قتال مع الموريتانيين واستطاعوا إخضاعهم بعد أن هزمهم الموريتانيون بسبب استخدامهم للجبال التي كانت سببا في فرار خيل الروم من ميدان القتال (١)

وفي سنة ٤٣٥ م اختطف « اليحسانطور يوس » الذي كان قد احتجز في الواحة الخارجة في غزوة لهم عليها وفكروا أمره قرب اخميم في صعيد مصر .

---

(١) الشاطر بوصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط : القاهرة ١٩٧٢ : ص ٣١٣ ، ٣٤١



على أن هذا البحث يهتم بمجموعة الواحات التي أصبحت تمثل الوادى الجديد وما يتبعها من الواحات الصغيرة التي ذكرتها المصادر العربية بأنها حارات . . وهذه الواحات كانت تحتل مركزا ( استراتيجيا ) له خطورته على المواصلات بين حوض وادى النيل وقلب القارة الافريقية ، حيث ارتبطت مع حوض النيل بعدد من الطرق التي كانت تسلكها القوافل ومن أهم هذه الطرق من الجنوب إلى الشمال أى من أسوان إلى شمال أسيوط فكانت القوافل تخرج من حوض النيل فى المناطق الآتية :

- ١ — منطقة أسوان — دراو
- ٢ — من ادفو
- ٣ — من أسفا
- ٤ — من الزريقات
- ٥ — من فرشوط
- ٦ — من العلوانية
- ٧ — من الكوامل
- ٨ — من الغنائم
- ٩ — من الزرابى
- ١٠ — من أسيوط — بنى عدى

كانت هذه المسالك تتصل بدرب الأربعين الشهير الذى كان يستخدم قديما بين أسيوط ودارفور .

ولعبت هذه الطرق — بوجه عام — دورا هاما فى نقل الحضارة إلى قلب القارة وأجزائها الغربية ، كما سلكتها الهجرات المتتالية من حوض النيل .



### التطور التاريخي :

يذكر ابن حوقل أن « بجميع الواحات بيعاً قديمة أزليه معمورة ، لأن البلد كان نصرا في الأصل قديماً » (١)

وتتفق المصادر التاريخية على قيام الرومان بحفر الآبار لتعمير البلاد كما أنهم شقوا الجداول المغطاة لسريان المياه إلى الأرض الخصبة ، ويرجع تغطية هذه الجداول لحفظها من الرمال ، كذلك أقاموا المعابد وأنشأوا القلاع والحصون لحاية الاقليم والقوافل .. ولوحظ أن الهجرات قد ازدادت إليها في العهد المسيحي بسبب الاضطهاد الديني .. وهناك مقبرة في البجوات في الواحة الخارجة ستحدث عنها فيما بعد ، وكذلك في واحة الفرافرة . ويذكر ابن حوقل ( أن الغالب على أهل الفرفرون « الفرافرة » القبط النصاري ) (٢) .

ونقل الأنصاري في كتابه نخبة الدهر ( أن الواحات كانت من قبل مملكة قائمة بذاتها ، ثم صارت مضافه ) (٣)

ولا يعلم عن تاريخ الواحات في العصر الإسلامي أكثر مما أشار إليه ابن حوقل ، حيث أشار إلى أن السلطنة التي كانت تتولى حكم هذه المنطقة كانت في أيدي أسرة آل عبدون ، وذلك منذ الفتح الإسلامي لمصر حوالي عام ٦٤٠ م (٤)

---

(١) ابن حوقل ( أبو القاسم محمد ) : كتاب صورة الأرض . ليدن

١٩٣٨ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٣) الدمشقي ( ٧٢٧ هـ ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب نخبة

الدهر في عجائب البر والبحر : ليبزج ١٩٢٣ : ص ٧١

(٤) ابن حوقل ( أبو القاسم محمد ) : كتاب صورة الأرض ليدن

١٩٣٨ : ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤



وجاء في كتاب البلدان لليعقوبي : ( أن الواحة الخارجة هي بلاد فيها  
حصون ومزارع وعيون مطمورة ومياه جارية وأصناف الشعير والكروم  
ومزارع أرز ) (١) .

وذكر المسعودي أن بلاد الواحات وهي بين مصر والإسكندرية وصعيد  
مصر والمغرب وأرض الأحباش من النوبة وغيرهم وصاحب الواحات  
في وقتنا هذا وهو ( سنة ٢٣٢ هـ ، ١٩٤٣ م ) عبد الملك بن مروان وهو  
رجل من العرابة ، إلا أنه مرواني المذهب ( أي يميل إلى الحكم الأموي  
المرواني ) ، ويركب في العرف مع الفاس خيلاً ورحلاً وبينه وبين الأحباش  
« النوبة » نحو ستة أيام . . وفي أرضه خواص وعجائب ، وهو بلد قائم  
بمنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر إليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب  
والعناب ، وقد رأيت صاحب الرجل يقيم بياب الأخشيدي محمد بن طفج ،  
وذلك سنة ٣٣٦ هـ ، وسألته عن كثير من أخبار بلده (٢) .

وكان ابن حوقل أكثر توفيقاً من المسعودي ، حيث كتب جلة من  
خير رجائها وأوصافهم وأشار إلى الملك القائم بالأمور في وقته وهو عبدون  
وذكر أن الملك الذي سبقه كان اسمه أبو الحسن بكر بن عبد الصمد  
ابن عبدون .

ومن منتصف القرن العاشر الميلادي لا يعلم شيء عن تاريخ هذه المملكة ،  
فقد ذكر الأدريسي : ( الواحات الداخلة خراب الآن لا ماكن فيها

---

(١) اليعقوبي (٧٢٧ هـ) : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب :

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ليبزج ١٩٢٣ ص ١٩٧١

(٢) المسعودي (٣٤٦ هـ) علي بن الحسين بن علي أبو الحسن : مروج الذهب

ومعادن الخوهر : القاهرة : ١٨٨٢ م : ج ٢ ص ٢٢٣



والواحات الخارجة معمورة فيها قرى كثيرة يسكنها أخلاط من الناس ،  
وهي بين أرض مصر وبلاد السودان وتعرف بأرض سنترية<sup>(١)</sup> .

وهذا يدل على أن الواحد الداخلة عاصمة آل عبدون قد تركت  
في زمن لا يزيد عن أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وهل كان هذا الترك  
للعاصمة بسبب انقطاع القوافل إلى الغرب والشمال أم كان لغزوات من  
القبائل التي دخلت المنطقة من الشمال إلى الغرب ؟ .

لقد كانت هناك مجموعات من بني هلال وبني سليم وغيرهم ..

ويقال أن السلطان برقوق أقام مهجراً في صعيد مصر وذلك في سنة  
١٣٨٢ م ، ومعروف أن الهوارة زحفوا جنوباً وخربوا مدينة أسوان  
سنة ١٤١٢ م .

وأشار ابن دقاق ( أوائل القرن الخامس عشر الميلادي ) أن الواحات  
كانت بيد أمير من طبلخانات أحدهم : العلاني والثاني أمير فرج نائب الوجه  
البحري<sup>(٢)</sup> .

### نظام الحكم :

أشرنا فيما سبق إلى ما ذكره ابن حوقل من أن أمرة آل عبدون هي  
التي كان لها الحكم والسيطرة على الواحات منذ زمن سابق على دخول

---

(١) الأدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس :

ص ٤١ .

(٢) ابن دقاق ( ٨٠٩ ) إبراهيم بن محمد المصري : الإقتصار بواسطة عقد

الأمصار ، القاهرة ١٣٠٩ م : ص ٣٥ ، ٣٧ .



العرب إلى مصر في عام ٦٤٠ م ، وأن الحاكم في زمنه كان عبدون بن محمد  
ابن عبدون . . كذلك أشرنا إلى ما ذكره المسعودي من أن صاحب  
الواحات في ( ٣٣٠ هـ - ١٩٤١ م ) كان اسمه عبد الملك مروان . . ويتضح  
من هذه الأقوال أن الحكم كان وراثيا ومحدداً في أمر معينة . .

وقد أضاف ابن حوقل : ( أن ملوك هذه الناحية يرجعون إلى مروة  
قاشية ومظاهر بالحرية ورغبة في القاصد بين ومحنة للمتجعين على جميع  
ضروب القصد مكرمين للتجار نازلين على أحكامهم في الأرباح ، وكان من  
أحرصهم على هذه الوتيرة يتقبل المحاسن ويحب حسن الأحدث والشكر  
ويرغب في جميل الذكر أبو الحسن مكبر بن عبد الصمد بن عبدون يزيد  
على من سلف له من أهله في جميع المقاعد السكرية ، ويركب منها الطرقات  
الصعبة الجسيمة ، ولما مضى قام مكانه وعمر موضعه عبدون بن عبدون  
في ضمن عبد له يعرف بمصباح بن ميمون مغربي الأصل ، ولد بالواحات  
وبلادهم كثيرة المياه والأشجار والعيان الجارية العذبة متصرفه  
في نخيلهم وزرعهم وأحببتهم وأكثر غلاتهم القمح والشعير والأرز ،  
ولديهم من العناب الكثير والقوة الواسعة الغزيرة ما يصدق به على الكثير  
من النواحي ، وهي كالناحية المعتزلة في مركز دائرة من النيل ومن أي  
نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول إليها من ثلاث مراحل إلى  
أربع مراحل ، والناحية الخارجة منها المعروفة ويخيط وييريس ، أقرب  
إلى النيل .

ولال عبدون بالفرفرون ( الفرافرة ) والبهنسا قصران ومساكن :  
لا حرم فيها ولا ذخيرة ولكنها أعدت للنزول فيها وقت الحاجة للنزهة  
ويطبخ بها مساكين الأكرة بالهنسا ويخيط وييريس ولا يعد آل عبدون



وخدمهم أيديهم في شيء من الجباية سوى الخراج والجزية من النصارى  
وليس بجميع الواحات يهودى واحد فما فوق (١).

ولم نستطع الوصول — بما أمكننا الحصول عليه من مصادر ومراجع  
إلى شيء مؤيد عن النهاية التى انتهت إليها هذه الأمرة ، اللهم إلا أن هناك  
العديد ممن يحملون اسم «عبدون» ، فى مناطق الواحات والنوبة .

لقد اعتمدت هذه المملكة فى إيراداتها على جباية : الخراج والجزية  
إلى جانب ما كانت تعود به القوافل التى كانت تمر عبر طرقها إلى السودان  
وغانة والمغرب وفزان من رسوم على الخدمات التى كانت تقدم للتجار  
ومعروف أن آل عبدون اشتهروا بحسن معاملتهم للتجار كما ذكر ابن حوقل ..  
ويدلنا هذا على أن هذه الدولة كانت تعتمد على عدد من الوكلاء عنها هنا  
وهناك فى إدارة جهازها الإدارى والمالى .

يقول المسعودى : بأنه فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة سار ملك النوبة  
فى جيش عظيم إلى الواحات ، فأوقع بأهلها وأمر كثيراً (٢) .

وتجدر الإشارة إلى أنه قد حدث نزاع بين ملكة ( المقررة ) دنقلة  
والواحات ( موضوع هذا البحث ) وذلك فى عام ١٦٩٠ م بسبب قيام  
الآخيرة بحظر سفر الأساقفة ( رجال الدين المسيحي ) وغيرهم عن طريق  
المملكة ما بين الإسكندرية ودنقلة ، كما كان متبعاً من قبل .

وبوجه عام لم تكن العلاقات بين النوبة بعد انتقائهم إلى حوض النيل

---

(١) ابن حوقل ( أبو القاسم محمد ) : كتاب صورة الأرض ، ليد ١٩٣٨ :

ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٢) المسعودى ( ٣٤٦ هـ ) على بن الحسين بن على أبو الحسن : مروج

الذهب ومعادن الجواهر : القاهرة : ١٨٨٢ م : ج ٢ ص ٢٢٣



وبين مملكة الواحات ، بل كانت الحروب متتابة بينهما (١) ، ويبدو أن هذه الحروب كانت ترجع لأسباب اقتصادية وسياسية ، فقد هجم النوبة على الواحات ووقعت بينهما هدنة سنة ٩٥١ م .

### الحضارة في الواحات :

كانت تسكن الواحات — في هذا العصر الذي فتحت عنه — مجموعات من المصريين الأقباط والمسلمين إلى جانب مجموعات أخرى من البربر ، وأيضاً جماعات قليلة منها بنو هلال .

يقول ابن حوقل «أن الواحات من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة ، وهي مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها ...» (٢) .

وكان هذا الإقليم يمثل حلقة متصلة بالصحراء الكبرى في الوقت الذي كان فيه أرضاً زراعية تجرى في وديانها المياه وتهطل عليها الأمطار وملتقى للهجرات من مصر ومن الشمال من ساحل البحر المتوسط ومن الجنوب : من السودان والأقلية الإفريقية الأخرى ، والمعروف أن مجموعة كبيرة من النوبة انتقلوا في القرنين الثالث والرابع الميلاديين إلى المنطقة الواقعة على حوض النيل جنوبي الشلال الأول استجابة لدعوة دقلد يانيوس الذي أراد أن يجعل من هؤلاء حماة لحدوده الجنوبية ، وكان يدفع للنوبة إتاوة سنوية على ألا يقوموا بعمل ضد مصالح الرومان .

ومن الطبيعي أن تنقل هذه الهجرات مجموعة من الحضارات والثقافات المتباينة ومن الصعب تحديد مراحل هذه الثقافات نظراً للحاجة إلى مسح شامل

---

(١) الشاطر بوصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط : القاهرة ١٩٧٢ : ص ٣١٣ ، ٣٤١

(٢) ابن حوقل ( أبو القاسم محمد ) : كتاب صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٧ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤



في أرجاء الأقليم يكشف به عن المدن وغيرها من الآثار التي عظمها الرمال التي تتزايد عاماً بعد عام .

ويذكر ابن حوقل : « أن غلات الواحات فوق حاجاتها وبها من القمح والتمور الجميلة السكر الحبيب والعناب والقطاني إلى جميع الفاكهة والبقول ما يزيد على حاجاتهم ، أي حاجة سكانها » وينيف على فاقتهم واراقتهم ، ...

ثم تعرض لمورد هام في الواحات حيث قال : « وليس بجميع الواحات حمام ، ولا فندق يسكنه الطارق والقادم إليها ، وإذا قدم التجار والزوار على آل عبدون أنزلوهم أين كانوا من قرارهم ودارت عليهم الضيافات إلى حين رحيلهم ، وعندهم بجميع نواحيهم المطاحن بالإبل والبقر وقلما يمتطرون ومياه عيونهم حارة ، فهي تقوم لهم مقام الحمامات » (١) .

ويتضح من ذلك أنه قد بقيت في الواحات من الآثار ما يرجع إلى عهود قديمة ، كذلك يرجع أيضاً إلى ما استحدثه المسلمون وما انتقل عن طريق القوافل ، استحدث المسلمون بهذه الواحات نحواً من خمسة عشر منبراً ولكل قرية من قرى هذه الواحات مساجد معمورة بالصلوات الخمس ، ويدين جميع من بها بالولاء لآل عبدون .

وبما تجدر الإشارة إليه ، أن هناك صلة واضحة من الناحية المعمارية بين قباب مقبرة البجوات في الواحة الخارجة وبين قباب مقابر أسوان ، وفي هذا ما يؤيد وجود علاقة بين المنطقتين (٢) .

---

(١) ابن حوقل ( أبو القاسم محمد ) : كتاب صورة الأرض ، ليدن

١٩٣٨ : ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤

(٢) المقرئ ( ٨٤٥ هـ ) : تقي الدين أحمد بن علي : المواعظ والإعتبار

بذكر الخطط والآثار : بولاق ١٢٧٠ م : ج ١ ص ٢٧٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧



### الواحة الخارجة :

تتضمن الواحة الخارجة على أربع قرى ، هي الخارجة ، وهي القاعدة ، وجناح وبولاق وباريس ويوجد بهذه الواحة ٦٦٣٠ نخلة كما يقول على مبارك في الخطط ... عليها من الخراج ٥٢٧ جنيتها في أوائل القرن العشرين . كما يوجد ٦٥ عينا للماء تدفع كل عين خراجا سنويا مقداره ٣٥٩ قرشا ، وبذلك يكون مقدار خراج العيون ٢٢٢ جنيتها ، وإلى الجنوب من الخارجة ، على مسيرة ثلاثة أيام من عين الماء المرة التي توجد جنوب بلدة باريس يوجد المكان الذي يستخرج منه معدن الشب من أقدم العصور ، فقد ورد في خطط المقرئى : « أنه كان على الواحات في أيام الملك الكامل محمد بن العادل وأيام ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب حمل ألف قنطار من الشب كل سنة إلى القاهرة (١) .

ويقول ابن ممتى أن ( الشب حجر محتاج إليه في أشياء كثيرة أهمها الصبغ ومعادنه بصحراء الصعيد بمصر وعادة الديوان « ديوان الخراج » أن ينفق في تحصيل كل قنطار منه ثلاثين درهما وربما كان دون ذلك وتهبط به العرب من معدنه ( موطنه ) إلى ساحل قوص وإلى ساحل أخميم وأسيوط إلى البهنسا ) ، ويحمل من أى ساحل كان إلى الاسكندرية أيام جرى الماء في خليجها (٢) .

وكان طريق القوافل الآتية من دارفور بالسودان والذي كان يعرف باسم ، درب الأربعين ينتهى عند باريس ، فكان الحاكم الموفد من قبل حاكم

---

(١) المقرئى : الخطط : ج ١ ص ٣٨٠

(٢) ابن ممتى قوانين الدواوين : ص ٢١٧



جرجا يرسل عقد ورد القافلة بشيرا إلى مدينة أسيوط فترسل جماعات من  
العسكر لتلقاها وتجرى حصر البضائع الواردة معها ، ثم يؤخذ ( الجمر )  
عنها ، « وكانت الواردات السودانية تتكون من الإبل والرقيق وشن  
الفيل وریش النعام وشن الخربيت والتمر هندي والصمغ وجلود التماسيح  
والأفاعى » (١) .

على أن الواحة الخارجة تقع غربى قنا وتصل بوادى النيل عن طريق  
مسكة حديدية طوله ١٩٧ كيلو مترا ، يبدأ من محطة مواصلات الواحات  
الواقعة شمالى محطة فرشوط بمركز نجع حمادى بمحافظة قنا ، وقد تعطل  
هذا الخط أخيراً وأصبح الوصول إلى الخارجة عن طريق أسيوط .

والعيون والآبار كثيرة الانتشار فى هذه الواحة ، ولحسنها مع كثرتها  
لا تفى بالغرض المطلوب لأن مساحة الأرضى القابلة للزراعة ٥٠٠٠٠٠ فداناً  
يقع أغلبها فى المنطقة الممتدة بين بولاق ، وباريس (٢) ، فى سهل خصيب  
لا يوازىه فى خصبه غير الجزر النيلية .

---

(١) دكتورة سعاد ماهر : محافظات الجمهورية وآثارها الباقية فى العصر

الإسلامى : القاهرة : ١٩٥٦م : ص ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٢) باريس : قرية صغيرة تقع جنوبى الخارجة المدينة على مسافة

٩٠ كيلو



### الواحة الداخلة :

وتقع إلى الغرب من الواحة الخارجة والمسافة بينهما تبلغ ١٨٠ كيلو مترا ، والمسافة بينها وبين وادي النيل ٣٨٠ كيلو مترا ، وقد عرفت بالداخلة لأنها متوغلة في الصحراء ، وهي أكبر الواحات وأكثرها محصولا ، وتشتهر على عشر قرى منها : بلاط ويدخلو وأسمنت والمحصرة وقلدون والهنداوى والجديدة وموط ، وهي القاعدة .

ويوجد بمعظم تلك القرى حدائق غنية بفواكهها مثل : المشمش والبرتقال والرمان والعنب والتين والزيتون والموز والبرقوق والتفاح والكثير من التين وغير ذلك يوجد فيها نحو ٤٦٤ عينا تسبغ مياهها على الأرض ، وربما اشترك جماعة في عين فيقتسمون الماء أسقي زرعهم ونخيلهم .

ذكر على مبارك في الخطط التوفيقية : أن الضرائب التي كانت تدفعها الواحة الداخلة ٨٤٦١١ قرشا ، وكانت الضريبة تفرض على العيون وليست على الأرض ، وكان عدد النخيل فيها ٢١٣٩٥٣ نخلة تحصل عليها الدولة ضريبة مقدارها ١٦٨ ، وأما أشجار الفاكهة فكانت تدفع ضريبة أخرى ، هذا عدا ما كان يدفعه أهل الواحة إلى الصيارفة ورجال الحملة الذين يأتون لحماية الصيارفة ويبلغ مجموع ما كانت تدفعه الداخلة من الضرائب ٥٤٥ جنيهًا وهو مبلغ لا يستهان به في ذلك الوقت .

وهناك في قرية «يدخلوا» طائفة تعرف بالشربجية تزعم أنها من سلالة المماليك الشراكسة ، وهي تتمتع بمركز ممتاز في هذه القرية ، وأفرادها يحرصون على أن يلبسوا الملابس الفاخرة .

وتتصل هذه الواحة بمحافظة أسيوط عن الطريق المسمى بالدرب الطويل الذي يبتدىء من ناحية بني عدي ويمر بقرية بلاط .



والعيون تسكث بالواحة الداخلة وهي :

١ — عيون جارية ينساب الماء منها إلى الزراعات فيرونها بغير آلات رافعة .

٢ — عيون غير جارية وهي التي يرفع ماؤها بالسواقي .

٣ — عيون مطمورة وهي التي جفت وردمت ولكن أصحابها لا يزالون يدعون ملاكيتهم ويؤدون عنها حصيلة الحكومة عن كل قيراط مما كانت تنتج خمسين قرشا، يقودهم في ذلك الأمل إلى أنهم ربما يستطيعون إخراجها في المستقبل .

ومما يكث ترديده على السمع في هذه الواحة ( آبار ميهوب ) وهي عبارة عن مجموعة آبار مكوفة من إحدى عشر بئرا حفرت بواسطة الشيخ محمد ميهوب تلميذ السنوسي الكبير الذي كان من قبله بنشر الدعوة للمذهب السنوسي الذي يسيطر على صحراء ليبيا بين برقة وطرابلس ومصر ، وتقع هذه الآبار في أرض منخفضة المستوى ، ولذا فهي تمتاز بغزارة مائها ووفرة غاة أراضيها ، وقد ابتاعها الحكومة المصرية بين ما ابتاعته من أملاك السنوسية في صحراء مصر الغربية .



### واحة الفرافرة :

تمثل هذه الواحة الصغيرة جزءا من الوادى الجديد موضوع هذا البحث ، وليس فى واحة الفرافرة ما يمكن الكتابة عنه غير أنها قليلة السكان ولا تتعدى قرية واحدة هى قصر الفرافرة وعيونها لا يزيد عن العشرين عينا تجرى بماء يستعمل جميعه فى الزراعة ولا يترك منه أى مقدار لى يذهب هباء وأغلب هذه العيون تقع حول « قصر الفرافرة » وعلى بعد خمسين كيلومترا فى الشمال الغربى لقصر الفرافرة تقع عين « الدالة » فى المنخفض المسمى بأسمها ، وتوجد هذه العين فى السهل على إرتفاع ١٢٠ مترا من سطح البحر ولكن هذا السهل المرتفع يعتبر منخفضا بالقياس إلى الجبال المحيطة به ، وتوجد العين فى قمة تل من الرمال مكون من ثلاث طبقات ، يبلغ إرتفاع الطبقة الأولى منه مترا عن سطح السهل الواقع فى الجهة البحرية وترتفع الثانية ثلاثة أمتار فوق الطبقة الأولى وترتفع الثالثة خمسة أمتار فوق الثانية .

والماء محاط بشجيرات الغاب ، والتبع ينخفض بمترين عن قمة الجبل الذى يكون شبه قمع حوله ويمنعه من السيالان فى غير مجراه ، وهذا الماء من حيث صلاحيته للشرب يعتبر من أجود مياه هذه الصحراء ، وتوجد عدا ذلك ينابيع كثيرة فى الصحراء ، واسكنها لا تستعمل للزراعة ولكن للشرب ذلك لأنها تقع فى بقاع مأهولة بالسكان ، غير أنها تؤدى خدمة جليلة للقوافل لوقوعها على دروبها التى تسلكها فتزود منها أثناء السفر الطويل الشاق الذى تمنى به فى الصحراء القاحلة ، ولما كانت هذه الينابيع ليست لها قيمة من الناحية الاقتصادية المباشرة ، فقد رأينا ألا يطيل الحديث عنها خصوصا وأنها لا تختلف كثيرا عما ذكرناه من الآبار .

ولا يختلف توزيع الماء فى واحة الفرافرة عنه فى الواحة البحرية ، إذ أنها « أى الفرافرة » تتبع البحرية وتقع إلى الجنوب منها .



### الواحة البحرية :

أما الواحة البحرية فتعرف باسم واح البهنسا ، وهي تقع غربى محافظة المنيا والمسافة بينها وبين بلدة البهنسا على بحر يوسف تبلغ ٣٠٠ كيلومترا ، وتشتمل هذه الواحة - كما ورد فى الخطط التوفيقية - على خمس قرى هى : منديشة والذبو ومنديشة العجوز والباويط والقصر . . يزرع فيها الشعير والأرز والبرسيم الحجازى وقليل من القمح كما يزرع بها بعض الخضر مثل : البامية والملوخية والكوسة والمقاتى والبصل وبساتينها عامرة بمختلف الفواكه وبالقرب منها يوجد عدة إودية متسعة بها ماء ومراع ، وربما زرع بها الأرز ومن أهم هذه الوديان : وادى الحارة وهو يتبع قرية منديشة ووادى عيون بيجوم ويتبع قرية الذبو ووادى الحيوز ويتمتع قرية القصر (١) .

### من سكان الواحات :

قلنا فيما سبق أن الواحات كانت تسكنها مجموعات من المصريين الأقباط والمسلمين إلى جانب مجموعات أخرى من البربر ، وأيضا جماعات قبلية منها بنو هلال ، وهذه الجماعات الأخيرة كانت تتمثل فى فريقين هما :

### السعدى والمرابطون :

#### السعدى :

هم أولاد سعدى وقد اتفق المؤرخون على أنهم انحدروا جميعا من « أبو ديب ، وهو ينتسب إلى قریش وأن والدتهم سعدى بنت غازية الهلالية من نسل العرب الهلالية المنتسب إليها أبو زيد الهلالى . ، ويبدو



أن هذه القبائل أسمت نفسها بالسعدى لتتميز عن القبائل الأخرى من  
سلالة (أبو ديب) من زوجاته الأخريات ، وقد ذكر ابن خلدون : (أن  
هناك ، بمدينة مسراطة زعيم عربى كبير يسمى أبو ديب وأن له نفوذ عظيم  
فى إقليم برقة وطرابلس) (١) .

وقد أنجبت سعدى ثلاثة أولاد هم : جبريل وبرغوت وعقار .  
ومن ذرية جبريل : العواقير والعربيات والمغاربة والجوافى  
وفروعهم .

ومن ذرية برغوت : عبيد والعمرقة والفوائد وفروعهم .  
ومن ذرية عقار : على وخديجة وبني عوفه والهادى والحراش  
وفروعهم .

### أما المرابطون :

فقد اختلف الرواة فى أصلهم ، فبعضهم يرى أنهم أقدم من السعدى ،  
ولسكنهم متفرقون وهذا هو سبب ضعفهم وإن كل قبيلة منهم فى حماية  
قبيلة من السعدى وبعض الرواة يقول : أن السعدى كانوا أقوىاء وجاءوا  
للبلاد فاتحين ، فدخلت بعض القبائل الأخرى فى حمايتها لضعفها فسموا  
(بالصدقان) أو الأصدقاء ، ولما كانت قبائل السعدى تقوم للغزو كانت  
تكلف قبائل الصدقان بالمحافظة على الحدود فى نقط معينة ترابط فيها . .  
ولهذا سموا بالمرابطين ، والترباط معناه ملازمة ثغر العدو ومعناه أيضا  
المحافظة على أوقات الصلاة ، فقد ذهب الإمام الطرطوشى أمام هذا المذهب  
حين فسر الآية السكرية : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

---

(١) ابن خلدون : العبر وقاريج المبتدأ والخبر : ج ١ : ص ٢٠١



واتقوا الله لعلمكم تفلحون ، ، إلى أن « رابطوا » فيه قولان : قيل : رابطوا على الجهاد وقيل رابطوا على إنتظام الصلوات والجهاد في سبيل الله من أخص صفات المراقبة والجهاد في الأثر حيث ترابط خيل المقاتلة تحمي حياض المسلمين وترد عادة المعتدين ، (١) .

وكان المرابطون موزعين على الآبار والزوايا فتفرغوا للمعيشة الزراعية والدينية وفقدوا الروح البدوية العسكرية في حين أن السعادي احتفظوا بعاداتهم وهي رعى المواشي والمعيشة في الجبال والاحتفاظ بالروح العسكرية والقتال وكل قبيلة أو عائلة من المرابطين في حمى قبيلة السعادي وتهفح لها جملا ستويا يسمى بالصدقة وفي مقابل ذلك تقوم قبيلة السعادي بحمايتهم من الغارات والصرقة والإهانة التي تحدث من السعادي الآخرين .

على أن المرابط ملزم في الوقت نفسه بمساعدة السعادي في حالات الغزو والحرب والتعدى فيحارب بجواره ويسرع لمساعدته ، وأهم قبائل المرابطين هي : المنقة والشواعر والقطعان والحوايص والجرارة والحوتة والجبايل للتراكي والشبيبات والفواخر وترهوتة والعوامة والقدادفة والسالوس والصريحات والفريضات وجنبون الشريعات وذرياتهم .

### والمرابطون فريقان :

— فريق يسكن الصحراء الغربية من حدود النيل غربا إلى بني غازي .

— وفريق يسكن بني غازي إلى واحة جالو الكفرة .

---

(١) د . حسن محمود : قيام دولة المرابطين : ص ٩٦



ولقد استطاعت هذه القبائل من السعادي والمرابطين أن تضع قانونا بدويا كان هو التشريع المعمول به في هذه الصحارى والواحات .. حيث اجتمع شيوخ قبائلهم مع بعض الفقراء بالجنحة التي تقع جنوبي مدينة درنة بإقليم بني غازي حيث تم وضع أسس القضاء البدوي الذي ظل معمولا به بينهم حتى أن الحكومة المصرية أقرتهم عليه بعد أن رأته مناسبة لأحوالهم .. أما الآن فقد أصبحت الواحات بسكانها تتبع القانون والقضاء المعمول بهما في باقي أنحاء مصر (١) .

---

(١) د . سعد ماهر : محافظات الجمهورية وآثارها في العصر الإسلامي



## أولاد « علي »

يكثُر الحديث عن أولاد علي من قبائل الصحراء الغربية بوجه خاص ولما كانت الكتابة عنهم متشعبة النواحي شاملة لتاريخهم وعاداتهم وأخلاقهم ، وكانت أهم المراجع تستند أكثرها على روايات تقليدية عن شيوخهم ورؤساء قبائلهم وعشائهم وبعضها خيالي بعيد عن التصديق — مع أن معظمهم يؤيدها — فقد رأيت أن أتناولهم في بحثي هذا خصوصا وأنتى تحدثت قبلا عن سكان الواحات والصحارى .

قلنا فيما سبق أن من سكان الواحات فريقين هما :

السعدى والمرابطون . . وأن السعدى هم أولاد أبو ديب من سعدى الهلالية ، وكذلك قلنا أن سعدى هذه أنجبت ثلاثة أولاد هم : جبريل وبرغوت وعقار .

وقبائل « أولاد علي » من سلالة عقار بن سعدى وكان يدعى بعقار الشريف ، وقد استوطن بالجبل الأخضر قريبا من درقة بإقليم برقة وذلك حوالى القرن الخامس عشر الميلادى .

وانجبت ولدين هما : علي وحرب وبنتا أسماها خديجة ، ومن خديجة انحدرت قبيلة الجمعيات ، وبعد وفاة عقار قامت المشاحنات بين علي وحرب على الزعامة .

ولكن عليا كان أقوى جانبا وأشد بأسا مما كان له أثره في تحقيق النصر على أخيه حرب والاعتراف له بزعامة القبيلة وأيضا أداء الجزية لبعض سنوات .



وأثناء الصراع الدائر بين علي وحرب أنهر العربان باقتصارات علي ،  
فداعت شهرته بينهم ، وانضم إليه الكثيرون منهم ووضعوا أنفسهم تحت  
لوائه فازداد قوة على قوته ، وقد عرفت هذه القبائل بعد بالصدقان  
أو الأصدقاء .

تزوج علي بزوجتين أحدهما تدعى : سعدى الحمراء .

والأخرى : عائشة البيضاء .

وانجب ثلاثة أولاد أكبرهم : أبو ستيته زعيم قبائل الستية ، ولما  
توفي علي كان عمر أبو ستيته عشر سنوات ، أما ولداه الآخران فقد ولدأ  
بعد وفاة والدهم ، ولما كان كل واحد منهم من زوجة ، فقد حرصت كل  
من الزوجتين علي أن تسمى ولدها باسم «علي» .. .. وقد سمي العرب  
ابن سعدى الحمراء عليا الأحمر وابن عائشة البيضاء «عليا الأبيض» .....

لعدم الخلط بينهما .

وكانت ذرية أولاد «علي» هي :

١ — أبو ستيته ومن ذريته قبائل : العرارة والقطيفة والمحافظ  
والعجنة .

٢ — علي الأحمر ومن ذريته قبائل : القتيشات والعشيبات  
والكميلات .

٣ — علي الأبيض : ومن ذريته قبائل : أولاد خروف والمزاييم  
والصافرة والأفراد .



### الصراع بين ذرية علي وذرية أخيه حرب :

مضت حوالى أربعة قرون بعد موت علي ولكن الخصومة التي كانت بينه وبين أخيه حرب كانت لا تزال قائمة بين الأحفاد، وكان العصر لا يزال قائماً في جانب أولاد علي ، واستمر الحال كذلك إلى أن ظهر في قبيلة «الحرائي» نسبة إلى (حرب) رجل من الأذكيا يدعى: حبيب بن عبد المولى، وقد قتل والده عبد المولى الحرباوى في إحدى المعارك بينه وبين أولاد علي، فرأى حبيب أن ينتقم لو والده، فسافر إلى طرابلس للغرب والتمس المساعدة من الحاكم وبدعى محمود - وكان والياً عليها في هذا الوقت - وقدم إليه هدية ثمينة عبارة عن جلد رقبه نعامه مملوءاً بالذهب .

أغرت هذه الهدية الحاكم التركي فسأل حبيباً عن حجم المساعدة التي يطلبها فذكرها له ، فرضى بها ، ثم سأل عن عدد الرجال الذين يطلبهم لمساعدته على قهر أولاد علي فأجاب حبيب .

« أنه سيضع كتلة خشبية من شجر الزيتون على أحد أبواب سراى الحاكم ، تمر عليها الجنود ويدوسونها بأقدامهم حتى تنكسر وعندها يكتفى بالعدد الذى مر عليها . . . . . فرافق على ذلك وأمر جنوده بالمرور على الكتلة فر عليها ستة آلاف جندي حتى إنكسرت وكان من العدد . . . جندي من الخيالة .

وبهذه القوة العظيمة فاجأ حبيب أولاد علي بهجوم عنيف في الجبل الأخضر وانتصر عليهم وطاردهم فاتجهت فلولهم شرقاً واستمرت المطاردة حوالى السبعة الأيام أعقبها صلح بينهما ، اتفقا فيه على :

أن يكون الحد الغربى جبل أبو حجاج (السلوم) هو الفاصل بين أملاك القبيلتين ، وقيل في رواية أخرى : أنه عند رأس الملح .



وبذلك خرج أولاد علي من إقليم بوقفة واستوطنوا الصحراء الغربية .

### أولاد علي والجمعيات :

عند نزول أولاد علي بالصحراء الغربية وجدوا أن وطنهم الجديد هذا مأهول بعربان قبيلة الجمعيات ( وهم ذرية خديجة أخت علي وبنت عقار ) وتربطهم بهم صلة القرابة فعاشت القبيلتان معاً علي وئام تام .

وفي هذا الوقت كانت تسكن إقليم «البحيرة» قبيلة الهنادي وهي إحدى القبائل القوية، وكانت قبيلة الجمعيات ضعيفة بالنسبة لها وهي مجاورة لها من جهة الغرب ، فكانت تحت حماية الهنادي ، ويعاملونها بالظلم ولقسوة ، فلما استوطن أولاد علي الصحراء الغربية واختلطوا بالجمعيات — وكانت تربطهم صلة الرحم — رأت الجمعيات الفرصة مواتية للانضمام إلى أولاد علي والتخلص من سيطرة الهنادي عليهم ، فأوفدوا زعيمهم المدعى « قوش » للإتفاق مع أولاد علي على مقاتلة الهنادي بمساعدتهم للتخلص من سلطتهم وأغرى أولاد علي الإستيلاء على أراضي البحيرة الخصبة التي يملكها الهنادي ، ولما كانت الجمعيات على علم تام بتحركات هذه القبائل وبأمرار قوتها ومحلات تجمعها بحكم نزولها على حدودها ، فقد كانت خير معين لإرشاد أولاد علي على هذه المحلات ، وعلى هذا تم الإتفاق مرأ بين القبيلتين على أن يقوموا بالغزو والقتال في السنة التالية ليتمكن أولاد علي من جمع جموعهم وأسلحتهم وخيولهم استعداداً لهذا الإلتحام .

ومبدو أن الأخبار تطايرت إلى قبيلة الهنادي فحصل لها رية وسؤ ظن من جهة الجمعيات فطالبتهما بالخلف تو كيذا لإخلاصها فخلف الجمعيات غشا وزورا ، مؤ كذب ولاءهم للهنادي ، ولكن الهنادي لم يأمنوا ورأوا زيادة في الحرص : أن يقيموا حدوداً معلومة بينهم وبين الجمعيات وأولاد علي



( هذه الحدود هي مكان ترعة القويارية الحالية ) (١) ، وأنذروا هؤلاء : أن  
أى شخص أو حيوان منهما سيجتاز هذه الحدود سيكون جزاءه القتل فوراً  
بلا انذار .

ولما مضى العام ، وحل موعد الإتفاق السرى المعقود بين الجمعيات  
وأولاد علي كان هؤلاء الأخيران قد اتفقوا نصف ثروتهم فى الإستعداد  
لهذا القتال وتجهيز أنفسهم بالخيـل والسلاح والذخيرة ، أصبحوا على  
استعداد تام لمقابلة الهنادى وشجع أولاد علي على محاربة الهنادى أن  
الأخيرين لم يؤدوا الجزية للوالى محمد علي ( باشا ) الذى ساعدهم على قهر  
الهنادى .

#### القتال ضد الهنادى :

لأجل أن تخلق أولاد علي وحلفائهم الجمعيات سبباً للخصومة بينهم وبين  
الهنادى ، أطلقوا جملاً وجعلوه يجتاز الحدود التى سبق أن حددتها الهنادى  
بينهما وأنذرت من يحاول اجتيازها بالقتل الفورى ، أرسلوا وراءه بعضاً  
من رجالهم بحجة البحث عنه، فما كان من الهنادى إلا أن قتلوا الجمل والذين  
أتبعوه، وعلى ذلك قام أولاد علي بناصرهم الجمعيات ضد الهنادى وقتلواهم  
قتالاً شديداً حتى قيل أن الموقعة الأولى بين الفريقين استمرت ثلاثة أيام  
وثلاث ليالى ، وكثر عدد القتلى من الفريقين حتى طلبوا الهدنة لدفن موتاهم ،  
وقد اتفقا بعد ذلك على أن يعقب كل يوم قتال يوم هدنة لدفن القتلى  
واستمرت الحال هكذا حتى نهاية الحرب .

كان يتولى قيادة أولاد علي — فى هذا الوقت — « حسين أبو داغمة ،

---

(١) رفعت الجوهري : أسرار من الصحراء الغربية ص ١٣١ ، ١٣٢ ،



من قبيلة أولاد خروف « من أولاد علي الأبيض » ، ثم تولى القيادة بعده مطرود المطراحي ، من أولاد خروف أيضاً « ثم أخيراً عبد الرحمن أبو علوة » .

وقد استمرت الحرب ثلاثة أشهر أقيمت بهزيمة الهنادي وانسحابهم إلى وادي النيجر شرقاً ، حيث أقاموا في محافظة الشرقية ، وقد منح محمد علي ( باشا ) أولاد علي « فرمانا » بمعاذاتها من الخدمة العسكرية مكافأة لهم !!

على أن المناوشات بينهما لم تنته ، بل أن الهنادي كانوا يفتزون فرصة مرور أولاد علي في موسم الحج ليقاتلوا قوافلهم الذاهبة إلى الحجاز .

ولما تم لأولاد علي تطهير الصحراء الغربية من الهنادي استولوا على أراضيهم في البحيرة وقسموها ، فخصم الثلاثين وخص الجمعيات الثلاث الباقى ومنح أولاد علي الجمعيات حقوق المحاربين « كالسعادي » تماماً بعدما كانوا معتبرين من قبائل المرابطين ، عاشوا في وئام حوالى مائة عام أخرى .

وبعد هذا التاريخ وفدت بعض القبائل من الغرب من ذرية جبريل وبرغوت أخوة عقار جد أولاد علي ، وهاجموا أولاد علي من ناحية سيوة ومن الوجه القبلى أيضاً ولكن هذا الهجوم فشل ، فقد تغلب أولاد علي على هذه القبائل واضطروهم للانسحاب نهائياً إلى المغرب بعد قتال غير منتظم بينهما .

وأتفق أولاد علي فيما بينهم على توزيع قبائل المرابطين الذين ساعدوهم في القتال فظلوا تحت حمايتهم والذين انضموا تحت لوائهم في الجبل الأخضر ، فعقدوا اجتماعاً كبيراً في مكان يقال له الحجفة قريب من طبرق وحضرت



بعض العائلات ذات الأهمية من المرابطين هذا الاجتماع، وقد منحهم أولاد  
على الإمتيازات الآتية :

١ — حق النزالة ( حماية القبائل )

٢ — حق الفصالة ( حق المضيف )

٣ — حق الدم بالدم .

( أن يكون الدفع في الدية المثل بالمثل ، أى أنهم (١) مماثلين للسعادي  
في الدفع .

أهم قبائل المرابطين :

الحوايص :

قبيلة يقيم أغلبها بوادى النظرون ويشغلون بنقل النظرون وسمار  
الحصير من البحيرات القريبة مثل : المغزة وغيرها، وكذلك يعملون في نقل  
البلح من واحة سيوة إلى وادى النيل بطريق درب المحصحص وكراسة  
( لمسافة ١٣ يوماً ) .

وهم مشهورون بمهارة الخلق وطيب النفس وبعدهم عن الخصام ...  
ولا يحملون السلاح إلا للدفاع الشخصى وحماية حيواناتهم في المرعى، ومع  
أنهم معتبرون من المرابطين إلا أنهم مثل قبيلة الجمعيات لا يؤدون أى ضريبة  
للسعادي ويشاركون أولاد علي في نقل محصول البلح من الواحات البحرية  
فينزلون هناك بمخديشا وينزل أولاد علي بالبلويطى .

---

(١) رفعت الجوهري : مرجع سبق : ص ١٣٣



### وهم سالة القدادقة :

أحدى قبائل المغرب وبروون أن نسبهم ينحدر إلى الشيخ عبد الجواد الكسار ، وأنهم نزحوا إلى مصر قادمين من جهة الساقية الحمراء بمراكش من حوالي خمسمائة سنة ، وقد قاموا بعدة خدمات جليلة لوالى مصر : محمد على باشا ، بوادى النطرون وكافأهم عليها بامتيازات عديدة منحهم إياها .

ويقيم بعضهم مع أولاد على بالصحراء الغربية والبعض الآخر بفلمج الأرض بمحافظات البحيرة والغربية والمنوفية والجيزة .

### الجمعيات :

قد تكون هذه القبيلة من سلالة بدو مريوط ، وأن كان ابن خلدون ذكر أنها من سلالة السعادى ، وأنهم من ذرية خديجة أخت على وأبنة عقار . والجمعيات أنفسهم يقولون أنهم من سلالة أولاد سليمان والقطعان ومن سلالة كعب .

فإذا صح ذلك ، فإن الجمعيات يكن أقدم عهد من السعادى الذين منهم أولاد على ، ولكن أولاد على لا يقرون هذا ، يعتبرون الجمعيات من المرابطين ، وأن كانوا لا يؤدون أى ضريبة للسعادى .

يتضح من هذا العرض أن الجمعيات من أقدم القبائل التى سكنت هذه المناطق ويقرر شيخهم سعد « بك » المصرى : أنهم يسكنون مصر من سبعمائة سنة — لكن الشيخ علوانى سليمان — وهو من شيوخهم أيضاً — يقول : أن نسبهم — أى الجمعيات — كالاتى :



كعب بن علي ( من الصحابة )

فوح	شبيب	قامم	شتور	موسى	عيسى
النواحة	الشهابيين	القوامم	الشتوريين	أولاد موسى	أولاد عيسى

والجمعيات ، الفازلون بمريوط من الشتور ، أما الفروع الأخرى (١) ،  
فمعظمهم يقيم في محافظات البحيرة والغربية وأيضاً برمل الإسكندرية .

السمالوس :

وهم منتشرون بكثرة مع أولاد علي وعلى حدود الصحراء الغربية وفي  
كثير من محافظات الفيوم والبحيرة والمنوفية والغربية والشرقية ،  
أما شيخهم أبو صالح . فكان يقيم بالمنيا . . ويقرون أنهم وفدوا على مصر  
من نحو ٢٠٠ سنة ، كان عددهم نحو ٤٠٠ فارساً قادمين من وادى سمالوس  
بالجبل الأخضر ، وأن جدهم الأكبر أحمد نصر الحسانى من قبيلة بنى سليم  
المشورة .

الشميميات :

هم مجموعة من البدو ويعملون رعاة من المر بطين بوادى النطرون  
ومنتشرون بين عائلات السعدى ويلاحظ عدم الخلط بينهم وبين الشميميات  
من أولاد علي .

(١) رفعت الجوهري : أمرار من الصحراء الغربية ص ١٣١ ٢٠٣٤١٣٣٤



## أهم الآثار في الواحات :

### مقابر البجوات :

هي المدافن الأساسية في الواحة الخارجة، وقد ظلت كذلك زمنا طويلا يمتد إلى القرن الثاني الميلادي على أقل تقدير ، يدلنا على ذلك العديد من الكنائس والأديرة التي ما تزال باقية إلى يومنا هذا .

وتعتبر هذه الأديرة سجلا غنيا لدراسة العمارة الدينية القبطية نقشت عليها أقدم رسوم الفرسكو في مصر .

وقد استمرت البجوات حتى الفتح الإسلامي (القرن السابع الميلادي) ثم شجرت المدافن .

وفي العصور الوسطى كانت المنطقة عمرا للكثيرين من الرحالة المسلمين ، وكذا الزاهدين إلى الحج من شمال إفريقيا عن طريق عيذاب .. ولذا رأينا الكثير من عبارات التقدير والاعجاب التي سجلها هؤلاء وأولئك على جدران الكنائس والأديرة .... خاصة تلك التي تحتوي على رسوم بالفرسكو فهناك أكثر من ثمانين ديورا وكنيسة تحتوي على كتابات عربية يرجع أقدمها إلى القرن التاسع (١) . وقد شملت هذه الكتابات أشعارا عن الحب والغرام ، وكذا العديد من التوقيعات .

وفي القرن الخامس عشر الميلادي بنيت قرية صغيرة على بعد خمسة كيلو مترات ، من المدينة القديمة ، وقد شملت هذه القرية كثيرا من المساجد التي يرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر الميلادي أيضا .



وقد تكون كنيسة سفر الخروج أقدم ما عثر عليه حتى الآن في العالم المسيحي كله، إذ أنها ترجع إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، ويتمثل فيها أقدم رسوم للفرسكو الموجودة بمصر، تلك الرسوم التي غطت معظم الحوائط الداخلية للكنيسة وتقول الدكتور / سعاد ماهر : « أنه اعتمادا على هذه الرسوم استطعنا أن نرجع هذه الكنيسة إلى أوائل القرن الرابع أي قبل أن يعترف الامبراطور ثيوديسيوس سنة ٣٩٢م بالدين المسيحي، أما الأسلوب الذي رسمت به الموضوعات التصويرية، فهو على جانب عظيم من الأهمية، إذ أننا نجد أسلوبا مخالفا تماما لمخالفة الأسلوب الفني السكندري الذي كان سائدا في ذلك الوقت، أي في القرن الرابع، فنلاحظ أن الرسوم الأدمية والحيوانية بعدت عن الطبيعة وأصبحت ومزية تعبيرية إلى أقصى حد مما لم يسبق له مثيل من قبل، فكثرت الزخارف الهندسية التجريدية وملأت مساحات كبيرة، ومثل هذا الأسلوب لم يكن متبعًا كذلك، فإن الزخارف الهندسية كانت دائما عنصرا مساعدا للرسوم النباتية أو الحيوانية. أما أن تملأ مساحات كبيرة بخطوط هندسية مجردة، فهو أسلوب جديد.

وتتابع الدكتور / سعاد : « وهكذا نستطيع أن نقول أن طراز افنيا جديدا ظهر في المقابر والكنائس المسيحية الموجودة في الصحراء الغربية بعيدا عن الحكم والرهبان، ولما كان هذا الطراز الفني خاص بمسيحي مصر وهم الذين عرفوا بالاقباط منذ سنة ٢٨٤م — وهي سنة الشهداء — فاننا نستطيع أن نقول أن الفن القبطي نشأ في القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير ويمتاز هذا الأسلوب الجديد بأنه أسلوب بعدت عناصره عن محاكاة الطبيعة، إذ أنه يعد بالمادة واكتفى بالرمز اليها أو التعبير عنها بأبسط الوسائل وأقلها، بل أنه ذهب إلى أكثر من ذلك، فقد لجأ إلى تجريد المادة ورمز إليها بمجرد خطوط هندسية ملاءمها فراغات كبيرة وكان هذا الأسلوب بـ«طبيعة الحال يلائم حالة الزهد والتقشف التي وصل إليها المسيحي بعد ما لاقى من الاضطهاد والتعذيب في سبيل الاحتفاظ بعقيدته الجديدة.



ومن أهم الرسوم والزخارف الموجودة بكفيسة سفر الخروج التي ظهرت فيها مميزات الفن القبطي واضحة الموضوعات التصويرية التي تمثل قصص الأنبياء والقديسين الواردة في كتاب العهد القديم وهي :

- ١ — قصة الخروج .
- ٢ — سفينة نوح .
- ٣ — آدم وحواء .
- ٤ — دانيال في الحب مع الأسود .
- ٥ — الاسرائيليون الثلاثة في النار .
- ٦ — عذاب بني اسرائيل .
- ٧ — قصة يونس والحوث .
- ٨ — ريسكا وعبيدها ابراهيم .
- ٩ — ابراهيم واسحق .
- ١٠ — السراعى .
- ١١ — العذارى السبع وغيرها من القصص والموضوعات الاخرى (١) .

ويبدو ضروريا في نهاية هذا البحث أن نعرض لما جاء في بعض المصادر العربية عن الواحات التي هي موضوع هذا البحث ...

---

(١) د . سعاد ماهر : مرجع سبق : ص ٢٠٨



١ - يقول الاصطخرى :

« أما الواحات فإنها كانت معمورة بالمياه والأشجار والقرى والناس ،  
وبها إلى يومنا هذا ثمار كثيرة وغنم ، وقد توحشت فهي تتوالد والمسافة  
بين الواحات وبين صعيد مصر من جهة الجنوب نحو ثلاثة أيام يقطعها  
المسافر وتتصل الواحات بالنوبة بيرية ، فتتفرع إلى أرض السودان .

« وبلد الواحات ناحيتين ويقال لهما بالداخلية والخارجية وبين الداخلية  
والخارجية ثلاث مراحل وأجلها الناحية الداخلية ، وهي واسطة البلد  
وقرار آل عبيدون ملوكها وأصحابها وفيها مساكنهم وأموالهم وعدتهم  
وذخائرهم وهما حارتان بينهما نصف يريد وبكل حارة منهما قصر إلى جانبه  
السكان لحاشية من منزله وخاصة وأصحابه وأضيافه وفيهما حرمهم وتعرف  
أحدى الحارتين بالقلبين والأخرى بالقطر والناحية الخارجية تعرف  
بببرس (١) ، يخطط وهما خمسة أضعاف ويشتمل كل صقع على مقابر  
تتقارب في المنزلة والحال (٢) .

ابن دقاق :

ذكر ابن دقاق أربعة وعشرين بلداً في مملكة الواحات . . . يقول :  
« واحات جميعها وهي الخاص والداخلية والخارجية أقربهم إلى الأعمال  
البهيسائية وميرتهم أربعة وخمسون ألف ينار :

واح الخاص ( ثلاثة عشر ألف ينار ) ١٣٠٠٠ دينار

(١) تعرف اليوم باسم باريس

(٢) الاصطخرى : المسالك والممالك : ص : ١٣٠



والخارجة ( اثني عشر ألف دينار ) ١٢٠٠٠ دينار

الداخلة ( تسعة وعشرون ألف دينار ) ٢٩٠٠٠ دينار

وهي بلاد كثيرة وبها قلعة، وبهذه البلاد من الفواكه والثمار شيء كثير  
وكانت في القديم مملكة قائمة بنفسها وكان لصاحب قصر على صاحبها قطيعة،  
ثم صارت مضائق إلى مصر .

وهو إقليم غير متصل بغيره تحيط به المقماوز وحيزه بين مصر  
والإسكندرية والمغرب والصعيد والنوبة والحبشة ومسافاته من كل ناحية  
مقاربة للآخرى ، وقيل هي ثلاث واحات :

الأولى : تسمى الخارجة وقصبتها تسمى المدينة .

الثانية : وهي الخطى وفيها مدينتان أحدهما وهي الكبرى وتسمى  
القصر والآخرى تسمى هندا وهما مستورتان .

الثالثة : وتسمى الداخلات وفيها مدينتان أحدهما وهي الكبرى تسمى  
أرني والثانية ميمون ، وبها عيون حامضة وأهلها يشربون منها ويسقون  
أراضيهم ومتى شربوا من غيرها استوبأوا . . . . .

ويقال أن عدة بلاد الوحات أربعة وعشرون بلداً منها :

• القصر — وبها عيون حارة مثل الحمام .

• وأفطيمة — وفيها أعناب كثيرة وأتبان .

• وشكول — وفيها أرز وعنب .



- وحافاته - وفيها أرز وكروم .
- وعين جديد القبلية - وبها كروم كثيرة ويزرع بها الأرز .
- وبرقس - وبها كروم كثيرة ويزرع بها الأرز أيضاً .
- والقلون - وهى بلد كبير كله كروم وبها كنيسة النصارى .
- والقلول - وبها كروم وتزرع الأرز .
- وعنفيش - وبها نخيل وموز كثير وكروم كثيرة ويزرع بها الأرز والجبن الذى يعمل من لبن بقرها .
- ربوط - وبها كروم ويزرع بها الأرز الطمدا وينزل بها المتولى على القوم .
- وينسطر - ويزرع بها الأرز .
- وبني يزيد - ويزرع بها الأرز أيضاً .
- وسمنت القديمة - ويزرع بها الأرز .
- وسمنت الخطا - ويزرع بها الأرز .
- والمعصرة القرية - ويزرع بها الأرز أيضاً .
- والقصبة - وهى بلد كبير وبه كروم ويزرع بها الأرز .
- وبلاط - ويزرع بها الأرز أيضاً .
- وبني يزيد الشرقية - كفر صغير ويزرع بها الأرز .
- وتليدة - بلد كبير يزرع به الأرز .
- وحاجز القصر - بها كروم ويزرع بها الأرز .
- وأنطيسة - وبها كروم ويزرع بها الأرز .



وهذه البلاد تسمى ألواح القبلية ، ويسافر إليها مزيير أسيوط مسيرة ستة أيام ثم يأت المسافرون بعد ذلك إلى عين مور تحت جبل يحملون فيها الماء إلى الواح .

وفي المنتية معدن الشب الأصفر والأبيض مباع ، وبأرض الواح يزرع القطن وهي كسوة أهلها ولم يخرج منها، وفي البلد تسمى موط معدن الحوت وهي الزاج ويسمى أيضاً القلقند .

و يقال أن ببلاد الواحات عيوناً حامضة تستعمل مياهها كاستعمال الخل ومنها عيون مرة، ومن قوة مائها لا يخالط شيئاً إلا مرره ، وأن العلة في اختلاف هذه الطعوم في المياه أن بها مواد مختلفة مثل مواضع الشب والزاج والمواضع النارية والرمادية .

وذكر الأطباء أن أعداد الطعوم ثمانية : أولها العذب والدمم والخلو والمالح والحامض والمر والقابض والحريف، والعذب نوعان بارد وساخن، أن يستعمل من خارج وداخل مقيد الحار، فإنه ينقي الجسد وأن يستعمل أكثر فإنه يرخي الأعضاء ويضعفها وأن البارود يشد الأعضاء ويدفع العطش ، وأن الزيادة منه تخدر الجسد وتميته وأن الماء الأجاج ينفع من أوجاع الصلب والعصب وماء الحديد نافع من الإسترخاء وماء النحاس نافع من الرطوبة والبله الكائنتين في الجسد والرأس ، وماء الحسبا يشنج المعدة ويبضها ويكرشها وماء الزاج يحسن الدم وماء البحر نافع من البرص .

وقد ذكر أنه من الأخلاط الفاسدة ، إذا شرب اليسير منه مع دهن اللوز ، وله في البصر أتعاب فظيع وأن أصبح المياه للأجساد الماء الأبيض الصافي البراق الذي يخرج من جبال الطين من مشرق الشمس نحو مغربها القابل بسرعة ما يرد إليه من الحر والبرد (١) .

---

(١) ابن دقاق : الانصار لو اسطة عقد الأمصار ص : ٣٧



### ابن حوقل :

الواحات كالناحية المعزلة في مركزها دائرة من النيل ، تبعد غربا من مدينة الأقصر في صعيد مصر بحوالى الثلاثين والمائة من الأميال . ومن أى نحو قصدت الواحات من أنحائها كان الوصول إليها من ثلاث إلى أربع مراحل والناحية الخارجة منها المعروفة ببخيط وبيبيرس أقرب إلى أقرب إلى النيل من قصدها من ناحية النوبة ومن اجتاز بها من أرض مصر وقصدها من أسنى ( أسنا ) وأرمنت تزود بماء النيل إلى بيبيرس ومن قصدها من البليغا واخميم وأسيوط والأشمون من أسافل الصعيد كان وصوله إلى ببخيط وتزود بماء النيل ومن قصدها من أسوان راعى الصعيد اجتاز يد نقل بماء عد في أحساء تحفر باليد وتزود بالماء إلى بيبيرس ومسيرة كل طريق مما ذكرته ثلاث مراحل وأكثر هذه الطرق في عقاب وأودية وجميع من قصدها من الأربع نواح يقطع الوادى المعروف بدواى واحساء بنى قسالة .

« ومن قصد الواحة الداخلة وهى دار مملكة آل عبيدون وبينها وبين الفرغرون ( الفرافره ) مرحلة ... »

« وقد يقصد الواحات من ناحية المغرب ومن جزيرة فيها نخيل وسكان من البربر تعرف بسنتريه ( ترجع فى أصلها إلى سنتريس وهى فى المنوفيه ، أنظر القاموس الجغرافى للبلاد المصرية : القسم الثانى الجزء الثانى : ص ١٦٢ ) فيكون أول وصولهم منها إلى ناحية البهنسا . »

« والفرغرون قرية ذات قصور وبين بهنسة مصر وبهنسة الواح أربع مراحل وهى فى جملة الواح الداخلة وتصب الماء فى هذا الطريق بموضع يعرف بماء النخلة . »



ويتابع ابن حوقل : ه أن بالوحدات عجائب شتى منها ما هو ملفوف وقائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب ، ويقال : أنه في بعض المدائن الداخلة مرآة يرى فيها جميع ما يسأل الإنسان عنه ، ويقال أنه صنع منها واحات دخلة ووحدات باطمة يظهر في بعض الأحيان لمن شاء له الله تمويها وأن بعض الرجال من أهل صعيد مصر أتاه رجل وأعلمه بأنه يعرف مدينة بأرض الواحات بها كنوز عظيمة وبها أنهار وأشجار وثمار وأطيار فتزود وخرج مسافرا إليها معه فسار في الرمل ثلاثة أيام حتى أشرفا على مدينة عظيمة وبظاهرها نهر عظيم وإلى جانبه شجرة عظيمة فأخذ الرجل من ورق تلك الشجرة فدقه ولطخ بمائه ساقها وخاص نطاق النهر فلم يتعد الماء حد ماء الورق فصعدا إلى المدينة وأخذوا من الذهب الذي بها ما أرادا وأطلقا حملا وتفرقا فدخل ذلك الرجل الصعيد لبعض ولادة الصعيد وعرفه القصة وأراه عين الذهب فأخذ منه الذهب ووجه معه جماعة وزودهم بزاد وجعلوا يطوفون بتلك الصحاري مدة فلم يقفوا لتلك المدينة على أثر .

وقيل : أن الواحات كانت أعمر المدن إلا أن أهلها تحاسدوا وفشت بينهم حروب كثيرة وأخرجت بلادهم فسميت بالوحدات .

وتنتج هذه البلاد : القمح والزبيب والمشمش والعناب والعرقسوس والأرز وبها الموز والرمان والبرقوق والسفرجل كثيرا وبها الفارنج . وببلاد الواحات مياه مختلفة أبيض وأصفر وأخضر وغير ذلك . . وبمغارات الواحات عرب سليم يقطعون بها الطريق على من أرادها أو من خرج منها .

وكذلك العكارمة يغزونها ، وهذه البلاد لم يزل أهلها يحتزون محتفظون منهم . وبلاد الواحات الآن بيد أمير بن طليباخانات : أحدهم الجناب الملائي ابن الطيلاوي والآخر أمير فرج نائب الوجه البحري وبها جامع أمر بعمارة الوزير المأمون بن الطانجي .



« ومدينة سنقرية » في صحراء الواحات بنيت في زمن منقادس من أشمور وهو العاشر من ملوك مصر بعد الطواف عمرها من حجر أبيض وجعلها مربعة على تقدير واحد وجعل في كل حائط من حيطانها الأربعة بابا في وسط ينتهي الحائط المحاذي له من الجهة الأخرى ، وجعل في كل شارع يمقه ويسرة أبوابها وتنتهي طرقاتها إلى داخل المدينة وجعل في وسط هذه المدينة ملعبا يدور به من كل ناحية وعمل عليه قبة من خشب مربعة مدهونة على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من حيوان أسد يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحي القبة صورة معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة ، كان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعت وحوله ينوء وقراباته وأبناء الملوك .

وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة أرباب العمارات وعلى الخامسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة ويقال لكل صنف منهم تأديبا لهم : أنظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم ، ثم أن المدينة تعاقب عليها السنون وخربت ، ثم عمل مكانها حصن وزرعوا هناك نخيلا كثير يحملون منه التمر والعجوة إلى بلاد مصر والاسكندرية والصعيد والمغرب وتمرها وعجوتها من أذن الثمار وأحلاها ويسمى البید وروبوكل بالسهم فتكون له اذنة عظيمة (١) .

### ياقوت :

جاء في معجم البلدان : أن الواحات ثلاث كور غربي مصر ، ثم غربي الصعيد : ألواح الأول أوله مقابل الفيوم تمتد إلى أسوان وهي كورة عامرة ذات نخيل وضياع حسنة ، وبها تمر جيد أخضر تمر مصر ، وهي أكبر الواحات ووراءها كورة أخرى يقال لها رواح الثاني ، وهي دون تلك



في العمارة وكورة أخرى يقال : واح الثالثة : وهي دون الأولين في  
العمارة ومدينة الواح الثالثة يقال لها : سنترية (١) .

### السعودي :

جاء في مروج الذهب : « أن باللواح شجرة نارنج يقطف منها في  
سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى  
ما هو أخضر (٢) . !!

### المقريزي :

جاء في الخطط : أن الواحات منطقة وراء الوجه القبلي في مغاربة  
ولا تعد في الولايات ولا في الأعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان ، وإنما  
يحكم من قبل هقطعها وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد  
والنوبة بعضها داخل ببعض ، وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بخير  
ولا يفتقر إلى سواه (٣) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : ج ٨ ص ٢٧١

(٢) المسعودي : مروج الذهب : نفس الجزء والصفحة

(٣) المقريزي الخطط : ج ١ ص ٣٣٧



# أثر لغوية في شعر سوقي

بقلم

الدكتور عبد المنعم محمد يوسف







## حياته قبل المنفى وظلالها في شعره

(أحمد شوقي)

١٨٧٠ م - ١٩٣٢ م

ولد في مدينة القاهرة بجهة الخنفى خرج إلى الوجود طفل يجمع بين السامى ، والآرى ويتهى نسبة كما يقول هو عن نفسه إلى العربية، والتركية، واليونانية ، والجر كسية ، فأنحدرت إليه هذه السمات عن آيائه وأمهائه ودرج إلى الحياة فى بيت موفور النعمة نازع إلى الاستقرارية الاجتماعية إذ كان يبتا مرعى الجانب محبوبا من ولاية السلطان منذ عهد محمد على الكبير وهذه الخطوة الأولى فى نشأة شوقى تبشر بنبوغ وامتياز فشوقى أمامنا مولد يرتد إلى عدة أجناس والمولودون يجمعون بين مواهب شتى من عدة شعوب فاذا تفاعلت كان فيها عبقرية فى أية ناحية واذا أردنا الاستشهاد لذلك فى تاريخ الشعر العربى وحده فافنا واجدون أن (١) هؤلاء المولدين هم الذين حملوا لواء التجديد فى الشعر واخذوا على عاتقهم تحرير موضوعاته وأساليبه فسكانوا معالم ممتازة فى تاريخه وانما أريد أمثال بشار بن برد وأبى نواس وابن الرومى الذين أضافوا إلى الشعر العربى سمات طريقه فى الموضوعات والمعانى والأساليب لعل هذه السمات هى التى تلفت نظر مؤرخ الشعر العربى ولقد كان شوقى يحتمل فى تاريخ الشعر الحديث منزلة تشبه منزلتى بشار وأبى نواس فى تاريخ الشعر القديم من حيث أحياء الشعر وتحضيره والتجديد فيه وقد كلفته جدته لأمه واحبته وحملته وهو فى الثالثة من عمره إلى

---

(١) يذهب إلى ذلك الرافعى - شعراء الوطنية نقلا عن التاريخ الثابت فى شهادة الليسانس التى نالها الفقيد من كلية الحقوق بباريس - ويتابعه الخوفى - فى وطنية شوقى - شوقى شاعر العصر الحديث - شوقى ضيف .



الخديوى اسماعيل و كان بصر هذا الطفل لا ينزل عن السماء بسبب اختلال أعصابه فطلب الخديوى بدرة من الذهب ثم فثرها على البساط عند قدميه فوقع الطفل أحمد شوقي على الذهب يجمعه ويلعب به وهنا قال الخديوى لجدة أنه أصنعى معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض قالت الجدة : هذا الدواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي . قال جشني به متى شئت ، أنى آخر من ينثر الذهب فى مصر ، وفى إجابة الجدة للخديوى اسماعيل ما يحمل أروع الدلالة على شاعرية خصبة كانت ممكنة فيها .

ويعني هنا أن نلاحظ هذه الارستقراطية التى بكرت إلى شوقي وهو فى المهد يلعب بالذهب هى التى طبعت أدبه فيما بعد بطابع أرستقراطى أرتفع به عن طبقات الشعب كما أرتفع هو بصياغته عن الشعر المهمل السفساف .

وفى الرابعة عن عمره دخل مكتب الشيخ صالح حيث بدأ الدراسة والتعليم ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية فالشأنوية وأخيرا التحق بمدرسة الحقوق على صغر سنه ثم دخل مدرسة الترجمة وتخرج منها بعد سنتين وقد كان على عرش مصر إذ ذاك الخديوى محمد توفيق فألحقه بوظيفة بالمعية السنية فرح بها الشاب فرحا شديدا .

وهنا نقف قليلا لنلاحظ أن شاعرنا هذا قد رزق منذ نشأته قريحة وقادة وذكاء نادرًا وتربية شريفة وثقافة نبيلة وأحاط بعلوم شتى ولغات عدة .

فكان واسع الثقافة والاطلاع وغيد العيش طويل الفراغ متصلًا بالسياسة وخدمة الملوك متعلقًا بالعرش المصرى والخلافة التركية الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية سمع شعار البارودى الذى أعاد إلى الشعر العربى رونقه القديم فأعجب به وحاول أن يظفر بمنزلته فأقبل على كتب الأدب ودواوين الشعراء وابتدأ كما قال عن نفسه - بديوان البهاء زهير الشاعر المصرى فاحتذاه ثم درس ابن مطروح وابن النبيه ثم فتن بفحول السابقين أمثال



أبي نواس والبحتري وأبي تمام والمتنبي والمهري وأخذ يمتاز عنهم سلطانهم فأعجبه من أبي نواس خمرياته وغزلياته السابقة وحكاياها فقارب وراقه من البحتري حسن ديباجته وأوصافه وتشبيهاته حتى لا يظن أن أكثر ما نراه لشوقي في وصف القصور والهيكل ومواكب الملوك مستمد منه أو محاكى به طريقته ولولا أنه سلك في الحكمة وأرسل المثل مسلك أبي تمام والمتنبي لكان خريج البحتري وحده .

ومن غير شك كان يختلط أثناء ذلك ببعض العناصر الديمقراطية من الشعب ، واسكنه كان اختلاطا محدودا ، إذ كان لا يلبث أن يعود إلى بيئته الاستقراطية فتضعف من شأن هذه الديمقراطية المكتسبة وترده إلى أرسقراطية الأضيلة (١) .

وواضح أنه أخذ في تعلمه الطريق المدني ولم يأخذ الطريق الديني ونحن نعرف أنه كان بمصر حينئذ نوغان من التعليم ، التعليم الديني الشرقي في الأزهر ، وكان خاصا بالتراث الإسلامي وكان متأثرا بالقرون الوسطى وصورة العلوم فيها من لغة وطب وفلسفة وغير ذلك وهي شاحبة ضئيلة ، والتعليم الغربي في المدارس وهو تعليم يستمد من أوروبا ومن كتب الأدب والعلم فيها ، وقد بدأ في عصر محمد علي ثم خمد في عصر سعيد وعباس ، ثم عاد إلى النشاط والازدهار في عهد اسماعيل .

وفي هذا الاتجاه من التعليم المدني الأوروبي سار شوقي وحينما أتم تعليمه القانوني الحقه أبوه بمدرسة الحقوق ليدرس القانون ووصفه أحمد زكي حين دخل هذه المدرسة فقال « كان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥ قتي نحيف هزيل ضئيل قصير القامة وسيم الظلمة تقر يباقي بعبون متألفة ولكنها متنقلة كثيرا فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة فللمساء منه دقائق متهادية وإذا

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ١١ .



قلقت صوب اليمين فيما ذاك لإلا لكي يرمى ببصره نحو الشمال وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادىء ساكن وادع كأنما يتحدث نفسه إلى نفسه أو يتلاقى مع عالم الأرواح ما كان يلابسنا فما تأخذ فيه من اللهو والمزاح ، ولا تهافت معنا إلى تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء ، أو حينما نتنفس الصعداء لا انتهاء موقيت الدراسة (١) .

والصورة التي رسمها أحمد ركي لشوقي توضح لنا معاني أخرى تتصل بشاعريته فهو يلاحظ أنه كان شعلة من الحركة المضطربة المتنافرة وهكذا هو شطحات بصرة ، أما بعد ذلك وفي أعماقه فهو ساكن وادع وهو مع هذا غافل عما يجري مشغول بنفسه لا يلعب مع اللاعبين ولا يلقف الكرة مع اللاحقين .

هذه النشأة الأدبية الرسمية المبكرة انطلقت شاعرنا بالشعر وهو طالب يدرس أولاً ثم عينت اتجاه شعره وموضوعه الأول — ثانياً — فقد مدح الخديوي توفيق مراراً وهو في المدرسة قبل أن يراه فلما اتصل بمعرفته موظفاً بعثه إلى فرنسا سنة ١٨٨٧م ليدرس الآداب الفرنسية والحقوق وقد مكث هناك أربع سنين إلى سنة ١٨٩١ ثم عاد إلى مصر ولكنه لم ينس مولاه وهو يدرس في فرنسا فأرسل إليه يهنئه بعيد الفطر ويشير إلى صلة أنفذها إليه توفيق باشا .

ونلاحظ من الناحية النفسية أن هذا الشعر بدائي تقليدي تعوزه القوة والبراعة .

عاش شوقي في ظل توفيق نحو عشر سنين لا بد أنه قال شعراً كثيراً متصلاً بالقصر أو خاصاً بحياة الشعاع وشبابه وبعضه في الجزء الرابع من الديوان أو شيء منه في سائر الأجزاء أو طي الـكتبان لما يفشر الآن مع أنه أصدر ديوانه القديم سنة ١٩٠٠ في عهد عباس الثاني مما يدل على أن شعر شوقي في حاجة أشد إلى العناية بفشره من جديد .

(١) ذكرى الشعاعين ( حافظ وشوقي ) .



وأما عصر عباس الثاني وقد كان شاعراً أثيراً لدى عباس وشاعره فكان أحفل العصور في حياة شوقي بالحوادث والآثار الشاعرية وسبب ذلك تصادم التيارات السياسية العليا في هذه البلاد بين احتلال بغيض غير مشروع وسياسة تركية يخفف من حدتها ضعف سلطانها وما يلازمها من صلة روحية بمصر، ثم استشراف مصر إلى الجلاء والاستقلال والحياة الدستورية مما جعل الوضع السياسي لمصر معقداً .

واضطر الشاعر أن يراعى التوازن في شعره بين هذه الجوانب وما يلاحظ أنه كان شديد الاحتفال بالآثار فارغاً للأمر المالك المصرية وفقاً لمطالبة النفسية وأقفاً لاجل ترا بالمرصاد مع الخديوي وفي حدود ما يرى ، والواقع أن شعر شوقي في هذه الفترة يعد سجلاً لمواقعها الرئيسية وهو وحده ديوان أدبي لتاريخها ، ويمكن أن نشير هنا إلى بعض الأمثلة لنرمس السبيل .

أرسله عباس الثاني مندوباً للحكومة المصرية بمؤتمر المستشرقين الذي عقد بمدينة جنيف بسويسرا في سبتمبر ١٨٩٤م فألقى هناك همزيتة في تاريخ مصر إلى عهده ومطلعها :

همت الفلك واحتواها الماء  
وحداها بمن تقبل الرجاء

يقول فيها مما يتصل بحملة فابليون :

وأق النمر ينهب الأرض نهبا  
حوله قومعه النور ظماء  
يشتهي النيل أن يشيد عليه  
دولة عرضها الثرى والسماء



حلت رومها في الليالي وراها القياصر الأقوياء  
فأتت مصر رسلمهم تتوالى وترامت سودانها العلماء  
ولو استشهد الفرسييس روما لأقتهم من روما الأنبياء

ومهما يكن من قيمة هذه الهزيمة فلعل الذين يعرفون الغاية من مؤتمرات  
المستشرقين يدركون أن هذه القصيدة لم تكن ذات أهمية كتلك البحوث  
العلمية التي تتجه في هذه المؤتمرات .

وتحدث حادثة دنشواى ويمر عليها عام والناس يلاحون في طلب العقو  
عن سجنائها فيقول شوقي :

يا دنشواى على رباك سلام  
ذهبت نأس ربوعك الأيام

شهداء حكمك في البلاد تفرقوا  
هيات للشمل الشتيت نظام

مرت عليهم في اللحد أهلة  
ومضى عليهم في القيود العام

فوحى حاتم دنشواى وروعى  
شعبا بوادى النيل ليس ينام

السوط يعمل والمشائق أربع  
متوحديات والجنسود قيام

والمستشار إلى الفضائع ناظر  
تدمى جلود حوله وعظام

ولقد مرت بمصر حادثة فظيعة لم يقل فيها شوقي أول الأمر شيئا تلك  
هى حادثة دنشواى ولم ينطق إلا بعد مرور عام (١) .

---

(١) في الأدب الحديث الجزء الثانى ص ٩٤



كان المنتظر من شوقي وأمثال شوقي أن يعبروا عن عواطف المصريين جميعا إزاء الكارثة وأن يشعلوها نار اضطرمة الأوار متأججة السعير تحرق تلك القلوب الخليطة التي اقتضت من غير شفقة ولا رحمة من قوم عزل ضعاف مظلومين ولكن شوقيا اتبع سياسة القصر في ذلك سياسة الحياد والمهادنة والخوف من كرومر الطاغية (١) .

بل نرى شوقي يتورط أحيانا في مدح الإنجليز تبعا لتشكك موقفه السياسي منهم وقتئذ بموقف القصر أو تبعا لسيره حينذاك في طريق المصلحة الشخصية ومن ذلك الشعر المتورط قصيدته التي قالها بمناسبة حفل تتويج الملك أدوارد السابع سنة ١٩٠٢ تلك القصيدة التي يقول فيها عن موكب الملك البريطاني :

إلى موكب لم تخرج الأرض مثله

ولن يتهادى فوقها من يقاربه

إذ سار فيه سادة الناس خلفه

وشدت مغاوير المملوك ركائمه

ولا شك أن حادثة دنشواي من الجروح الأليمة في أديم مصر وفي قارئها الحديث وقد صور شوقي لفتحها والآلم لم يبلغ في ذلك ما يجب ولعلها تستحق أن تقيم درامه مروعة تنهض بكتابتها أدباء المسرح الحديث .

ويذكر شوقي حريق ميت عمر المشهور فيقال لهذه المدينة ويصف مأسيتها الفاجعة يقول :



لو أن فيرون الجهاد قواده  
يدعى لمنظرها لعاف المنظرا  
أو أنه ابتلى الخيل يمثلا  
أستغفر الرحمن ولي مدبرا

وكان شاعرنا يرقب أطوار الحياة السياسية والاجتماعية في تركيا ،  
فيسجلها واحدة واحدة وشعره في هذا الباب جيد كثير يعتمد على شعور  
صادق وعلى هذه الصلة بين القاهرة والاستانة وعلى أساس جنسى ودينى .  
وكان شوقى على كل حال ظل عباس الثانى فى هذه المواقف وظل رأى  
المصرى والإسلامى العام إلى حد كبير ففى حرب تركيا واليونان الأولى  
يقول بأنيته التى خاطب فيها السلطان عبد الحميد :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب  
وينصر دين الله أيمان تضرب  
نزل الهلال عن السماء فليتها  
طويت وعم العالمين ظلام  
ويقول فى الدستور العثمانى :

الرأى رأى أمير المؤمنين  
جارت رجال وضلت فى مرائها  
وإنما هى شورى الله جاء بها  
كتابه الحق يعليها ويغايها

وفى ظل الراية الإسلامية التى ترفعها تركيا وترقبها البلاد الإسلامية  
يعنى شوقى بميلاد الرسول والسنة الهجرية ويضفى على الوقائع التركية لونا



من الوقائع الإسلامية الأولى حتى طبع قسم كبير من شعره بهذا الطابع الإسلامى .

ومع عنايته بمصر وتركيا لم يغفل الأحداث والمسائل المالية العامة التى تستوقف نظر العالم وتستدعى عنايته سواء منها ما يتصل بالماضى وما يتصل بالحاضر فلما زار اثينا سنة ١٩١٢ لحضور مؤتمر المستشرقين قال فيها :

إن تسألنى عن مصر أحواء القوى      وقراره التاريخ والأنار  
فالصبح فى مئذ وطيبة واضح      من ذا يلاقى الصبح بالآفكار



## الحقيقة الإسلامية في شعر شوقي

من يطلع على الشوقيات يستطيع أن يتبين الحقيقة الإسلامية إما في قصائده التي أتجه بها نحو مدح الرسول عليه السلام وإما في قصائده الكثيرة التي يتغنى فيها بالخليفة وباترك وشجاعتهم وخلقههم وما ينوطهم به المسلمون من آمال تجيش في صدورهم .

ولشوقي في هذا الباب قصائد كثيرة وخاصة في عهد الخليفة عبد الحميد ومن أروع ما نظمه في هذه التراكيب قصيدته « صدى الحرية »

بسيوفك يعملو الحق والحق أغلب  
وينصر دين الله أيمان تضرب  
وما السيف إلا أية الملك في الورى  
ولا الأمر إلا للذى يتغلب

والاندلس الجديدة :

يا أخت أندلس عليك سلام  
هوت الخلافة عنك والاسلام  
نزل الهلال عن السماء فليتها  
طويت وعم العالمين ظلام

تحية الترك :

بمحمد الله رب العالمينا      وحمدك يا أمير المؤمنين  
لحينما في عدوك ما لقينا      لحينما الفتح والنصر الميما

ولا يقرأ الإنسان هذه القصائد حتى يحس عاطفة قوية ويعمل ذلك شوقي ضيف ( ربما كان ذلك يرجع من بعض الوجوه إلى عنصر شوقي



التركي فكان يستشعر في نظمه أبياته وأصوله وفي الوقت نفسه كان يريد أن يرضى سيده وكان أيضا يريد أن يرضى الشعوب الإسلامية فاجتمعت أسباب متشابكة لتضفي على تركياته جمالا وقوة (١) .

وقصائده التي اتجه بها نحو مدح الرسول الكريم أشهرها نهج البردة والهمزية وتعدان أحفل شعره المحافظ بمظاهر التقليد فقد جرى في نظمها على المعتاد في جمهرة شعره وزاد فاتخذ فيهما من البوصيري استادا يقتبس منه ويتشبه به ثم لا يكاد يقتصر في هذا ولا ذاك فانما يريد أن يكونه وكفى (٢) ويبدوا أن البوصيري في قصيدتي البردة والهمزية لم يتخذ من شاعر أماما ولا من شعر مثالا فجاءنا صورة لنفسه أو وحيا عن حسه .

والغالب أنه مع ذلك فكر في بعض ما دحى الرسول ونظر إلى بعض مدائحهم فيه كدأب الناس كلما عاجلوا أمرا ذا بال ، وكان للسابقين فيه مقام وذكر ، فإذا صح هذا فكعب بن زهير على ما أرجح أحق أن يكون أسبق السابقين إليه ، وأطولهم ملازمة له . وقصيدته ( بانث سعاد ) أحق تبعاً لذلك أن تكون أول المدائح النبوية خطورا بالبال وأوضحها تمثالا له وأشدّها اثارة لا تتباهه فقد ظفر كعب وقصيدته من سعة الشهرة وحفاوة الأدب بأفضل ما يظفر به منهما شاعر وقصيدة .

وكانت داعية البوصيري قبل ذلك إلى نظم البردة تشبه داعية كعب إلى نظم بانث سعاد شها كبيرا فكان كلاهما من الرسول عليه السلام بمقام العائد المستشفع كربه لهم وضائق عليه الأرض وتقطعت به الأسباب إلا أن كعبا كان يستشفع إلى الرسول وصاحبه كان يستشفع به

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٩ للدكتور شوقي ضيف .

(٢) الدين والاخلاق في شعر شوقي ص ٢١ على النجدي ناصف .



صلوات الله وسلامه عليه فكعب كان طريدا مشردا هجا الرسول وصدعن دعوته فسخط الرسول عليه وأهدر دمه فأشفق كعب وأيقن بالتلف ولم يدر أول الأمر ما يصنع ثم بداله أن يعود الرسول ويستشفع إليه بالشعر الذي أسخطه عليه ، فنظم بافت سعاد وقصد بها إليه فأمنه إليه وعفا عنه وتقبل قصيدته وأثابه عليها يردته الشريفة الطاهرة . وأما البوصيري فكان مريضا عاجزا ولا أمل إلا في بر كته فنظم البردة يمدح فيها الرسول الكريم ويستشفعه إلى الله أن يلطف به ويكشف الضر عنه ومن قوله رحمة الله في ذلك .

« فعملتها — يعني القصيدة ، وكررت انشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبي ﷺ فمسح علي وجهي بيده المباركة وألقى علي بردة فاتتحت ووجدت في نهضة فقمتم (١) ولأمر ما رأى رسول الله حين رآه يلقي عليه بردة . أليس ذلك هو ما فعل النبي إذا تشده كعب (بانت سعاد) أو ليس ذلك حقيقيا بالإشارة إلى البوصيري حين فكر في قصيدته كان يفكر أيضا في كعب وقصيدته وأنه كان يغبط ويود لو أدرك بالبردة مثل الذي أدرك صاحبه ببانت سعاد والبوصيري بعد ذلك كله مدحه نبوية على نمط بانت سعاد في الوزن والقافية ومطلعها :

إلى متى أنت باللذات مشغول

وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وعجيب أن يكون البوصيري في قصيدته هاتين على ما يبدو من الاستقلال والحفاظ على الشخصية وأن كان يعيش في عصر اتسم بالتقليد والجمود وأن يكون شوقه على ما نرى من الاقتداء والمحاكاة وإن كان يعيش في عصر تهيو ونهوض .

(١) فوات الوفيات



والباعث عند شوقي أنه نظمها بمناسبة حج عباس حلمي الثاني وسار الشاعر في طريق البوصيري ولقد تفصل فضيلة شيخ الجامع الأزهر آنذاك فشرحها وربما كان أروع ما في القصيدة التي فتحت شيخ الأزهر فجعلته يشرحها المقطع الخاص بالدفاع عن غزو الرسول مما يردده المبشرون وبعض المستشرقين عن الإسلام وأنه انتشر بالسيف والدم يقول: (١)

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا  
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم  
جهل وتضليل أحلام وسفطة  
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

وواضح أن شوقيا يدافع عن غزو الرسول وأنه لم يغز إلا بعد الدعوة بالحسنى وعرض قرآنه على الكفار وقد أخذ يقرر أن الشر لا ينحسم إلا عن طريق السيف إلا بالشر وراح يوازن بين الإسلام والمسيحية فراها لم تنشر إلا عن طريق السيف والقوة على نحو ما هو معروف في عهد قسطنطين وحلفائه ثم نظر في دولها الحاضرة والدولة الإسلامية فوجد الدول المسيحية تعد كل ما تستطيع من قوة لتحطم الإسلام والمسلمين فهي التي تستغدي السيف وتسفح الدماء (٢).

وفي كثير من جوانب شعر شوقي يردد هذا اللحن الديني وما يتصل به من تمجيد الإسلام ويشعر الإنسان في غير موقف بأنه راسخ العقيدة وهو القائل:

فلم أر غير حكم الله حكما ولم أردون باب الله بابا

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث - للدكتور شوقي ضيف

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث ص ١٣٣ للدكتور شوقي ضيف .



على أنه ينبغي أن لا نبالغ وتصور نزعة الدينية ونظنها نزعة صوفية فيه ، فقد كان يقنى الجماعة الإسلامية بهذا ونحوه .

ثم انجبه إلى حث الأمة الإسلامية على استعادة أجدادها وبعث الأجداد العربيه ومقاومة المفاسد التي جاءت بها المديفة الغربية وكان تلك نتيجة لتطور الحقيقة الإسلامية في شعر شوقي .



## أسباب نفيه

إذا كانت سنة ١٩١٤ قامت الحرب العظمى وسافر عباس الثاني إلى تركيا ولم يعد وأعلنت الحماية الإنجليزية على مصر ، وقطعت صلاتها بتركيا وتولى السلطان حسين كامل عرش البلاد فيقف شاعرا مرتاعا لهذه الأحداث ويتعقد موقفه بين تركيا القائمة على الجنس والدين وبين إنجلترا عودته بالأمس والمتسلطة عليه اليوم وبين مولاة عباس الذي حرم عرشه وبين هذا البيت العلوي الذي رعاه ويتزعمه اليوم السلطان حسين كامل فإذا يفعل بين هذه التيارات المتناقضة .

لقد حاول شوقي أن يؤلف بين هذه المتناقضات جميعاً في لاميته التي قالها بعنوان السلطان حسين كامل :

الملك فيكم آل اسماعيل  
لا زال بيتكم يظل النيل

هنا السلطان وأثنى على الإنجليز وعتب على تركيا عداوتها لإنجلترا ووفى للبيت المصري المالك وعزى المصريين ونعى عليهم اختلافهم وعطف على عباس قلب عمه السلطان حسين كامل كل ذلك في هذه القصيدة التي تعرض خبر شعره وربما كانت فاتحة شعره التموي الجديد وأورد هنا بعضها فقد قال بعد المطلع :

لطف القضاء فلم يمل يوليكم  
ركنا ولم يشف الحسود غليلا

هذي أصولكم وتلك فروعكم  
جاء الصميم من الصميم بدلا



ووجدت أبائي على صدق الهوى  
وكفى باباء الرجال دليلا

وبرغم محاولته استرضاء الإنجليز لم ينجح لأن روح الحق على الإنجليز  
كانت مظاهرها واضحة في نفس القصيدة .

وانفض ملعبه وساهره على  
أن الرواية لم تتم فصولا

واضطر شوقي إلى أن يرحل من مصر وترك له الإنجليز حرية اختيار  
البلد التي يريد أن يقيم فيه فاختار أسبانيا المحايدة وفضل ميناءها أشبيلية  
باعتبارها أقرب ميناء إلى مصر ونحن مضطرون أن نترك مصر معه وأن  
تسأيره في الأندلس نحو خمس سنين .

---

يراجع في ذلك :

(١) وطنية شوقي : الحوفى .

(٢) ابن شوقي : حسن شوقي .

(٣) من نضال أحمد زكى أبو شادى مجلة أبولو ديسمبر سنة ١٩٣٢



## المنفى وحياته فيه ومشاعره

وإذا كان هذا المنفى نقمة على شوقي الرجل فقد كان نعمة على شوقي الشاعر ، خرج به في الحقيقة من السجن إلى الحرية ، فترك تقاليد القصر وعقد السياسة وعيون الرقباء إلى حيث يعيش حراً طليقاً فارغاً للشعر يعطيه كل مواهبه ويعطيه حقه من الإخلاص والعناية والتجويد ويتلقى عن وحيه ما شاء الشعر من جلال وروعة وجمال وعندى أن شاعرية شوقي الخالصة لم تنطلق من عقاها وتتخذ طريقها إلى النضج والاكتمال إلا منذ نفى ، ففي المنفى توافر لشوقي مع هذه الحرية ذلك الحزن على حياته المصرية وما لا يسها أخيراً من أحداث تستدعى العظة والاعتبار ، ثم ما لقي في الأندلس من عنصرين يعدهما معين الشعر : الطبيعة والتاريخ فاستطاع أن يستمد منهما هناك ما شاءت له عبقريته الفذة (١) .

أما طبيعة الأندلس فهي التي خرجت لنا شعر الطبيعة العزيز في الأدب الأندلسي كما نجده عند ابن حمد يس ، وابن هانيء وابن خفاجة .

ومن نماذج الوصف عند ابن حمد يس :

وضراغم سكفت عرين رياسة

تركت خير الماء فيه زئيراً

فكانما غشى النضار جسومها

وأذاب في أفواهها البلور

ومن نماذج الوصف لابن خفاجة :

وأرعن طلاح الذوابة باذخ بطاول أعنان السماء بغارب

---

(١) أندلسيات شوقي : لصالح الأشر ٦٩



يسد مهب الريح من كل وجهة  
ويزحم ليلا شبهه بالهناكب  
وقور على ظهر الغلاة كأنه  
طوال الليالي مفكر في العواقب

وقد مر شوقي في طريقه إلى الأندلس بقناة السويس مع أبنية فلم يمر  
بها ساكنا، بل أرخها أجل تاريخ أدبي سيامي، أضفى عليها من نفسه جلالات  
ندر أن تظفر به وذلك بقصيدته المنشورة قناة السويس : التي يقول فيها :  
تلك يا أبنى القناة، لفومكما فيها حياة ذكرى اسماعيل وراثه ، وعليها مفاخر  
دنياه ، دولة الشرق المرجاه ، وسلطانها الواسع الجاه طريق التجارة ، والوسيلة  
والمخارة ، ومشرع الحضارة تعبرانها اليوم على فرجة كأنها فلك النجاة  
خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان السكوارث ، تفارق مقتصبه  
مغزى القضية قد أخذ الأبهة وأستجمع كالأسد للارثبة .

أن للنفي لروعة وأن للنأي للوعة ، وقد جرت أحكام القضاء بأن تعبر  
هذا المساء حين الشر مضطرم واليأس محتوم ، والعدو منتقم ، والخضم محتكم ،  
وحين الشامت جذلان مبتسم ، يهزأ بالدمع وأن لم ينسجم نفانا أحكام عجم  
أعوان العدو والظلم إلى آخر القصيدة (١) .

وأخيرا نزل إلى الأندلس هذا المحراب الجديد والكعبة القدسية لهذا  
الحاج<sup>(١)</sup> الراغم ، فاستقبل هذه الآثار الخالدة للدولة العربية فاستخرج منها  
عبر التاريخ العابر ووصلها بعظات التاريخ الحاضر وكان يحسن التفكير  
والتصوير والتعبير حتى عدت أندلسياته صفحة خالدة للشعر والتاريخ .

والعل أول من ذكر شوقي من الأندلسيين هو صقر قریش عبدالرحمن



الداخل مؤسس مجد بن أمية هناك ومقيم هذه الدولة الأندلسية المستقلة ،  
ذلك الغريب العبقرى أول من يستحوذ على ذهن شاعرنا فيذكره ، ويذكره  
بهذا الفن الأندلسى المحبوب ، التوشيح يختص به مؤرخا دولته هشيدياً  
بمجدته الممتاز :

صحب الداخل من أخوته      حديق خاض الغمار ابن ثمان  
غلب الموج على قوته      فكأن الموج من جفد الزمان

ولم يفس ابن عباد ملك أشبيلية وأودية الطلح فقرن به نفسه وذكر  
غربته ووطنه معارضاً ابن زيدون فى قصيدته المشهورة قال شوقى  
يرحمه الله :

يا فائح الطلح      أشباه عوادينا  
نشجى لواديك أم      فأمى لوادينا

ولو أنى طاوعت نفس لتركنا هذا الحديث العام ووقفت عنه هذه  
القصيدة وحدها من وطنيات شوقى حيث التقت صيحات الغرباء واحتشد  
الفن فى أرفع درجاته ، ومع ذلك فساتخذها مناسبة للإشارة إلى هذه  
المراسلة بالشعر بين شوقى فى منفاه وبين زميلة صبرى وحافظ فى مصر ،  
فقد كان شوقى أرسل إلى الأستاذ داود بركات هذين البيتين من هذه التونية  
وطلب إليه عرضها على اسماعيل صبرى :

ياسارى البرق يرمى عن جوانحننا  
بعد الهدوء وتهمى عن مآقينا  
لما توقرق فى دمع السماء دما  
هاج البسكا نفضينا الأرض باكينا



ثم أرسل إلى حافظ إبراهيم هذه الأبيات :

يا ساكني مصر أنا نزال على  
عهد الوفاء ، وأن غبنا مقيمينا  
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم  
شيئا نبل به أحشاد صديقنا  
كل المناهل بعد النيل آنية  
ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

فأجابه حافظ بهذه الأبيات :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله  
صاد ويسقى ريا مصر ويسقينا  
والله ما طاب للإصحاب مورده  
ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا  
لم تتأعنه وأن فارقت شاطئه  
وقد فأيننا وأن كنا مقيمينا

وهكذا نجد طابع الغربة الجزينة سيطر على أفنديسيات شوقي شعراً  
ونثراً ، فهناك نظام ديوانه : دول العرب وعظماء الإسلام : وأكبر ديوانه  
المختار : أسواق الذهب : وليس ما نشر منها فيما أرى هو كل أفنديسياته  
ولكنه ظفر في منقاه بالشاعرية الخالدة التي اجتمعت له من روعة النفي ،  
وعبر الزمن ، وحرية النفس وحب الوطن ، فكان من ذلك أصنى شعره  
وأهم دواوينه الفنية والركن الأول في بناء الشاعر شوقي .

ولما وضعت الحرب العظمى أوزارها تنقل شاعرنا بين معالم الأندلس



وقف على قصر الخراء بغرناطة ولعله أنفَس الآثار العربية هناك وقفة  
البحتري على ألوان كمرى وعارض سيدهته بمثلها فقال :

اختلاف النهار والليل ينسى  
أذكرا لي الصبا وأيام أنسى  
وسلا مصر هل سلا القلب عنها  
أو أسما جرحه الزمان المؤمى

ولو أننا فرغنا لدرس هذه السيفية لاقتضتقا ساعات .



## عودة الشاعر

وبعد لآي يغادر شوقي منفاه ويعود إلى مصر سنة ١٩١٩ م بعد أن أذن له الخديوي فؤاد بذلك فيفرح بهديأسه ، وينتهي تجواله في ربوع الأندلس ويتعجل في مغادرة أسبانيا إلى مصر ولا ينتظر شوقي إبحار أولى السفن الأسبانية إلى السويس فهو عد مغادرتها أسبانيا بعيد (١).

والشاعر يتحرق شوقاً إلى العودة ، ولهذا يبحر مع أهله إلى جنوا ومن ثم يركبون القطار إلى البندقية ، ليلاحقوا بأول سفينة تغادر مينائها إلى مصر .

وهكذا يعود شوقي إلى وطنه شيخاً في الحادي والخمسين من عمره وقد آلام المنفى وهمومه إحساساً بشيخوخته . ولكنه ما كان يحط أقدامه في بلده حتى يحس بقوة الشباب تتدفق من جديد في عروقه :

فيا وطني لقيتك بعد يأس كأي قد لقيت بك الشبابا

وعندما وصل شوقي الأسكندرية استقبله لفي ف من أقاربه وأخلص أصدقائه .

أما القاهرة فقد كان استقباطاً للشاعر العائد رائماً حقاً ، فقد تجمع في فناء محطاتها آلاف الطلبة لتحيته .

وغص ميدان المحطة بمجموع الشباب ، وما أن نزل شوقي من القطار حتى دوى الهتاف بحياته في حماسة طاغية . وحمله الطلاب على أعناقهم في عاطفة من التهليل والتصفيق حتى السيارة .

---

(١) أندلسيات شوقي : صالح الأشر ٤٠



كان هؤلاء الطلاب الشباب جنود الميدان في تلك الساعة . تفتحت في نفوسهم تلك البذور التي زرعها مصطفى كامل ، وراها من بعده فيهم الزعيم سعد زغلول .

إنه الجيل الجديد الذي سيخط بيده تاريخ مصر الحديث . في عيونه نظرات العزم ، وفي دمائه غليان الرجولة ، وفي أعصابه ثورة الكرامة ، إنه الشعب الذي استيقظت طبيعته ، ففتحت أعينها ورأت مآتعا فيه مصر المرزاة من ظلم سياسي واقتصادي .

لقي شاعرنا أوضاعاً جديدة واتجاهات مختلفة ، من ملك جليل عاقل يجلس على عرش مصر .. فؤاد الأول ، ويشرف على هذا النشاط المصري المتعدد النواحي في أعقاب الحرب العظمى ، ومن نهضة مصر يقودها سعد وصحبه متفقيين ومختلفين وأحزاب قديمة وحديثة . وشبان متقدمون وقوداً لهذه النهضة ، ومن اقتصاد قومي في ظل بنك مصر ومنشآته ومن يقظة اجتماعية تتناول المرأة والعامل والتقاليد ، ومن نهضة علمية عامة يسندها الأزهر والجامعة ودار العلوم وغيرها من معاهد ومسارح وكل شيء في مصر أخذ يتحرك مجداً نشيطاً ، والحكومة تسير ذلك كله بإرشاد البرلمان

والخلافة قد بدأت تلفظ أنفاسها بعد الهزائم التي لحقت بتركيا خلال الحرب الكبرى ، ثم كانت نهايتها حين ألغاه مصطفى كمال ، وأقام في تركيا دولة جمهوريه حديثة ، وهكذا لم تعد مصر جزءاً من الدولة العثمانية بعد زوال هذه الرابطة التي كانت تشدها إليها فيما سبق .

أما الإنجليز ، فقد عدلوا من موقفهم في مصر تحت الضغوط التي أحدثتها ثورة سنة ١٩١٩ م فبدأوا يقنعون استعمارهم بقناع من الاستقلال الشكلي ، وراحوا يعملون على تحقيق أهدافهم بالتآمر مع القصر ، أو بتسخير بعض الزعماء المنحرفين .



وقد كان بريق الحكم قد أعشى بعض العيون فتفرق زعماء وثورته ١٩ إلى حزبين رئيسيين، الأول حزب الوفد الذى رأسه سعد زغلول والذى كان - رغم كل ما يقال - يمثل القوى الوطنية المناضلة، ويغال ثقة الغالبية العظمى من أبناء الوطن؛ والحزب الثانى هو حزب الأحرار الدستوريين، الذى كان رئيسه أولاً عدلى يكن ثم عبدالعزيز فهمى، والذى كان يمثل العناصر الاقطاعية والارستقراطية :

وكان إلى جانب هذين الحزبين الكبيرين عدة أحزاب أخرى لم يكن لها نفوذ الحزبين الرئيسيين .

ومن هذه الأحزاب الحزب الوطنى الذى فقد الكثير من قوته بعد انتهاء الخلافة وموت كبار زعمائه، وأصبح يمثل النضال الوطنى المنشود والطموح السيامى الذى لم يكن عملياً فى نظر السياسيين فى ذلك الحين وحاول الشاعر أن يتقرب من القصر ولكنه لم ينجح فى هذه المحاولة إلا بمقدار :

ولذلك ظل موقفه الوطنى أول الأمر متأرجحاً لا يجارى الشعب إلى نهاية الشوط فى حماسته الوطنية الجارقة، ولعلنا نلمح هذا الموقف واضحاً فى القصيدة التى نظمها فى سنة ١٩٢٠ عن مشروع ملان الذى أجمع الوطنيون على رفضه ومقاطعة اللجنة كلها مقاطعة تامة .

ومع ذلك نرى أحمد شوقي يدعو مواطنيه إلى قبوله قائلاً فى هذه القصيدة :

لا تستقلوه فما دهركم بحاتم الجود ولا كعبه  
فسمع بالحق ولم فطلع على قنا الحق ولا قضبه  
ينال باللين الفتى بعض ما يعجز بالشدة عن غضبه



وقد كان لهذه القصيدة وقع عظيم في نفوس المواطنين وأحس شوقي بزلته فعدل عن روح التخاذل ، وصدر عن روح وطنية شعبية في القصيدة التي نظمها بعد عامين عن مشروع ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وكان الانجليز قد أعلنوا به نهاية الحماية البريطانية وقيام الملكية في مصر وتولية السلطان أحمد فؤاد ملكا على عرشها وان كانوا قد شفعوا هذا التصريح بتحفظات أربعة وهذه التحفظات هي : —

- ١ — تأمين المواصلات البريطانية الامبراطورية في مصر .
- ٢ — حماية مصالح الاجانب والأقلية .
- ٣ — الدفاع عن مصر في حالة الاعتداء عليها سواء أكان اعتداء مباشرا أم غير مباشر .

٤ — مسألة السودان .

فرغت هذه التحفظات الاستقلال عن مضمونه الحقيقي ومن ثم لم يرق أبدا هذا التصريح في عين أحد من المواطنين فقد لمحو اسم الناب الأزرق في ثناياه .

وكانت هذه حلقة أخرى من حلقات الصراع الوطني من أجل الحرية والاستقلال ، حلقة جديدة قد در لشوقي ان يعاصرها وان يعيش في أحداثها الجليلة يوما بعد يوم ، ودقيقة بدقيقة ومن ثم كان عليه أن يدلي بدلوه فيها .

وان يعبر عن موقف البلاد إزاء تلك الأحداث التي تمر بها ثم من بعد موقفه هو أيضا . كان موقف شوقي يدل — هذه المرة على الرفض ، فهو يتحدث عن الجهاد والكفاح ، أن لا راحة الا بعد جهاد ونضال وشقاء ، وبذل النفس والنفيس في سبيل الغايات السامية والأهداف الرفيعة .



انظر الى شوقي ينطق الحكمة في فاتحة قصيدته ٢٨ فبراير :

اعدت الراحة الكبرى لمن تعبها  
وفاز بالحق من لم يأله طلبا

وعلى أية حال فان المتتبع لفتاح احمد شوقي الشعرى بعد عودته من المنفى يحس في وضوح بتطوره المستمر نحو الاقتراب من الشعب ومن قضايا الوطنيه والاجتماعيه ، ثم تطوره مع الشعب أيضا نحو الاحساس القوى بالتضامن والقومية العربية فشوقي يتابع المد الوطنى والثورى والقومى لشعبه ولامته العربيه كلها ، ويحزن عندما يلب الخلف بين صفوف الزعماء الذين قاموا بتحديد بشورة ١٩ ، وعندما يصل هذا الخلف الى حد تهديد قضية الوطن ذاتها يصيح الشاعر بمؤلاء الزعماء صيحته الخالدة سنة ١٩٢٤ فى القصيدة التى نظمها عندئذ بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة الزعيم مصطفى كامل ، وسماها شهيد الحق واستهلها بقول :

الام الخلف بينكم الاما وهذى الضجة الكبرى علاما  
وفيم يسكيد بعضكم لبعض وتبهدون العداوة والخصاما  
واين الفوز لا مصر استقرت على حال ولا السودان داما

ولما نجما سعد زغلول من الاعتداء عليه وهو مسافر الى انجلترا للمفاوضه مع حكومتها هناك شوقي بالنجاة بقصيدته التى يقولها :

نجما وتمائل ربانها ردى البشائر ركبانها  
ويا سعد انت امين البلاد قد امتلات منك ايمانها  
ولن ترضى أن تقعد القناة ويستتر من مصر سودانها

ويخرج عن سجناء المحاكم العسكرية الانجليزية سنة ١٩٢٤ فى وزارة سعد زغلول فيقول :



يامصر اشبال العرين ترعرت      ومشت اليك من السجون أسودا  
طلبوا الجلاء على الجهاد يثوبه      لم يطلبوا اجر الجهاد زهيدا  
والله مادون الجلاء ويومه      يوم تسميه الكفاة عيدا  
وفي الناحية الاقتصادية تراه يقول في الاحتفال بإنشاء بنك مصر من  
قصيدة :

قف بالممالك وانظر دولة المال      واذكر رجالا أد الوها باجمال  
يا طالبا لمعالي الملك مجتهدا      خذها من العلم او خذها من المال  
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا  
رأيا      لرأى ومثقالا لمثقال  
هذا هو الحجر الدرى بينكمو      فابنوا بناء قریش بيتها العالی  
وكذلك لما وضع الحجر الاساس في بنائه سنة ١٩٢٥ م ثم يكون مشروع  
القرش سنة ١٩٣٢ م فيشارك الشباب الاحتفال به بقصيدة لعلها آخر ما قال  
وهي التي تليت يوم وفاته رحمه الله :

لا يقيم على الضيم الأسد      نزع الشبل من الغاب الوتد  
فتية الوادى عرفنا صوتكم      مرحبا بالطائر الشادى الفرد  
هو صوت الحق لم يبلغ ولم      يحمل الحق ولم يخف الحسد



## الجانب الاجتماعي

وكانت هنا ولا تزال نهضة اجتماعية تناولت المرأة والصحافة والعمال  
فشارك فيها شاعرنا قال في نقابة الصحافة :

لكل زمان مضي آية      وآية هذا الزمان الصحف

ويتحدث عن دور العمال في النهضة الاجتماعية فيقول :

أيها العمال افتنوا العمر كذا واكتسابا

ويشجع انتحار الطلبة اثر سقوطهم في الامتحان فيقطع عليهم سبيل  
اليأس ويبسط لهم مجال الامل بقوله :

فأشبه في الورد من أيامه      حسبه الله ، أبا لورد عشر

ويصيح في وجه الشيوخ الذين يرغبون في الزواج من الفتيات فيقول :

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا      هل للنساء بمصر من أنصار

وتقوم معركة أدبية بين أنصار السفور وأنصار الحجاب فيقول في  
ذلك قصيدة رقيقة ينصع فيها الفتاة بالاناة ويحذر لها مزالق الحياة .

صداح ياملك الكنار      ويا أمير البابل

وقد عني بالنهضة العلمية فحيا الجامعة والأزهر ودار العلوم والمعلمين .

فيقول في الأزهر :

قم في قم الدنيا وحي الأزهر      وانثر على سمع الزمان الجوهرا

واجعل مكان الدران فصلقة      في مدحه خرز السماء النيرا

واذكره بعد المسجدين معظما      لمساجد الله الثلاثة مكبرا



## أثر الغربة في شعره

كان شوقي في أول حياته لا يميل إلى المديح، لأنه يفسد المواهب ولكنه بحكم صلته الوثيقة بقصر الخلافة في تركيا والبيت الحاكم في مصر اضطر إلى المديح، وكان يزدنيه في مطلع شبابه أن يكون شاعر الأمير لما في ذلك من شهادة يتفوقه وامتيازه .

### شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب

وبرغم نفوره الطبيعي من المديح جاءت شاعريته بغرر القصائد في مدح الخليفة، والجالسين على عرش مصر، ويرجع سبب اجادته لتلك القصائد أنه كان يصدر عن انفعال صادق، حيث يرى الخلافة الإسلامية رمز وحدة الأقطار العربية ينشب الاستعمار فيها أظفاره .

وشوقي كان يهترف بفضل اسماعيل فهو يمدح البيت الحاكم استجابة لما في طبعه من سجية الوفاء .

### أخون اسماعيل في أبنائه ولقد ولدت باب اسماعيل

وهذا الصديق الفنى هو ما أعوز أكثر شعراء المديح حين صاغوا آيات الثناء والتجيد في الأحكام نفاقا وتزلفا استجداء للعطاء . وتوزعت شخصية شوقي بين وفائه لأرباب نعمته وولائه لفننه الشعري ولأمته، وحاول أن يوفق بين هذا وذاك فكان يزجى النصائح للحكام، ويذكرهم بحقوق الشعب في مهارة يبدو معها كأنه يحمل هؤلاء الأحكام معقد الرجاء لرعاية هذه الحقوق وقصائد المديح - قبل المنفى مسرقة في الثناء على ممدوحيه بما لا يستحقون ولكننا لو تعاطفنا مع قصائد المديح في هذه الفترة لوجدنا الشاعر يرسم صورة مثالية للحاكم العادل الذى افتقدته البلاد طويلا . وبعد أن تحرر من القصر واتجه إلى الشعب والأمة العربية والإسلامية أخذ مكانه قائدا



فضالنا يدافع عن كل هذه القضايا ومن يطالع ديوان شوقي يجد أن الرثاء يشغل حيزا كبيرا منه . وهذا الرثاء أعمق من المديح لأن شوقيا في مديحه كان يتجه نحو الحكام والولاة ، ولكن الرثاء اتسع لكل دعاة الإصلاح من مختلف الطبقات . ولقد عاب عليه بعض النقاد أمرافه في الرثاء فرد عليهم يقول :

يقولون : يرثي الراحلين فويحهم

أأملت عند الراحلين الجوازيما

ولقد خطا شوقي بخطوة أرحب في رثائه من البارودي فقد كان الرثاء عند الياردي مقصورا على أهله وذويه وكان يصدر عن معاناة حقيقية ، ثم جاء من بعده شوقي فانطلق به في الاتجاه القومي العام ، ونشعر باندماجه في الموقف الشعري ، وقوة انفجاله به في تمثيل المراثيه للفقيد بحيث لو حاولنا نقلها إلى فقيد آخر لما استطعنا إلى ذلك سبيلا . كقوله في رثاء عبيد الحامولي أمير الغناء في عصره :

ساجع الليل طار عن أوكاره وقولى من على آثاره

ومنها البيت المشهور :

يسمع الليل منه في الفجر ياليل فيصغى مستهلا في فراره

أحب شوقي التاريخ في أول حياته الأدبية وازداد عشقه له بعد أن أطلع على الثقافة الأوروبية وقرأ هو جو ديوانه . وشوقي ينتخب من التاريخ ما يحمل العظة والعبرة فلم ينهج نهج القدماء في سرد الأحداث وذكر الشخصيات ، وقرأ التاريخ المصري القديم وتاريخ مصر الإسلامية وتاريخ الترك وله قصائد أربعة في كل ذلك وهذه القصائد تعما إلى هدف وتقصد إلى غاية كما صرح بذلك في قوله :



غال بالتاريخ وأجعل صحفه من كتاب الله في الاجلال قابا  
قلب الانجيل وانظر في الهوى تلق التاريخ وزنا وحسابا  
واطلب الخلد ورمه منزلا تجدد الخلد من التاريخ بابا  
مثل القوم نسوا تاريخهم كالقبط عى في الناس اتسابا

وله في البطولات الإسلامية قصائد شهيرة منها :

نهج البردة والهمزية . وقد ألم الشاعر في هاتين القصيدتين بتاريخ الأمة  
العربية . ووازن بين حال الناس بعامة قبل البعثة ، وحالهم بعد مجىء الهدى  
كقوله يناجى الرسول الكريم .

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم  
والأرض مملوءة جورا مسخرة بكل طاغية في الأرض محتكم

ووقف شوقى على روائع الآثار يستلهمها العظة والعبرة وقال في  
الاندلس قصائد رائعة منها القصيدة السينية التى يعارض بها ابن زيدون  
ومطلعها :

يانائح الطلح أشباه عوادينا نامى لواديك أم نشجى لوادينا

وسبقت الإشارة إلى دوره السياسى ، وشعره الاجتماعى يكاد يكون  
غرضاً جديداً على الأدب العربى إذ استثنينا شعر أبى العلاء المعرى . أما أكثر  
الشعراء فقد حصروا أنفسهم فى دائرة الملوك والأمراء ، ويندر التفاتهم  
إلى الطبيعة الكادحة ، ومن شعره الاجتماعى قوله فى الحث على مساعدة  
الهلل الأحمر :

جبريل هال فى السماء وكبر أكتب ثواب المحسنين وسطر  
سل للفقير على تكممه الغنى وأطلب مزيدا فى الرخاء لمومر



وشوقي مضى بمظاهر النهضة العلمية في مصر حيث يقول في إنشاء  
الجامعة المصرية قصيدتين رائعتين ، ويحرص على اغراء الأمة بالعلم ويجعل  
المعلم في أسمى منزلة :

قسم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا  
ويتغنى بتأسيس بنك مصر ، ويثني على كل من يقدم مسكومه لبلاده  
ويقول في العمال وبحثهم على النهوض بمصر :  
وقوله في رثاء ولده على شوقي :

أنا من مات ومن مات أنا لقي الموت كلانا مرتين  
نحن كنا مهجة في بدن ثم صرنا مهجة في بدنين  
ثم عدنا مهجة في بدن ثم نلقى جثة في كفنين  
ثم نحيا في علي بعدنا وبه نبعت أولى البعثين

ولقد أكثر شوقي من أبيات الحكمة على عادة شعراء العربية وبخاصة  
المتنبي ، وهذه الحكمة وليدة الثقافة والتجربة ، فلم يكن لشوقي مذهب فلسفي  
يصدر عنه وإنما كان مثقفا ثقافة ممتازة مطالعا على الفلاسفة كثير التأمل في  
أمرار الكون والحياة وما وراء الموت ووجد شوقي الحكمة إحدى الدعائم  
التي تبنى عليها الأمم وله أبيات شهيرة في هذا المعنى منها قوله :

ولما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وقوله :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا  
وهذه الحكم مبثوثة في شعره برسلها إرسالا في يسر وسهولة وبعضها قد ألم  
به القدماء وصاغها شوقي صياغة جديدة وبعضها من وحي تجاربه .

ويرى بعض النقاد أن غزل شوقي متكلف لا يمثل عاطفة صادقة وهذا  
النقد يصدق على قصائد المرحلة التي قيده فيها القصر ، حيث أن التقاليد



كانت تحول بينه وبين لواعج عشقه ، والافصاح عن حبه وقد اقتتح بعض قصائده على طريقة القدماء ، ولكن ساسه القصر طلبوا حذف النسيب والابقاء على المديح ومن ثم فترت همة الشاعر . ومع ذلك فقد استطاع أن يعبر عن مواعجده العشق عند أبطال مسرحياته .

### المسرحيات :

أهم أعمال شوقي الجديدة فن المسرحية ، فلم يسبقه في ذلك إلا محاولات لم تكتب لها الحياة ، ومسرحياته من حيث الصياغة والنص الشعري في القمة لكنها من حيث الفنية المسرحية عليها ما أخذ كثيرة منها أن شوقي كان يكتب مناظر الفصل في شكل قطع غنائية بدون ملاحظة للجمهور .

وفي ذلك دليل قاطع على أن شوقيا مشغول ، وخاصة في مآسيه من مثل مجنون ليلى ، بالغناء عن التمثيل ، أو قل أنه تأثر الغناء إلى حد بعيد . ومع هذا لا نستطيع أن ننكر أنه درس المأساة القريية ، وأنه حاول جاهدا أن يثبت قدرته على محاكاة وتقليدها (١) .

ينقص مسرحيات شوقي العنصر الدرامي الذي قوامه المفاجئات المسرحية المختلفة وطرق قيادة الأحداث إلى نتائجها النفسية والاخلاقية . عدم انتخاب الشاعر لوزن معين في مسرحياته لحلة شديدة من النقاد على نحو ما يرى القارى في نقد العقاد لقمير حتى ليقول طه حسين هذه العبارة :  
أما عن التمثيل فقد غنى شوقي فأطرب وأثر ولكن لم يمثل ، لأن التمثيل لا يرتجل ارتجالا ولا يهجم عليه وإنما هو فن يحتاج إلى الشباب والدرس والقراءة فكان تمثيله صورا تنقصها الروح ، وأن حبها إلى الناس ما فيها من براعة الغناء . (٢)

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث ص ١٨ : شوقي ضيف .

(٢) حافظ — شوقي ص ٢٢١ .



كان اتخاذ التاريخ مادة مأسوية من الأسباب التي منعت مسرحه من أن يلقى إقبالا شعبيا كبيرا وذلك لأنه وإن يكن هذا التاريخ هو تاريخنا القومي إلا أن الجمهور كان يفضل بلاريب أن يرى في ذلك المسرح مآسى حياته بدلا من مآسى التاريخ التي يهد بها العهد والتي قد تحتاج إلى متابعتها والانفعال بها قدرأ من الثقافة التاريخية .

والواقع أن النقاد قد اتخذوا من موقف شوقي إزاء التجارب التاريخية التي اختارها هدفا لنقدهم اللاذع .

فرأى بعضهم أن شوقي قد أساء الاختيار في عدة مسرحيات بل ولا حظ تفاقضا بين ما اختار والهدف الذي رمى إليه وأفصح عنه في النظرات التحليلية التي ذيل بها مسرحياته ، حيث تطالع في تلك النظرات أن هدفه الأساسي كان تمجيد العرب والمصريين القدماء ، بينما يلاحظ هذا النفر ومخاصة النقاد أنه قد اختار لبعض تلك المسرحيات موضوعات وفترات من تاريخ مصر والعرب كانت من أحلك فترات التاريخ وأكثرها انحطاطا بل وانحلالا ، مثل فترة ضعف المصريين وانحلالهم وسيطرة جنود المرتزقة على قوات الوطن الدفاعية ، كما هو الحال في مسرحية منبئ وغزو الفرس لمصر والقضاء على استقلالها الذي لم تستره منذ ذلك الحين إلا في أيامنا الأخيرة .

ومثل مسرحية علي بك الكبير التي تمثل فترة انحلال أخلاقي ووطني شديد في عصر المماليك وغدر بعضهم ببعض حتى أصبحت البلاد نهبا لأطماعهم ومرتعاً لميهمهم ونكاههم على المغانم والشهوات .

ثم مصرع كليوباترا التي تفصل هي الأخرى أحداث انهيار مصر ووقوع مصر فريسة في يد الرومان في أعقاب انحلال أمرة البطالسة وعبث امرأة هلو ككليوباترا التي لم تكن فوق ذلك مصرية في شيء ولم يكن للشعب المصري في ذلك الحين أي وجود محسوس .



ويرد مندور على ذلك قائلاً : أن عصور المجد والازدهار قد لا تتيح  
للكاتب المسرحي عصر الصراع الذي تقوم عليه المآسي في غالب الأمر،  
كما أن فترات المحن والكفاح الوطني هي التي تظهر في الغالب معدن الشعوب  
وصفاتها الأصلية ، وبذلك لا يكون شوقي قد أخطأ من الناحية الفنية ولا من  
الناحية الوطنية في اختيار موضوعات مآسيه التاريخية من فترات المحن التي  
مرت بالمصريين أو بالعرب (١) .

وحسب شوقي أنه أول رائد لهذا الفن في العصر الحديث كما رأى ذلك  
زكي المحاسني في أخريات حياة شوقي ، وبعد موته عرف النقد في آثاره  
المسرحية روعتها ، ووعدها عملاً أدبياً جديداً ، وأن الأدب الحديث ، وإن  
يكن قد عرف الآثار المسرحية عند بعض المؤلفين العرب قبل شوقي ،  
كالشاعر نجيب حداد ، لكن شوقياً تفرغ لهذا الفن في الثلث الأخير من  
عمره فلم يغادر الحياة حتى أعطى الوجود المسرحي في ديار العرب سبع  
تمثيليات فائقة .

وقد كان متأثراً في فنه بآثار شكسبير خاصة حتى قلده في رواية دمصرع  
كليوباترا ، (٢) .

وينتهي إلى ذلك في مقارنة دقيقة عن تأثير شوقي بشكسبير في رواية  
كليوباترا صلاح عبد الصبور (٣) .

---

(١) المسرح لمندور ص ٧٦

(٢) نظرات في أدبنا المعاصر ص ١٣

(٣) الهلال : عدد خاص عن شوقي ص ٣٥



### معانيه :

ينبغي أن نذكر أن الشعر كان في عصر المهاليك وفي أول النهضة ضعيفاً  
تافه المعاني ، فلما جاء رد البارودي قلد معاني السابقين من الشعراء المبرزين ،  
وبخاصة في العصر العباسي .

وحين ظهر شوقي في الميدان كان كثير من معانيه أضواً وأعمق مما جاء  
به البارودي ، وصار ذلك أن شوقياً اطلع على الثقافة الغربية وبخاصة الفرنسية  
وقرأ كثيراً من كتب التاريخ وغيرها فامتد أفقه الثقافي ، وظهر في معانيه  
عمق وحسن تفكير ، لذلك نستطيع أن نقول أن معانيه بعضها مقبوس من  
القديم ولكنه طوره وأحسن عرضه ، وبعضها جديد لم يعرفه الأدب العربي  
من قبل وقد ظهر ابتكاره في الأغراض الجديدة كالترنيخ ، والسياسة ،  
والاجتماع والمسرح وترى أثر ذلك واضحاً في النماذج التي عرضناها عليك .

### صوره وأخيلته

١ — يستعين الشاعر بخياله ليجعل معانيه أشد تأثيراً في النفس ، وأعمق  
وصولاً إلى العاطفة ، وبعض أخيلته كذلك قديم كقوله يتغزل :

ويم على القاع بين البان والعلم  
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

وقوله ينصح :

وإذ النساء نشان في أمية  
رضع الرجال جهالة ونمولا

وبعض أخيلته جديد مبتكر يبدو فيه حسن التخيل وجمال التصوير  
كقوله عن الهلال الأحمر :



كانه وردة حمراء قانية  
في الخلف قد ففخت في كف رضوان

وقوله في الصلة بين الوطن وأبنائه :

وطن يرف هوى إلى شبايه  
كالروض رقة على ريحانه

### ألفاظه وأساليبه

تدلك قراءتك لشعر شوقي على الخصائص التالية في ألفاظه وأساليبه :

١ — إلمام شوقي الدقيق باللغة ، وإطلاعه الواسع على أساليبها كما وردت في أدب السابقين وفي قواميس اللغة .

٢ — حرصه على استعمال اللفظ اللغوي الصحيح وترفعه عن العامي .

٣ — قدرة ممتازة على أن يضع كل لفظ في موضعه الملائم له ، بحيث تحس أنه ليست هناك كلمة نابغة ولا تعبير قلق ، وبذلك تبدو في شعره موسيقى حلوة رنانة .

٤ — قدرته على أن يوزع طاقته الذهنية على اللفظ والمعنى مما يعنى بموسيقى اللفظ وإن جاءت معانيه عادية مألوفة ، وبعضهم يهتم بالمعنى الجيد وإن ضعف أسلوبه كما في كثير مما يسمي بشعر المجددين ، أما شوقي فكان يهتم بهما معاً .



## الوجود العربي في شعر شوقي

فإذا أردنا أن نتعرف على موقف شوقي السياسي ، من خلال شعره في الفترة الثانية وجدنا ما يلي :

فيما يتعلق بالخلافة العارضة ، راح شوقي يبكيها ويوجه التقريع إلى مصطفى كمال بسدل الستار عليها .

ومن ذلك قول الشاعر من حائضته المشهورة :

ضجت عليك مآذن ومنابر

وبكت عليك ممالك ونواح

ولكن شوقياً قد أدرك أن الخلافة إذا زالت رسمياً ، فقد بقيت فكرة الارتباط بين الشعوب الإسلامية والعربية ، لا يمكن أن تزول .

ومن هنا راح الشاعر يهتم بشعره النضالي الرائع في كل قضايا الأمم الإسلامية والعربية معتقداً أن أبناء هذه الأمم هم قومه الحقيقيون وآله الأقربون .

فحين تهب سوريا في ثورتها ضد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٥ يذيع شوقي ثلاث قصائد حيث يقول في الأولى مؤكداً أخوة الإسلام والعروبة ووحدة المأساة بين مصر وسوريا :

قم تاج جلق وأنشد رمم من باقوا

مشيت على الأرض أحداث وأزمان

فغير المسجد المحزون واختلفت

على المنابر أحرار وعبدان

ثم يذيع شوقي قصيدته الثانية سنة ١٩٢٦ بمناسبة فكبة دمشق محاولاً



استنهاض همم مواطنيه في نضالهم ضد الانجليز من خلال حديثه عن  
نضال إخواننا السوريين :

سلام من صبا بردى أرق  
ودمع لا يكفكف يا دمشق  
ومقدرة البراعة والقوافي  
جلال الرزء عن وصف يدق  
ومنها :

نصحت ونحن مختلفون داراً  
بيان غير مختلف ونطق  
وللاوطان في دم كل حر  
يد سلفت ودين مستحق  
والحرية الحراء باب بكل يد مخرجة يدق

ثم يذيع قصيدته التالية في العام نفسه رابطها فيها معاناة قومه من أجل  
الحرية في مصر ومعاناة إخوته من أجله في سوريا ، واضحا أن الطريق  
الوحيد للنصر هو طريق الدم .

وفي تلك القصيدة ، يقول :

سلوا الحرية الحمرء عنا وعنكم . هل أذاقتنا الوصالا  
وقريب من هذا يضع شوقي في موازنة لبنان في نكبة  
بيروت ومنها :

بيروت : يا راح النزيل وأنسه  
يمضي الزمان على لا أملاك



وفي مناصرة ليبيا يقول في رثائه لعمر المختار متجها نحو الشعب الليبي:

يا أيها الشعب القريب أسمع      فأصوغ في عمر الشهيد رثاء  
أم الحمت فاك الخطوب وحرمت      أذنيك حين تخاطب الأصغاء  
ذهب الزعيم وانت باق خالد      فأنهد رجالك واختر الزعماء  
وارح شيوخك من تكاليف الوغى  
وأحمل على فتيانك الأعباء

وبالبداهة لم يعد شوقي ينظم في مشاهد الطبيعة في الاستعانة والبوسفور وما إليها من الأراضي التركية ، بل أخذ يكتب القاريحيات والوصفيات عن مصر والبلاد العربية الأخرى متى زحرت الشوقيات بالقصائد المصرية والعربية، واقامت التوازن ، بل رجحته مع التركيات والخلافيات وبخاصة بعد أن وفق العالمان الإنجليزيان الآثريان اللورد « كارتر » والمستر « كارنر فور » إلى اكتشاف قبر توت عنخ آمون الرائع في وادي الملوك بالأقصر .

فنظم أحمد شوقي قصيدته الرائعة « توت عنخ آمون » التي تغنى فيها بأجداد مصر القديمة وما خلفت من آثار رائعة أجل الغناء مطلعها .

قنى يا أخت يوشع خبرينا      أحاديث القرون الغابرينا  
كما نظم قصيدة أخرى بعنوان : توت عنخ آمون وحضارة عصره .  
درجت على الكنز القرون      واثت على الدم الستون  
خير السيوف مضى الزمان      عليه في خير الجنون  
وأخذ يدرك شوقي بوعى سليم ما يشد هذه البلاد جميعا من روابط الدين  
واللغة والتاريخ وشتى مقومات الأمة الواحدة .



وبناء على هذا الوعي السليم لا يكاد يترك شوقي مناسبة عربية أو إسلامية دون أن يسهم فيها بشعره الإسلامي العربي ، مبشرا بأمة إسلامية قوية واحدة ، وقومية عربية متينة منتصرة .

وهذا أول ما يلاحظ على شوقي وموقفه السيامي في هذه الفترة الثانية حيث يترك تمجيد الخلافة وتركيا ، أوحيث يقلل من ذلك تقليلا واضحا ، ليحل محل ذلك الاكثار من تمجيد الدول الإسلامية مؤازرة نضالها ، وليشيد بالعروبة والعرب والكفاح الذي يخوضه الشعب العربي من أجل حريته وكرامته مع التأكيد على أخوة تلك الشعوب واتحاد بينها الذين يجمعهم اللسان ، ويضمهم الشرق ، ويوحد بينهم الماضي والحاضر والمصير .

والملاحظة الثانية أنه أدار للقصر ظهره واتجه نحو الشعب وكان واضح الإيجابية والنضالية مع الإنجليز بعيدا عما عرف منه في الفترة السابقة من التشكل بموقف النصر .

وموقفه من الأحزاب في هذه الفترة موقف المحايد الذي يغني آمال الأمة ويشدو بالقيم الكبرى التي يجمع عليها الشعب وهو بعد يقف من الزعماء موقف الداعي إلى وحدة الصف .

وهكذا يمكن أن يقال : أن الطابع الغالب على موقف شوقي السيامي في هذه الفترة الثانية هو الطابع الحر الجريء الإيجابي المفاضل الذي أدرك به الشاعر ما فاتته في الفترة السابقة .



## الروح الأندلسية في شعر شوقي

إذ نظرنا إلى شعر شوقي فستجد أن أول طيف للأندلس يطل علينا من وراء قافية بيت له ، من قصيدة القاها عام ١٨٩٤ في مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف ، عرض فيها لرسالة الإسلام التي نبئت في البيداء وأطلعت من الصحارى ، من قلب الخيام ، أسودا فتحوها الدنيا وقادوها نحو النور ، ونشروا فيها الحضارة وحكموا بعد لهم الأرض وعلى ذلك :

تشهد الصين والبحار وبغدا د ومصر والمغرب د والحراء ،

فهذه الحراء رمز للحكم العربى والحضارة الإسلامية في الأندلس وهى صورة غامضة جدا تمثل فى ذلك رصيد شوقي من « الفكرة الأندلسية » فى شعره (١) .

وتعود هذه الصورة الغامضة أيضا ، فتراها فى بيت من قصيدة شوقي التى رفعها إلى السلطان عبد الحميد ، عندما نزل فى ضيافته فى الاستانة .

وبيت الزمان ( أندلسيا ) ثم يضحى وناسه أعجم

وكان ناشر ديوان شوقي أحسن بغموض الصورة أيضا فحاول عبثا إيضاحها حين فصر الزمان الأندلسى فى الهامش بأنه زمان الأندلس أيام عز العرب والإسلام فيها .

وتظل الصورة قائمة لا يزاياها غموضها حين تعود إليها مرة ثالثة فى القصيدة التى يمجدها فيها السلطان محمد رشاد الخامس ، ويخاطب فى آخرها الاستانة ويتاجيها ترى محباها تما بها ، ينتمى إليها بصلة الدم والقربى ، من طريق أمه وأبيه فهى إذا مهدأصوله ، وقد حركت وحي شاعرته وإطلاقته قبسا يضىء الشرق قبسا فريدا .

لم تكثر الحراء من نظرائه نسلا ولا بغداد من أفعاله

---

(١) أسبانيا كما يراها السباح المسلمون ص ١٢٠ .



والخمراء هنا — يحشرها في زمرة واحدة مع بغداد والإستانة يجب أن تعكس مفهوم العاصمة الإسلامية الكبرى التي يؤمها الشعراء من كل جانب ، ويزدحم على أبوابها أصحاب المواهب فتكون لكل منهم مصدر وحيه وإلهامه .

وتعود صورة الأندلس مرة رابعة ، عندما يزور الخديوي عباس مدينة طنطا ، وللخديوي يد على هذه البلدة حين بعث الحياة والعمران في رسمها البالي — كما تقول شوقي — وفجر فيها عيون العلم بإفشائه المعاهد والمدارس .

انظر إلى كل عال من معاهدها      تنظر طليعة في عصرها الخالي

فطليعة هذه تمثل دوراً لم يكن لهم في تاريخ الأندلس ، وصاحب هذا الدور العظيم في حياة الأندلس هي قرطبة وجامعها الكبير ، فإلى قرطبة لا إلى طليعة كان الطلاب يقدون من الشرق والغرب لينهلوا فيها العلم ، ويتزودوا من المعرفة .

ولا نقول أن الوزن الشعري هو الذي جاء « طليعة » هنا ولم يكن قادراً على الإتيان بقرطبة ، فمثل شوقي الشاعر الكبير ، لا يستعيد الوزن ولا تحكمه الصنعة .

إلى هنا تظل صورة الأندلس غامضة غائمة في شعر شوقي ، ولن تفتح لأعيننا بعض الخطوط فيها إلا في عام ١٩١٢ عندما تنهمر دموع الشاعر أثر سقوط أدرنة في يد البلقان ووبسقوطها هوى الإسلام عن مقاطعة مقدونيا في عين الشاعر صورة ثابتة لضياح الأندلس<sup>(١)</sup> نقد حرج المسلمون من الأندلس ، وها هم أولاء اليوم يخرجون من مقدونيا ، فمقدونيا إذا

---

(١) أسبانيا كما يراها السياح المسلمون ص ١٢٠



أخت الأندلس جديدة من حق الشاعر أن يبكيها ، ويصور الجرح الذي أصاب المسلمين بسقوطها :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام  
وبعد أن يصف المسلمين الهاربين المهاجرين بعد سقوط مقدونيا ،  
يخاطب الأمة العثمانية فينمى عليها تفرقها وتخاذلها ، ويدعوها إلى الاتحاد  
والوئام وترك التفاخر فيقول :

وقف الزمان بكم كموقف طارق البأس خلف والرجاء أمام  
فوقف بنى عثمان اليوم كموقف طارق فاتح الأندلس حين أحرق سفن  
الجيش ودعا الجند إلى الصدق والعزيمة والرجاء والصبر .

هذه الصور الحزينة الجريحة التي يرسمها شوقي لنكبة العثمانيين في  
مقدونيا أضفت بألوانها على الصورة الأخرى التي أراد أن يصور فيها  
نكبة العرب في الأندلس ، ليعقد بين الصورتين صلة ، ويقارن بينهما ،  
ولسكننا إذا قمنا بما تقدمه هذه المقارنه من الخطوط المتشابهة ، والألوان  
المتماثلة بين الصورتين ، قلنا إن رصيد شوقي من الفكرة الأندلسية  
لا يزال فقيراً .

ونحن — بعد هذا — نستطيع أن نؤكد أن رصيد شوقي من هذه  
الفكرة حتى عام ١٩١٢ لا يزيد عماله في الأندلس الجديدة ،

وسنجد أن الروح الأندلسية ستظهر واضحة في شعر الشاعر المنفى ذلك  
أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها في عام ١٩١٨ أصبح في حرية له أن  
يسبح في أرض أسبانيا متنقلاً بين ربوعها وقد قام فعلاً برحلة يروى فيها  
ظماؤه لزيارة هذه البلاد ، وقد زار مدن طليعة وأشبيلية وقرطبة وغرناطة .

وكما يقول كان البحترى رفيقه في هذه الرحلة وكان قد أعجب بسيئته



في وصف ديوان كسرى حتى أنه كان يتمثل قأبياتها كلها وقعت عينه على أثر من آثار العرب بهذه المدين ورأى أن البحترى انعظ بالآثار وخلدها في ديوان شعره فرغب في أن يسير على خطاه في كسب العظة والعبرة من آثار هذه المدين وتخليدها ناسجاً على منوال البحترى فألف قصيدته على وزن وروي سيفية البحترى وصل شوقي المسجد فإذا هو تائه في غابه من أشجار المرمر وتلك هي سوارى المسجد ، مثل ألفات الوزير ابن مقلة المعروف بجودة خطه .

مرمر تسبح الفواظر فيه      ويطول المدى عليها فترى  
وسوار كأنها في استواء      ألفات الوزير في عرض طرس

ويطوف شوقي بأرجاء المسجد ، حتى يصل إلى المحراب ، ويرى ما عليه من بديع الخطوط فيذكر بالثناء والتقدير باني المسجد عبد الرحمن الداخل :

صنعة الداخل المبارك في الغر      ب وآل له ما بين شمس

ويستشير عبد الرحمن الداخل لعجائب الشاعر ، فصهر قریش بطل عربي غامر بنفسه ليقم لأمرته ملكاً جديداً في الغرب ، يخفق قلب الشاعر وهو يذكر أنه الآن في الرحاب التي أسس فيها الداخل دولة الأمويين ، والتي تضم أرضها عظامه .

فيطلق لسانه بالشعر يتغنى بأجناد ذلك الصقر ، ويختار شوقي هذه المرة لغنائه لحناً أندلسياً معروفاً ، فيعزف لنا على قيثارته موشحة برسم في مقاطعها صورة البطل الأموي ، منذ قدومه من المشرق إلى تأسيس الدولة الأموية في المغرب .

كنت صقرا في صبا عليا      ما على الصقر إذا لم يرمي  
أن تسل أين قبور العظاما      فعلى الأفواه أو في الأنفس



في هذا القصر العربي قضى شوقي فترات طويلة ، يطوف في أبنائه  
وينتقل في حجراته ، ويرى القسم الذي أضافه الأسبان إلى القصر فشوهوا  
بذلك جماله الخالص فبدأ خليطاً من الطرازين الشرقي والغربي كان شوقي  
يبحث عن الملك الشاعر المعتمد بن عباد وزوجته الشاعرة الجميلة وابنتها  
بثينة وجدتها العبادية ، ولكنه لن يجد أحداً منهم في القصر ، فقد داهم  
يوسف بن تاشفين الملك العبادي ونفي الأميرة المالكة كلها عن أشبيلية إلى  
أغمت غير أن بحث شوقي عن أبطال روايته وأميرة الأندلس لن يضيع  
سدى ، فأطباق هؤلاء تعبق بها أجواء القصر الخالي ، وتوج بها ظلال  
الحدائق العربية القلب ، وراو القصر الحزين ، وخيال شوقي قادر على أن  
يلتقى بهذه الأطباق ، لتتبين ملامحها من قرب ، ويتمثل من خلالها وصفه  
الأيام الأخيرة لحكم بن عباد في أشبيلية ، قبل غزو المرابطين لها .

يبدو أن غرناطة كانت آخر مدينة في الأندلس تركت في افتتاح  
شوقي الأندلس صورة لآثارها . كانت غرناطة آخر معقل للعرب في  
أسبانيا وذلك بتسليم أبي عبد الله الصغير آخر ملوك بني - الأحمر ، إلى  
قرديناند وإيزابيلا صفاتيحها خرج العرب منها وخلفوا في هذه المدينة  
أضخم أثر عربي تزهو اليوم به الأندلس ، تمفوا إليه قلوب السياح من كل  
في الأرض ليروا إحدى معجزات الإنسانية ، ومفخرة الحضارة العربية  
والفن الإسلامي في أسبانيا إنه قصر الحمراء حصن غرناطة ودار بني الأحمر ،  
ولا يزال إلى اليوم ، كما تركه بياؤه الابداد ، أعجوبة تسحر الأبواب ، ويفتن  
به الزائرون يقع قصر الحمراء فوق إكام عاليه تطل على غرناطة تحيط به  
جنت وارفة الظلال من حدائق القصر ، ويشرف على هذه الآكام جبل  
صيرانقادا والثلوح تتألق عليه تألق الفضة ولا تفارق قمم في الصيف  
ولا في الشتاء فهو شيب مرمرى ، كما بد العيني شوقي :

جلال الثلج دونها رأس ( شيرى )

فبدأ منه في عصائب برس



مرمدى شبيبته ، ولم أر شيئا قبله يرجى البقاء وينس

وقبل أن يصل شوقى إلى الحمراء لا يد له من صعود ذلك الطريق  
المتحرر المظالم بأغصان الشجر الكفيف ، وإذا كانت السفون الخمسون  
يؤذيها مثل هذه الصعود مشيا ، فعلى الشاعر أن يتمهل فى السير ، وأن  
يقف قليلا عند الباب الكبير المسمى بباب العدل ليرى على قوسه تلك اليد  
الهائلة المنقوشة بأصابعها الخمس ، انها فيما يقال — رمز للعقيدة الاسلامية  
باركانها الخمسة .

### قصر الحمراء :

ولا نحسب شوقى الآن بحاجة إلى الدليل ، فالشاعر العربى الآن  
يطوف فى محراب قصر بناء أجداده ، ووضعوا فيه شيئا من روحهم ،  
وملأوا جدرانها بالآيات والأشعار العربية ، ومن البداهة ألا يحتاج  
الإنسان فى بيته إلى دليل .

طاف شوقى فى غرف الحمراء وحجراته الرحبة الواسعة وكأها آية فى  
الروعة والجمال ، زاهية بالنقوش ، الدقيقة ووقف طويلا فى قاعة الشعراء  
وهى أجل غرف الحمراء وفيها ملوك بنى الأحمر يقابلون رسل ملوك  
الأفرنج وشعراءهم وتحوى جدرانها أبدع النقوش والخطوط ، وهى تطل  
على حى البيازين من غرناطة من جهاتها الثلاث ، والجهة الواقعة تفضى إلى  
قاعة البركة ومنها إلى مساحة الريحان ، تحيط به سبعة من الأسود المرمرية  
وتولين ظهورها ، والماء يتدفق من أفواهها عذبا صافيا فتلقط شاعرية شوقى  
هذه الصورة .

مرمر قامت الاسد عليه كلة الظفر لينات المجس  
تنثر الماء فى الحياض جانا ترى على ترائب مجلس



وعندما يصل شوقي إلى فندق (واشنطن ايرفنج) حيث يقيم مع أسرته في قلب الغابة المحيطة بالجرار، يقف طويلاً أمام الصورة الزيتية المعلقة في بهو الفندق، والتي تمثل الملك العربي أبا عبد الله آخر ملوك غرناطة، وهو يسلم في خضوع مفاتيح المدينة إلى الملوك الكاثوليك وتثور في نفس شوقي العربي المسلم حسرات وآلام وهو يرى النهاية المحزنة لقصة المجد العربي في الأندلس، فيحمل حملة عنيفة على ذلة ابن عبد الله الصغير واستسلامه.

ومفاتيحها تقاليد ملك      باعها الوارث المضيع ببخس  
رب بان لهادم وجموع      لمشت ومحسن      لمخس

ومن الروح الأندلسية عند شوقي قصيدته القومية التي عارض فيها  
أبن زيدون.



## بين شوقي وابن زيدون

ابن زيدون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبي (١) ولد بقرطبة ونشأ بها ، وكان أبوه من وجوه الفقهاء وكبار القضاة ، وكانت قرطبة في ذلك الوقت تزخر بالعلم والأدب ، فدرس على أبيه وعلى علماء قرطبة وأدبائها الأدب وحفظ كثيرا من الشعر والأخبار والسير والأمثال والحكم وسائل اللغة ومباحثها ، وأخذ يعالج فنون الأدب حتى برع فيها ، فتم فضله ، وذاع صيته ، وارتفعت مكانته .

واتصل بابن جمهور أحد ملوك الطوائف ، فاتخذته كاتباً ومشيراً ، ثم أخذ يترقى في دولة ابن جمهور حتى قلده منصب الوزارة واعتمد عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس فلقب بذي الوزارتين وصار يعمل على تحسين الصلات بينهم وبينه بذكائه ودهائه ، إلى أن دبت عقارب السعابه بينهما فنقم عليه ابن جمهور وسجنه ولجأ إلى المعتضد بن عباد صاحب أشبيلية سنة ٤٤٨ هـ ، فاستخلصه لنفسه ، وعول في أموره عليه ، ثم وزر لابنه المعتضد وقضى في أشبيلية بقية عمره .

وقد ابتلى ابن زيدون وهو في قرطبة بحب ولادة بنت المستنكى أحد خلفاء بني أمية ، وكانت مشهورة بالجمال والأدب ، شاعرة سافرة ، تساجل الشعراء وتجادل العلماء ، وكانت دارها ناديا من أندية قرطبة ، يغشاها الأمراء والوزراء والأدباء والقادة . ومن هؤلاء ابن زيدون وكانت فيه خفة روح دعابة وإراعة أدب ، فسبق المتنافسين إلى قلب ولادة فاحلته وبادلته هي هذا الحب ، فأذكى هذا الفوز تار الحسد في قلوب منافسية.

---

يراجع في هذا :

(١) الموازنة بين الشعراء : دكتور زكي مبارك ١٢



ومزاحميه فسعوا في أفساد ذات بينهما ، واشتهر فيهم الوزير ابن عبدوس  
فتنزل في ولاية في ساعة من ساعات ملها من ابن زيدون وظفر برضاها  
ثم عاد الحب إلى مجراه الأول فرحبت به ، فكتب ابن زيدون إلى ابن  
زيدون إلى ابن عبدوس رسالة هزلية على لسان ولادة أشبعه فيها تهريراً  
وسخرية ، ضمنها كثيراً من الملمح في الأدب والتاريخ (١) .

وقصيدته الحاوية لمعانى حبه ، المسجلة لشق آلامه ، الممثلة لآماله  
في الحب وأحلامه التي هي في شعر الأندلس كله نجم يتألق ، وعلم يخفق ،  
فهو قوله يخاطب ولادة ومطالعها :

أضحى التفتاني بديلاً من تدانينا  
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وهي أعظم قصائد ابن زيدون حظاً من الذبوع والشهرة ويعد الصيت ،  
ولو لم يكن له سواها لأغنته بهذا الدوى الذي أحدثته في البيئات الأدبية ،  
وتلك المدرسة التي خلقتها من الشعراء الكثرين في كل عصر ، الذين أجبوا  
بها وعارضوها قال الصفدي : « ومن ذلك قصيدته القونية التي سارت  
في البلاد وطارت في العباد ، وقد اشتهرت حتى صارت محدودة ، فيقال أنه  
ما حفظها أحد إلا مات غريباً . . وعارضها الناس في حيانه وبعد مماته  
ولم يقاربوها (٢) .

ومن الذين عارضوها أحمد شوقي وهو شاعر بينه وبين ابن زيدون  
تشابه في النفي والمجد والحب إلا أن الحب عند ابن زيدون حب لولادة  
والحب عند شوقي هو حب مصر وكلاهما فجعة الحب فيمن أحب ، وكلاهما

---

(١) ابن زيدون : د. حسن جاد حسن .

(٢) أنظر شرحه لرسالة ابن زيدون ٤٠



يصور في قصيدته عن شعور صادق ، وألم دفين ، وكلاهما يصور فيها لوحة  
البين ، وذل الحرمان ، ووحشة الغربة ، والحنين لمن أحب وذكري أيام  
الأفداس والصفاء .

وسأبدأ بعرض النونية :

بدأها الشاعر بذكر الفراق والبين بعد طيب الوصل والتلاق ثم يصف  
ما ألم به من هذا التجافي .

أضحى التفاني بديلا من قدأنينا  
وناب عن طيب لقيانا تجافينا  
ألا وقد حان صبح البين صبحنا  
حين فقام بنا للحين فاعينا

وأخذ يصف شوقه المشتعل ودموعه الحارة .

بتم وبنا فما ابتلت جوانحننا  
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا  
تسكاد حين تناجيكم ضمائرنا  
يقضى علينا الأمل لولانا تأسينا

ثم يمضي الشاعر ليؤكدها العهد ، ويقسم على الوفاء ، حيث يقول :  
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا  
إذ طالما غير النأي المحبيننا

وتعاود الذكرى وتملكه الصبوة فينفزع إلى البرق والنسيم يبثها  
شكواه ولوعته ، ويسألها ما شاء من السؤال :

يا سارى البرق غاد القصر فاسق به  
من كان صرف الهوى والود يهيننا



ويا نسيم السبا بلغ تحيتنا  
من لو على البعد حياً كان يحينا  
وكأنى بالشاعر يحاول أن يعزى نفسه ، بأن يستعرض أوصافها ، كما  
يتعزى الوله بصورة محبوبة .

ريب ملك كأن الله أفشاه  
مسكا وقدر إنشاء الورى طينا

وينتقل الشاعر بين هذه الذكريات ، ويؤكد لها الشاعر أنه يحافظ على  
العهد حافظ للود ، وأن الراح لا يمكن أن تلميه عن ذكراك ، ولم ترحه  
من هذه اللوعة ويتوسل إليها بالحفاظ على العهد :

أما هواك ، فلم تعدل بمنهلة شربا وإن كان يروينا فيظميننا  
لم نجب أفق جمال أنت كوكبه سالين عنه ولم نهجره قائلينا  
ولا اختياراً تجنبناه عن كذب لكن عدتنا على كره عوادينا  
لا أكوس الراح تبهى من شمائلنا

سيمي أرتياح ولا الأوتار تلمينا

### شوقى :

شاعرفا يحج إلى الأندلس وينزل ضيفا على ابن زيدون ويفكر ما نزل  
به من بلاء ومحنة ونفى وتشريد ، فيصرح في هذا الأفق الذى طالما صدح  
فيه ابن زيدون ، ويذكر قصيدته النونية ، فينظم على نهجها معارضا إياها  
بنونيته يقول :

يا فائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم فامى لوادينا  
ماذا تقص علينا غير أن يدا

قصت جناحك جالت فى حواشينا



وينتقل شوقى من خطاب الطائر إلى بكاء الأندلس والحنين إلى مصر،  
فقال :

واها لنا نازحى إليك بأندلس      وإن حللنا رفيقنا من روايدنا  
رسم وقفنا على رسم الوفاء له      نجيش بالدمع والإجلال يثنينا  
وشوقى حريص على المعانى الشعرية ، فهو ينتقل فى الأندلس من حرم  
إلى حرم وهو يصور حنينه إلى مصر :

لكن مصر وأن أعضت على معة  
عين من الخلد بالكافور تسقينا

ثم يصور زمان الصفو وليالى الأفس ، وعهد المسرة ، ويستطرد من  
ذلك إلى الفخر بمصر والمصريين بعد أن يصف نيلها وأهرامها ورمالها  
وكنوزها :

لو استطعنا لخصنا الجو صاعقة      والبر نار وغى والبحر غسلينا  
يمكننا بعد عرض القصيدتين استخراج الأبيات المتناظرة فى معانيها  
أو تصويرها .

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا      يقضى علينا الأمل لولا تأسينا  
ولكن شوقياً يصون هو أحبابه عن هذه المناجاة ويغار منها فيفوق  
صاحبه :

يا من نغار عليهم من ضمائرنا  
من كان صرف الهوى والود يسقينا  
وهذا شعر جميل ، ولكن شوقياً يأخذ المعنى ويقلبه على وجوه كثيرة ،  
وينترع منه صوراً أشقى .



وقال ابن زيدون :

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حيا كان يحينا

عارضة شوقي :

ويا معطرة الوادي صرت مسحرا

فطاب كل طروح من مرامينا

أن ابن زيدون لم يزد على ترديد ما قاله مئات الشعراء « يا نسيم الصبا ».

أما شوقي فأخذ يوش المعنى توشية بارعة ويفتن فيه افتتاناً يدل على قوة الشاعرية وبراعة الخيال ، فوصف النسمة بأنها معطرة الوادي ، وأنها سارت في السحر فطاب بمسارها كل مرعى سحيق ، وأنها زكية الذيل كأنها قميص يوسف وشكر لها النعمى (١) فقال :

قلو جزينناك بالأرواح غالبية

عن طيب مسراك لم تنهض جوازي

وابن زيدون تطوف بخلد ذكري أيام الأفس فيقول :

حالت لفقدكموا أيامنا فخذت	سودا وكأنت بكم بيضا ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا	ومربع اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا فنون الوصل دافية	قطوفه فجئنا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما	كفتم لأرواحنا إلا رياحينا

---

(١) الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ٣٧٦ : دار المكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .



عارضه شوقى فجمع بين الأسمى والفخر فقال :

سقى لعهد كأكناف الربارقة أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا  
إذ الزمان بنا غيماء زاهية ترف أوقاتنا فيها رياحيننا  
الوصل صافية والعيش فاغية والسعد حاشية والدهر ما شينا  
والشمس تختال فى العقبان تحسبها  
بلقيس ترقل فى وشى الما فينا

وحين تقف أمام هاتين القطعتين لتوازن بينهما ، لا نستطيع أن نحكم  
أيهما أجود، ذلك لأن ابن زيدون بلغ قمة الإبداع على قصر نفسه فى هذه  
القطعة وبخاصة فى قوله :

إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا  
ويتملكنا الإعجاب من قول شوقى :

سقى لعهد كأكناف الربارقة أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لينا  
إذ الزمان بنا غيماء زاهية ترف أوقاتنا فيها رياحيننا  
ويشترك شوقى وابن زيدون فى التفجع ، يقول ابن زيدون :  
يا جنة الخلد أبدلنا بسلسلها والكوثر العذب زقوماً وغسلينا  
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا  
والدهر قد غص من أجفان واشينا

وعارضة شوقى :

ويا بغي كأن الحشر آخره تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا  
فطوى دجاة بخرج من فرافكمو  
يكاد فى غلس الأسفار يطوينا



من الأشياء التي أمتاز بها شوقي :

حسن المطلع فهو أروع من مطلع ابن زيدون .

وكان شوقي أعلى نفسا من ابن زيدون .

وانفرد بتوليد المعاني والإفتتان في التصوير ، مع الفخر بمصر وبهذا

يكون شوقي قد استطاع أن يغزو ابن زيدون في وطنه .

ومع ذلك لا ننسى أن ابن زيدون فتح الباب لشوقي وله فضيلة

السبق .



## المصادر

### الشوقيات

#### المراجع :

- ١ - شوقي شاعر العصر الحديث ، د. شوقي ضيف .
- ٢ - في الأدب الحديث أول وثان ، الأستاذ : عمر الدسوقي .
- ٣ - حياة شوقي ، الأستاذ : أحمد محفوظ .
- ٤ - أحمد شوقي شاعر الوطنية ، الأستاذ : أحمد زكي عبد الحليم .
- ٥ - وطنية شوقي ، د. أحمد الحوفي .
- ٦ - شعراء الوطنية ، الأستاذ : عبد الرحمن الرافعي .
- ٧ - أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، الأستاذ : أحمد تيمور .
- ٨ - أبي شوقي ، الأستاذ : حسين شوقي .
- ٩ - حافظ وشوقي ، د. طه حسين .
- ١٠ - شعراء مصر وبيئاتهم ، الأستاذ : عباس العقاد .
- ١١ - الدين والأخلاق في شعر شوقي ، الأستاذ : علي النجدي ناصف .
- ١٢ - أندلسيات ، د. صالح الأشر .
- ١٣ - أسانيفيا كما رآها السياح المسلمون .
- ١٤ - فصول في النقد ، الأستاذ : عباس العقاد .
- ١٥ - الديوان ، الأستاذ : عباس العقاد .
- ١٦ - نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ، الأستاذ : عز الدين الأمين .
- ١٧ - الشعر المعاصر على ضوء للنقد الأدبي الحديث  
الأستاذ : مصطفى عبد اللطيف السحرتي .
- ١٨ - ابن زيدون ، د. حسن جاد حسن .



- ١٩ — الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك .
  - ٢٠ — آراء واتجاهات في النقد ، د. محمد نايل أحمد .
  - ٢١ — فن الشعر ، د. محمد مندور .
  - ٢٢ — نظرات في أدبنا المعاصر ، د. زكي المحاسني .
  - ٢٣ — المسرح ، د. محمد مندور .
  - ٢٤ — مسرحيات شوقي ، د. محمد مندور .
  - ٢٥ — رساله في الأدب الحديث خطبة ، د. عفيفي عبد الفتاح .
- بمكتبة كلية اللغة العربية ١١٥
- ٢٦ — مجلة : المجلة عدد ديسمبر سنة ١٩٦٨
  - ٢٧ — الهلال عدد خاص عن شوقي .







أُسلوب المدد في إقراء القرآن الكريم

بين أُنحو القديم والحديث

" استقصاء ومخاض "

بقلم

الدكتور علي أحمد محمد زكريا

المدرس بقسم اللغويات بالكلية



## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا وإمامنا محمد ابن  
هبة الله وعلى صحابته ومن والاه وبعد :

فإن أحكام العدد من الأمور التي يقع فيها الخطأ كثيرا ، لأنها قد تغيب  
عن أذهان كثير من الناس ، فأردت أن أقدم كل ما يتصل بهذا الموضوع  
من أحكام في لغة العرب مستقصيا ذلك في أساليب القرآن الكريم ، حتى  
يكتسب الباحث ثقة وطلاوة ونفصا من ثقة وطلاوة وتقع القرآن الكريم ،  
ولن أطيل عليك أيها القارئ العزيز ، وإنما أدع بين يديك بحثي للحكم  
له أو عليه ، وعلى كل فهو جهد المقل الذي يعشق الفصحى ، ويساهم بشكل  
ما يملك في إظهار دورها للناس في عصر أصبحت فيه غريبة بين أهلها ،  
قاصدا وجهه الله في وضع لبشات تساعد على فهم كتاب الله ، فاللهم شد  
الأزر ، وسدد الخطأ ، إنك سميع مجيب ، وبالإجابة جدير ،



## تمهيد

### بين العدد والحساب

قال ابن سيده في المخصص (١) : قال صاحب العين : العدد : مقدار ما يعد ، والجمع أعداد . والعد : إحصاء الشيء . وتقول : عدته عددا ، وتعداداً ، وعدته ، والمضارع أعهده ... ،

[ ثم قبل : ] والحساب عدل الأشياء ، من حسبت الشيء أحسبه حساباً وحساباً وحساباً وحسبه ، وحسابك على الله - أي = حسابك عليه . قال تعالى : ( ولتعلموا عدد السنين والحساب ) (٢) وقوله عز وجل ( يرزق من يشاء بغير حساب ) (٣) اختلف في تفسيره ، فقال بعضهم : بغير تقدير على أحد بالنقصات وقال بعضهم : بغير محاسبة ما يخاف أحداً أن يحاسبه عليه ... ،

وقال الرضى في شرح الكافية (٤) : العدد ما وضع لكمية الشيء ، ويقصد بذلك كميته المحدود .

وقال صاحب التوضيح (٥) : العدد : ما ساوى نصف مجموع حاشيتيه

---

(١) انظر المخصص ٩٦/١٧ .

(٢) الإصراء : ١٢ .

(٣) آل عمران : ٣٧ .

(٤) ١٤٥/٢ .

(٥) ٢٦٩/٢ .



المتقابلتين ، والمقصود بالخاشيتين المتقابلتين ، ما قيل العدد مباشرة ، وما بعده أيضا من الأعداد .

فمثلا العدد خمسون حسابيا يكون هذا :  $49 + 51 = 100$  ونصفها يكون العدد ( ٥٠ ) .... وهكذا .

إلا إنه يلاحظ أننا حينما نتحدث بالعدد وننطق به يكون الهدف من وراء ذلك أحد المعاني الآتية :

أولا : أننا أحيانا ننطق به ونريد منه مقدار المعدود ، وهذا ما يسمى بالعدد الأصلي ، أو العدد الصريح ، وهو الذى يبين كمية المعدود مكتوبة بالرقم الحسابي أو بالحروف العربية ، وعلى كل فعند النطق بهذه الأرقام لا بد من نطقها بالنصحي من اليمين إلى اليسار ، وهو الموافق لطبيعة لغة العرب وكتابتهم ، حيث تقرأ وتكتب من اليمين إلى اليسار كما يصح أيضا أن تنطق من اليسار إلى اليمين ، حيث أجز ذلك يحسن أيضا ، إلا إنه يلاحظ أن التمييز فيما له تمييز يكون لآخر عدد منطوق في الحالين .

والقواعد الضابطة لذلك النطق — من صحة التراكيب للأعداد وتعريفها أو تنكيرها .... هي ما تريد إظهارها وتوضيحها فيما سيأتى من أحكام حتى يستبين أمرها — وذلك من الأهمية بما كان أدر كما المتقدمون حتى قال القلقشندي في صبح الأعشى : « وما يجب أن يفتفع به السكتاب النسب لكثرة استعماله في الألقاب ونحوها ، وكذلك العدد ، فإنه مما يقع فيه اللبس عل المبتدىء ... »

ثانيا : أننا أحيانا أخرى فنطق بالعدد وتحدث به قاصدين بيان مقدار المعدود مع بيان ترتيبه في المعدودات — وهذا يقال له العدد الترتيبي نحو : ثان وثالث ورابع ، أو الثانى والثالث والرابع وهكذا



وسياتي تفصيل أحكامه إن شاء الله في المكان المخصص لها من هذا البحث .

ثالثا : أننا في أحيان ثالثة ننطق بالعدد ونتحدث به لا نقصد منه كمية المعدود ، ولا بيان ترتيبه ، وإنما قصد التقريب بضرب الأمثلة ، أو المبالغة والكثرة لأننا لا نقصد معدود الأعداد التي نطقنا بها ، ولكن نقصد بها ما انضم تحتها من أجناس وأصناف وأنواع وصفات وخصال ، ولكي أقرب ذلك وأوضحه سأضرب لذلك الأمثال الشارحة والكاشفة لما أريد أن أقوله .

فمثلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلمهم الله في حظه ... الخ الحديث »

وقوله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات ... الخ » .  
وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ... الخ الحديث » .

فالأعداد هنا لا يقصد بها كمية المعدود بأحاده وافراده المحدودة في الواقع الخارجي حتى يكون من النوع الأول ، ولا يقصد بها بيان ترتيبها لأنه ليس على صيغتها ، إذن فهذا نوع جديد ، وطريقة ثالثة من طرق استخدام الأعداد — ليكون المراد منها التقريب بضرب الأمثال — أو يقصد بتلك الأعداد ما انضم تحتها من أنواع وأجناس وصفات — ومن هنا قيل إن الإخبار بعدد مقصود به ذلك لا يتنافى ذكر غيره بعد ذلك إذا لم يكن هناك قرينة ملزمة بذلك — وهذا معنى قولهم أيضا : إن العدد لا مفهوم له عند شرح تلك الأحاديث وبناء عليه ، فلا تنافي إطلاقا أن نجد في أحاديث أخرى أقل أو أكثر من هذا العدد — فمثلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أية المنافق ثلاث ... الخ الحديث » .



وقوله صلى الله عليه وسلم : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً  
.... الخ الحديث » .

لا تعارض بينهما ، لأن الفرض هنا ليس المعدود بأحاده ولا ترتيبه ،  
ولكن المقصود أربع خصال أو صفات أو أنواع منها وأجناس ، وهذه  
الخصال والصفات وأنواعها وأجناسها قد تمكثر وقد تقل وما ذكر منها  
فهو على سبيل المثال والتقريب والتشيل لا على سبيل التحديد والحصر .

وقيل منهم قوله عز وجل : ( إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا  
مائتين (١) ) لأنه ليس المقصود هنا — والله أعلم بمقصوده — بيان كمية  
الآحاد والافراد ، ولكنه تقريب بضرب مثال أو بيان لأنواع وأصناف  
وأجناس تنصم تحت هذا العدد ، ولذا لم يذكر معدود ، لذهب النفس فيه  
كل مذهب ، وتفهمه بالتقريب والاحتمال ، ويعجبني ما قاله الإمام  
أبو السعود (٢) حيث قال بعد تلك الآية الشريفة : « هذا وعد كريم من  
الله تعالى بغلبة كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم ثم خفف ذلك إلى  
الضعف في قوله تعالى : ( الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن  
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين  
يؤذن الله والله مع الصابرين ) (٣) »

ويمكن أن نقول ذلك في قوله تعالى : ( عليها تسعة عشر ) (٤) أى  
تسعة عشر صنفاً من الملائكة وبه قال المفسرون والآية تحمل ذلك

---

(١) الانفال ٦٥

(٢) ٢٤٧/٢

(٣) الانفال ٦٦

(٤) المدثر ٣٠



حسب ما قدمنا بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ( وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ) (١) .

ومادامت الآية تحتمله فلا مانع من إدارة الحقيقة لأن الله قادر على كل شيء ، ويحتمل أن تكون على سبيل التقريب والتمثيل والتحدى وبذلك يعلم عدم صحة ما قيل حول هذا العدد ( تسعة عشر ) من خرافات وترهات قائلها البهائيون ومن هذا حذوهم لأن اللغة لا تعطى مفهوماً ولم يعمد عن العرب ذلك ، ولذا كان ما قالوه عن هذا ، ضرب من التخرين والتخمين لا من باب العلم (٢) .

رابعاً : أفنا أحياناً فنطق بالأعداد منسوبة أو معدولة عن جملتها أو مضافة ، وأحياناً قد يشتق منها أفعال ، أو يؤثر فيها بالكسور والأبغاض ، كما أنه يطالعنا من كلام العرب ألفاظ دالة على العدد من غير أن فنطق بأى عدد مثل : إستار (٣) ونواة (٤) ، والأوقية ، والفرق ، والبضع ، والشيع ، والشفع والوتر .

كما أن هناك مبهمات دالة على العدد المبهم أى كمية معدود غير محدودة مثل : كم الخبزية وكم الاستفهامية ونحوهما مثل : كيت وذيت ، وكأين ، وكذا .

---

(١) المدثر ٣٨

(٢) انظر تفسير الآية في ظلال القرآن ص ٣٧٥٧ وما بعدها ، وانظر شرح التوضيح ٢/٢٦٩ ، والنحو الوافى لعباس حسن ٤/٥١٧

(٣) كلمة فارسية بمعنى أربعة وهى معرب جهار أنظر المعرب للجوالقى ص ٩٠

(٤) النواة : مازنته خمسة دراهم .



وبإذن الله وتوفيقه سأحاول قدر استطاعتي أن أميط اللثام عن كل ذلك  
جاعلاً كل نوع في باب مستقل شارحاً أو حواله في فصول تحت ذلك الباب  
مستقصياً كل نوع في أساليب القرآن الكريم إن كانت فيه ، منها على  
الموجود منها فيه ، وغير الموجود ، فأرجو من الله التوفيق والسداد إنه  
على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .



## العدد الأصلي

تمهيد في بيان أنواع العدد الأصلي .

العدد الأصلي ويسمى أيضاً بالعدد الصريح — وهو العدد الذي فنطقه ونريد منه مقدار المعداد الحقيقي في الواقع الخارجي .

وهذا القسم من الأعداد له خمسة أنواع :

أولها : — العدد المفرد — أي اللفظ الدال على العدد ومكون من لفظ واحد فقط وإن كان مدلوله قد يكون أكثر من واحد فتعني بالإفراد أنه مكون من كلمة واحدة وهذا من الواحد إلى العشرة من الأعداد ، ويتبعها مائة ، وألف ، ومليون ، ومليار .

ثانيها : العدد المركب من كلمتين مزجتا ببعضهما وارتبطتا ببعضهما أيضاً ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يفهم العدد والمعداد إلا من الكلمتين معاً ، وهو العدد : من أحد عشر إلى تسعة عشر .

ثالثها : العدد المركب من كلمتين ارتبطتا ببعضهما عن طريق العطف بحيث لا يفهم العدد والمعداد إلا من الكلمتين معاً أيضاً وهي الأعداد الواقعة أيضاً ما بين العقود وما بعد المائة والألف وغيرهما حيث تكون من الآحاد معطوفاً عليها العقد أو غيره مثل : واحد وعشرون ، وأربع وثلاثون وسبع وأربعون ، وثمان وخمسون ، وتسع وستون ، وتسعون ، ومائة وثلاثة وهكذا .

رابعها : العقود ، ويقصد بها : الأعداد (١) : عشرون ، وثلاثون

---

(١) التي تعرب إعراب جمع المذكر السالم من العقود وإلا فالعشرة عقد إلا أنها لا تعرب هذا الإعراب .



وأربعون ، وخمسون ، وستون ، وسبعون ، وثمانون ، وتسعون — وكل هذه الأعداد تسمى أعداداً صحيحة .

أما كسور الأعداد وأبعاضها فسيكون لها موضع آخر نبين فيه حكمها .

خامسها : الأعداد المعدولة عن العدد الأصلي ليقصد بها الكيفية والصفة المأخوذة من العدد مثل : جاء القوم مثنى وثلاث ورباع أى جاءوا على هيئات ثلاثة وثنائية وثلاثية ورباعية فالكيفية والصفة أخذت من العدد نفسه بغض النظر عن عدد القوم لأن الفرض لم يتعلق به . ونحن الآن مع الأعداد الصريحة والصحيحة بالأنواع التى تقدمت وسأجعل كل نوع فى فصل مستقل إن شاء الله تعالى .



## أولاً : ( العدد : واحد معناه واستعمالاته )

الواحد : أول العدد ، وكذلك الواحد ، والآخر .

والواحد : اسم فاعل بمعنى المنفرد أى العدد المنفرد واسم المفعول :  
موجود ، وموحد ، والصفة المشبهة وحيداً ، ووحيد ، وقد ورد لفظ  
( وحيد ) فى القرآن فى آية واحدة هى قوله عز وجل : ( ذرني ومن خلقت  
وحيداً ) (١) .

والفعل منه : وحد يحد وحداً بمعنى انفرد . ووحادة ، ووحودة ،  
ووجوداً ووحدة ، ووحدة (٢) .

وإذا تتبعنا لفظة ( واحد ) فى اللغة تذكر كثيراً وتأنثاً فستجد للمذكر  
واحد ، وأحد ووحد . وللمؤنث واحدة وإحدى .

وبقى أن تعلم أن واحداً مؤنثه واحدة ، وأحد مؤنثه إحدى ، وأما ( واحد )  
فهو أصل ( أحد ) قلبت الواو ألفاً ، وإن كان إبدال المفتوحة همزة ليس  
بمطرود ، ومئة : امرأة أفاءة فى وفاة (٣) .

ولعلك تتساءل ما السر فى كون المؤنث لواحد واحدة ولأحد إحدى ؟

أقول لك : إن الغالب فى واحد وواحدة أن يستعملا فى الصفات

---

(١) الآية ١١ من سورة المائدة .

(٢) انظر المخصص ٩٦/١٧ ، وانظر شرح الكافية للرضي ١٤٦/٢ ،  
والصبيان على الأسمونى ١٧٢/٢ ، والقاموس المحيط مادة ( واحد ) .

(٣) انظر سيديويه ٣٣١/٤ ، ٣٣٢ حيث قال : وليس ذلك بمطرود فى  
المفتوحة ، وانظر العكبرى فى سورة الإخلاص .



لا في الأسماء ، والغالب في أحد وإحدى أن يستعمل استعمال الأسماء  
لا الصفات ، ولأجل ذلك جعلوا المؤنث لواحد واحدة ولأحد إحدى  
فرقا بين الاسم والصفة .

### استخدامات واحد وواحدة لغة وقرأناً

— علمت مما سبق أن الغالب في واحد وواحدة أن يستخدم استعمال  
الصفات ، وفي هذه الحالة يحريان في التذكير والتأنيث على الموافقة  
لما قبلهما شأن الصفة والموصوف . فتقول : رجل واحد وامرأة واحدة  
— ولذا يعربان صفة للمتقدم ويتبعانه في الإعراب والنوع والعدد .

— ويصح في ( واحد ) الجمع مذكراً على واحدین ومكسراً على  
وحدان وأحدان والهمزة فيه بدل من الواو (١) . وعلى ذلك قول الشاعر :

وقد رجعوا كحى واحدینا

بمعنى منفردین ،

وقول الآخر :

يحمى الصريحة أحدان الرجال له

صيد ومجترى بالليل همام (٢)

---

(١) انظر ابن يعيش ٣٢/٦ ، والقاموس المحيط مادتي أحد ، وحد .  
وانظر شرح الرضى على الفكاكية ١٤٦/٢

(٢) البيت الأول من الوافر وقائله الكميت بن زيد وصدره :

فضم قواصی الأحياء منهم فقد رجعوا كحى واحدینا

وهو من شواهد المخصص ٩٧/١٧ وجاء به شاهداً في قوله : —



— وقد يستخدمان ( واحد وواحدة ) استخدام الأسماء ، كقولهم :  
واحد ، اثنان ، واحدة اثنان ، فهما هنا اسمان لا وصفان كما أن سائر أسماء  
العدد كذلك ، ولذا لا يجرى شيء منها على موصوف على حد جرى الصفة  
عليه ، وفي هذه الحالة لا يثنى العدوان واحد وواحدة — ولا يجمعان ،  
لأنهم استغنوا عن ذلك يقولهم : اثنان وثلاثة (١) .

— وقد يضاف العدد ( واحد ) إلى ما بعده لإزالة الإبهام ، وإنما  
للنخصيص والإستحقاق كقول الشاعر :

---

= واحدنا حيث جمع واحد عليه لأنه وقع صفة للمعدود في المعنى لأنه  
حال والحال وصف لصاحبه والمعنى : رجعوا كحى منفردين .

والبيت من شواهد اللسان مادة ( وحد ) وفي ديون الشاعر : ١٢٢/٢ ط  
١٩٦٩ م .

والبيت الثاني من البسيط وقائله مالك بن خويلد ، وهو في ديوان  
الهذليين ٣/٣ وفي النخصص ٩٧/١٧ وجاء شاهداً على أن ( أحدان جمع واحد  
تفسيراً حيث أريد به الصفة ، لأن المعنى : أما النهار فالرجال الوحيدون له :  
صيد ، ومجرىه ، وهماس ، وجمع على فعلا لأن الصفة استخدمت  
استخدام الأسماء مبالغة في ثبوتها لمستحقها والبيت من شواهد اللسان مادة  
( وحد ) وابن يعيش ٣٢/٦ والبيت رواية أخرى :

يحمى الصريمة أحداث الرجال له — صيد ومستمتع بالليل هماس  
وأنظره في النخصص في ٩٦/١٧

(٢) أنظر الخصائص لابن جني ٧٨/٢ ، ٢٦٢/٣ ، والنخصص لابن سيده



إنما رجل الدنيا وواحد —  
من لا يعول في الدنيا على أحد

وتقول العرب . واحد دهره ، أى : لا نظير له (١) .

— وواحد ، وواحدة . قد يستخدمان في التنيف تر كيباً وعطفاً  
لكن قليلاً ، فيقال : واحد عشر ، وواحدة عشرة ، وواحد وعشرون  
وواحد وعشرون — والآخر والأكثر في التركيب : أحد عشر وإحدى  
عشرة باستخدام أحد وإحدى مكاف واحد وواحدة والأكثر أيضاً  
في العطف : واحد وعشرون على الأصل ، وإحدى وعشرون — على  
المبادلة (٢) .

— والبهظة ( واحد ) وردت في القرآن ثلاثين مرة ، مرفوعة في سبع  
عشرة آية ، ومنصوبة في خمس آيات ، ومجرورة في ثمان آيات وإليك بيان  
ذلك بالإستقصاء والتفصيل :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم	١٦٣	البقرة
٢	( إنما الله إله واحد	١٧١	النساء
٣	( وما من إله إلا إله واحد	٧٣	المائدة
٤	( قل إنما هو إله واحد وإلنى برىء مما تشركون	١٩	الأنعام
٥	( أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار	٣٩	يوسف
٦	( قل الله خالق كل شىء هو الواحد القهار	١٦	الرعد
٧	( وليعلموا إنما هو إله واحد	٥٢	إبراهيم

(١) أنظر مختار الصحاح مادة ( واحد ) .

(٢) أنظر الرضى على الكافية ١٤٦/٢ وابن يعيش ٣٢٠/٦ يتصرف .



٢	الآية	رقمها	السورة
٨	( إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة )	٢٢	النحل
٩	( وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد )	٥١	النحل
١٠	( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد )	١١٠	الكهف
١١	( قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون )	١٠٨	الأنبياء
١٢	( فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين )	٣٤	الحج
١٣	( وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون )	٤٦	العنكبوت
١٤	( إن إلهكم لواحد — رب السموات والأرض )	٤	الصافات
١٥	( وما من إله إلا الله الواحد القهار )	٦٥	ص
١٦	( سبحانه هو الله الواحد القهار )	٤	الزمر
١٧	( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين )	٦	فصلت

ويلاحظ أن لفظة ( واحد ) وقعت صفة في كل الآيات ما عدا آيتي العنكبوت والصافات فهي خبر فيهما ، وإن كان الخبر وصفاً للمبتدأ في المعنى كما قرره علماء النحو .



— ( واحد ) بالجر في ثمانى آيات هي بالإستقصاء كما يلي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد	٦١	البقرة
٢	( ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد —	١١	النساء
٣	( وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس	١٢	النساء
٤	( لا تدخلوا من باب واحد ، وأدخلوا من أبواب متفرقة	٦٧	يوسف
٥	( يسقى بماء واحد ، وتفضل بعضها على بعض في الأكل	٤	الرعد
٦	( وبرزوا لله الواحد القهار	١٦	الرعد
٧	( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة	٢	النور
٨	( لمن الملك اليوم لله الواحد القهار	١٦	غافر

وبلاحظ أن لفظة ( واحد ) صفة لما قبلها في كل الآيات المتقدمة ماعدا المسبوقة بـ ( كل ) فإنها اسم مضاف إليه ، وليست صفة قتنية لذلك .

— أما لفظة ( واحدة ) بالنصب وردت في خمس آيات هي بالتحديد والإستقصاء في الآيات التالية :



م	الآية	رقمها	السورة
١	( قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل إلهها واحدا	١٢٣	البقرة
٢	( وما أمروا إلا ليعبدوا إلهها واحدا	٣١	التوبة
٣	( لاتدعوا اليوم بشورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا	١٤	الفرقان
٤	( أجعل الآلهة إلهها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب	٥	ص
٥	( فقالوا أيشر أمنا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسهر	٢٤	القمر

— ويلاحظ أنها صفة في كل الآيات السابقة .

— أما لفظة ( واحدة ) فإنها وردت في القرآن إحدى وثلاثين مرة، مرفوعة في خمس آيات ، ومجرورة في سبع آيات، ومنصوبة في تسع عشرة آية وإليك ذلك مفصلا ومستقصى في أساليب القرآن الكريم ، (فواحدة) بالرفع وردت في الآيات التالية :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون	١٩	الصافات
٢	( إن هذا أخى له تسمع وتسعون نعيمة واحدة	٢٣	ص
٣	( وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر	٥٠	القمر

( ١٧ — مجلة دمنهور ع ٣٤ )



م	الآية	رقمها	السورة
٤	( فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة	١٣	الحاقة
٥	( فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة	١٣	النازعات

ويلاحظ أنها في الآيات الخمس السابقة صفة لما قبلها ما عدا أية القمر فإنها صفة لمحذوف .

والأمر في الآية بمعنى الشأن — والمعنى : وما شأننا في الخلق والإيجاد إلا مرة واحدة كلمح البصر في السرعة نقول الشيء كن فيكون (١) .

قال ابن كثير في المختصر : وهذا إخبار من الله عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال : وما أمرنا إلا واحدة أي إنما فامر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بشانية فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين ، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمراً فإنيما

يقول له : كن قوله فيكون (٢)

— وواحدة — بالنصب وردت في الآيات الآتية وعددها تسع عشرة آية وإليك ذلك بالتفصيل :

(١) أنظر صفوة التفاسير ص ١٤٥٤

(٢) ومنه يفهم أن الأمر هنا بمعنى المشيئة أو الإرادة أنظر مختصر ابن كثير المجلد الثاني ٤١٤



( ٢ )	الآية	رقمها	السورة
( ١ )	كان الناس أمة واحدة	٢١٣	البقرة
( ٢ )	فإن خفتهم ألا تعدلوا فواحدة — أى فتزوجوا واحدة	٣	النساء
( ٣ )	وإن كانت واحدة فلها النصف	١١	النساء
( ٤ )	ود الذين كفروا لو تفعلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميالون عليكم ميلة واحدة	١٠٢	النساء
( ٥ )	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها آياتكم	٤٨	المائدة
( ٦ )	وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلافوا	١٩	يونس
( ٧ )	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين	١٨	هود
( ٨ )	ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون	٩٣	النحل
( ٩ )	إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون	٩٢	الأنبياء
( ١٠ )	وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون	٥٢	المؤمنون
( ١١ )	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة	٣٢	الفرقان
( ١٢ )	إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون .	٢٩	يس



م	الآية	رقمها السورة
١٣	( ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون: ٤٩ يس	
١٤	( إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع الدنيا محضرون	٥٣ يس
١٥	( وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ١٥ ص	
١٦	( ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة .	٨ الشورى
١٧	( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن	
	ليبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ٣٣ الزخرف	
١٨	( إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٣١ القمر	
١٩	( وحملت الأرض والجال فدكتا دكة واحدة ١٤ الحاقة	

وبلاحظ أن لفظة ( واحدة ) وقعت صفة مخصصة — ومؤكدة لما قبلها في جميع الآيات السابقة ماعدا الآية الثالثة من سورة النساء فهي مفعول لفعل محذوف كما قدرت .

أما ( واحدة ) بالجر فقد وردت في سبع آيات وإليك ذلك .

م	الآية	رقمها السورة
١	( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ١ النساء	
٢	( وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ٩٨ الأنعام	
٣	( هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها	
	زوجها ليسكن إليها ١٨٩ الأعراف	



م (	الآية	رقمها	السورة
٤ (	وأعتدت لهن متكئا وآت كل واحدة منهن سكيناً .	٣١	يوسف
٥ (	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير .	٢٨	لقمان
٦ (	قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى	٤٦	سبأ
٧ (	خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج .	٦	الزمر

ويلاحظ أنها صفة لجرور في الجميع ما عدا آيتي يوسف وسبأ فهما اسمان بجروران الأولى بالإضافة والثانية بحرف الجر ويمكن أن يكون حرف الجر في الثانية داخلا على موصوف محذوف تقديره : قل إنما أعظكم بموعظة واحدة — وعلمية فتكون صفة لاسمها .

ومن كل ما تقدم من الآيات في الرفع أو الجر أو النصب يتأكد لنا من القرآن الكريم الذي هو في أعلى المراتب صحة من ناحية التراكيب اللغوية والنحوية وأعلامها فصاحة وبلاغة وبياناً — أن لفظي واحد وواحدة أكثر استخدامهما في الصفات ، وقد يستخدمان استخدام الأسماء ، وفرق بين الصفة والاسم حيث يجوز في الصفة التبعية لما قبلها لعرابا ونوعا وكا . أما الاسم فليص بواجب فيه ذلك .

— هذا وقد جاء لفظ ( واحد ) معدولا على ثلاث صيغ هي :

١ — مفعول بفتح الأول والثالث — جاءوا موحداً موحداً —

٢ — فعال بضم الأول وفتح الثاني — جاءوا احاداً احاداً —



٣ — فَعَالَ بِكسر الأول وفتح الثاني — جَاءُوا وَحَادَ وَحَادَ .

أى فرادى — غيـز أن الإِسْتِعْمَال القَرَأَنى جَاءَ عَلَى فرادى فحسب وقد وردت كلمة فرأوى مرتين : مرة فى قوله تعالى : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فرأوى كما خلقناكم أول مرة ) الأنعام ٩٤

ومرة فى قوله تعالى : ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ) الآية ٤٦ من سورة سبأ .



## استخدامات أحد و واحد وإحدى لغة وقرأنا

قد علمت مما سبق أن الألفاظ - أحد، و واحد، وإحدى - تستعمل أسماء في الأعداد، ولا تستعمل صفات، وسأتناول كل لفظة على حدة من ناحية استعمالها في اللغة والقرآن الكريم.

أولاً : لفظة ( أحد )

هذه الكلمة لها استخدامات في اللغة :

١ - الكثير والغالب فيها أنها تستخدم لإقادة العموم ، وفي هذه الحالة لا تقع إلا بعد النفي أو الاستفهام . أو شبه النفي وهو : النفي (١) .

أما إذا وضعته موضع ( واحد ) في العدد أى المستخدم إستخدام الأسماء لا الصفات جاز أن يستخدم في موضع الواجب والمثني نحو : واحد وعشرون وأحد وعشرون ، قال تعالى : ( قل هو الله أحد ) (٢) .

---

(١) تقول : لا أحد ، هل من أحد ، ما جاءني من أحد ، أنظر سيبويه ٥٤١١ ط هارون ، وأنظر الرضى على الكافية ١٤٦/٢ ، وابن يعيش ٣١/٦ ، ٣٢ . وأنظر مختار الصحاح مادة ( واحد )

(٢) الآية (١) من سورة الإخلاص . وأنظر إعراب ( أحد ) في العكبري في سورة الإخلاص ٢٩٧/٢ ط الحلبي ١٩٦٩ م

وإعرابها ملخصاً كالآتي :

هو : ضمير شأن مبتدأ . ( الله أحد ) جملة في محل رفع خبر عن ضمير الشأن ، والمعنى : الشأن والحال والواقع ( الله أحد )



— والهمزة في (أحد) المراد بها العموم أصلية ، وفي المستجدة في موضع واحد بدل من الواو . وقيل أصل فيهما .

٢ — وقد تضاف كلمة (أحد) إلى ضمير المتكلمين (أحدنا) وإلى ضمير المثنى غائبا ، أو مخاطبا (أحدكما) ، وإلى ضمير الجمع الغائب أو المخاطب : (أحدهم) (أحدكم) ، وقد يضاف إلى ظاهر مثنى أحد الرجلين ، أحد الفريقين .

٣ — وقد تركب مع العشرة فنقول : أحد عشر ، وقد وردت بهذا التركيب في القرآن في آية واحدة هي قوله تعالى : (إني رأيت أحد عشر كوكبا) الآية (٤) من سورة يوسف .

٤ — وقد يعطف عليها العقد أو غيره : أحده وعشرون ، أحدي وثلاثون والأجسن أن يبدل هنا (واحد) مكان أحد تخفيفا ونقول : واحد وعشرون ، واحد وثلاثون إلى واحد وتسعين .

= وقيل : هو بمعنى : ربى الذى تسألون عنه ، لأنهم قالوا الرسول الله ﷺ : أربك من نحاس أم ذهب ؟ فجاء الجواب :

هو : أى ربى الذى تسألون عنه (الله) . وعلى ذلك فهـ (هو) مبتدأ و(الله) خير عنه بمعنى : ربى الله : وأحد تكون على ذلك بدلا من لفظ الجلالة ، أو خيرا لمبتدأ محذوف تقديره : هو أحد بمعنى : منفرد .

ويصح أن يكون لفظة الجلالة بدلا من الضمير ، و(أحد) هو الخبر عن الضمير الواقع مبتدأ

وعلى كل فـ كلمة (أحد) هنا بمعنى واحد الواقع إسما لا صفة



٥ — ولفظة (أحد) بالتذكير وردت في القرآن الكريم في أربع وتسعين آية على ثلاثة أنواع :

(أ) مضافة في إحدى وعشرين آية .

(ب) وغير مضافة في ثنتين وخمسين آية .

(ج) ومركبة في آية واحدة ، وقد تقدمت .

النوع الأول : (المضافة) ورد على نوعين نوع مع الجمع ، ونوع مع المثنى ، (١) والذي مع الجمع ثلاثة أنواع متكلمين ، ومخاطبين ، وغائبين فالإضافة إلى المتكلمين وردت في آية واحدة هي قوله تعالى : قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدهما مكافه إننا نراك من المحسنين (٢) ، والإضافة إلى المخاطبين وردت في سبع آيات هي :

م	الآية	رقمها	السورة
(١)	كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً ،	١٨٠	البقرة
	الوصية		
(٢)	أيود أحدكم أن تكون له جنة من تخيل وأعشاب	٢٦٦	البقرة
(٣)	يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت	١٠٦	المائدة

(١) وردت مضافة إلى الجمع في خمس عشرة آية ، ومضافة إلى المثنى في ست آيات كما فصلت في الشرح

(٢) الآية ٧٨ من سورة يوسف ، ولفظ (أحد) فيها منصوب ، لأنه وقع مفعولاً به للفعل الذي قبله ، والإضافة فيه على معنى (من)



م	الآية	رقمها	السورة
٤	( حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون	٦١	الأنعام
٥	( فابعثوا أحدكم بورقمكم هذه إلى المدينة	١٩	الكهف
٦	( يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه	١٢	الحجرات
٧	( وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأت أحدكم الموت	١٠	المنافقون

ويلاحظ أن لفظة ( أحد ) وقعت موقع الاسم حيث وقعت فاعلا ومفعولا . ومبتدأ ، وبجرورة بالحرف أو بالإضافة في الآيات المتقدمة والتالية بعد ذلك أيضا .

ولا يقع هذه المواقع إلا الأسماء لا الصفات  
والإضافة إلى الغائبين وردت أيضا في سبع آيات هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( ومن الذين أشركوا يود أحدكم لو يعمر ألف سنة	٩٦	البقرة
٢	( فلن يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهباً ولو افقدي به	٩١	آل عمران
٣	( حتى إذا حضر أحدكم الموت قال أنى ثبت الآن	١٨	النساء
٤	( حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب أرجعون	٩٩	المؤمنون
٥	( وإذا بشر أحدكم بالآثى ظل وجهه مسوداً	٥٨	النحل
٦	( فشهادة أحدكم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين	٦	النور
٧	( وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم	١٧	الزخرف



أما الإضافة إلى المثنى فهي على نوعين : للمخاطب والغائب (١).  
فالإضافة إلى المخاطب وردت في آية واحدة هي قوله تعالى : (يا صاحبي  
السجن أما أحكما فيسقي ربه خمرا) (٢).  
والإضافة إلى الغائب وردت في خمس آيات في القرآن الكريم هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما )	٣٧	المائدة
٢	( ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراي أعصر خمرا	٣٦	يوسف
٣	( وضرب الله مثلا رجلين أحدهما لا يقدر على شيء	٧٦	النحل
٤	( إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف )	٢٣	الأمراء
٥	( وإضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعقاب )	٣٢	الكهف

أما غير المضافة وقد علمت أنها وردت في القرآن الكريم في ثنتين  
وخمسين آية على ثلاث صور إعرابية حيث جاءت مرفوعة في ثلاث  
عشرة آية ، ومنصوبة في عشرين آية ، ومجرورة في تسع عشرة آية .

وعلى كل فيجب أن نعلم أن لفظة ( أحد ) في غير الإضافة وردت  
والة على العموم في الآيات كلها إلا آية واحدة هي قوله تعالى : ( قل هو  
الله أحد ) فإنها دلت على الانفراد والوحدانية في هذه الآية .

(١) المخاطب في آية واحدة والغائب في خمس آيات كما ستعرف في الشرح  
(٢) الآية ٤١ من سورة يوسف .



كما يلاحظ أيضاً أنها مسبوقة ينفى (١) دائماً عند إرادة العموم ، ولم تسبق ينفى عند إرادة الإفراد والوحدانية ، وإليك ذلك في القرآن الكريم لتعرف أنه جاء على أعلى مستوى لغوى عرفه العرب بل تحداهم أن يأتوا بآية أو بسورة من مثله فعجزوا فيها بنا إليه لتعلم منه .

أما (أحد) المرفوعة الدالة على العموم والمسبوقة بالنفي ولو في المعنى وقد وردت في اثني عشرة آية هي :

م	الآية	رقمها	السورة
(١)	قل إن الهدى هدى الله ، أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (١)	٧٣	آل عمران
(٢)	وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم	٤٣	النساء
(٣)	وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم		
(٤)	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره	٦	المائدة
(٥)	فأمر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد	٨١	هود
(٦)	ولا يلتفت منكم أحد ، واهضوا حيث تؤمرون	٢٥	الحجر
(٧)	قل إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً	٢٢	الجن

(١) ولو في المعنى

(٢) الآية : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، قل إن الهدى هدى الله ، أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ( فلفظ أحد وقع بعد نفي لفظي أو معنوي كما ستراه في الشرح



٢	الآية	رقمها	السورة
٨	( فيومئذ لا يعذب عذابه أحد	٢٥	الفجر
٩	( ولا يوثق وثاقه أحد	٢٦	الفجر
١٠	( أيحسب أن لن يقدر عليه أحد	٥	البلد
١١	( أيحسب أن لم يره أحد	٧	البلد
١٢	( ولم يكن له كفواً أحد	٤	الإخلاص

#### الملاحظات :

١ — يلاحظ أن الآية الأولى قبلها ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم —  
قل إن الهدى هدى الله — أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ( فجملته ( إن الهدى  
هدى الله ) اعتراضية لإلزام الحجة — وأن الأمر ليس كما يقولون بل أنه  
من الله .

وبقية الآية — أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم —  
متعلقه بقوله تعالى : ( ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ) والمعنى : ولا تؤمنوا  
إلا لمن تبع دينكم خشية أو مخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم — أو خشية  
ومخافة أن يحاجوكم به عند ربكم — فافظ ( أحد ) واقع بعد النفي لفظاً ( ولا  
تؤمنوا ) أو معنويًا مخافة أو خشية (١) .

٢ — يلاحظ أن الآيتين الثانية والثالثة في المسلسل العام الشرط فيها  
حل محل النفي لأن فيه معناه، ولذا قالوا عنه: إن الشرط شبه النفي وكذلك  
الاستفهام .



٣ — يلاحظ أني قلت أن عدد الآيات التي وردت فيها (أحد) مرفوعة ثلاث عشرة آية وقد تقدم من ذلك اثنتا عشرة آية والآية الثالثة عشرة وردت (أحد) فيها بعد الإيجاب لا بعد النفي وقد جاء ذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: (قل هو الله أحد) وقد تقدم الكلام عنها قبل ذلك .

أما (أحدا) المنصوبة والمسبوقة بالنفي أو شبهه وردت في عشرين آية هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	(وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ	٢٠	المائدة
٢	(فَإِنِّي أَعَذُّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذُّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ	١١٥	المائدة
٣	(ثُمَّ لَمْ يَنْقُصْكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَطَاهِرْوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا	٤	التوبة
٤	(وَلَيْتَطْلَفَ وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا	١٩	الكهف
٥	(فَلَا تَمَارُ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءٌ ظَاهِرًا ، وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا	٢٢	الكهف
٦	(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا	٢٦	الكهف
٧	(لَسْنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا	٣٨	الكهف
٨	(وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا	٤٢	الكهف
٩	(وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ تَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا	٤٧	الكهف
١٠	(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظَالِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	٤٩	الكهف



م	الآية	رقمها	السورة
١١	( فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا )	١١٠	الكهف
١٢	( فإما ترين من البشر أحدا فقولى : إني نذرت للرحمن صوما )	٢٦	مريم
١٣	( فإن لم تجدوا فيها أحدا ، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم )	٢٨	النور
١٤	( ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله )	٣٩	الأحزاب
١٥	( لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع فيكم أحدا أبدا )	١١	الحشر
١٦	( يهدى إلى الرشد فآمنا به وإن تشرك بربنا أحدا )	٢	الجن
١٧	( وأنهم ظفوا كما ظفنتم أن لن يبعث الله أحدا )	٧	الجن
١٨	( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا )	١٨	الجن
١٩	( قل إنما أدعو ربي ، ولا أشرك به أحدا )	٢٠	الجن
٢٠	( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا )	٢٦	الجن

أما ( أحد ) المنجزة المسبوقة بالغنى أو مشبهه مراداً بها العموم فقد وردت في تسع عشرة آية في أساليب القرآن الكريم هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( وما يعلنان من أحد )	١٠٢	البقرة
٢	( وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله )	١٠٢	البقرة



٢	الآية	رقمها	السورة
٣	( لا تفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون	١٣٦	البقرة
٤	( لا تفرق بين أحد من رسله	٢٨٥	البقرة
٥	( لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون	٨٤	آل عمران
٦	( إذ تصعدون ولا تلوون على أحد	١٥٣	آل عمران
٧	( والذين آمنوا بالله ورسوله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم	١٥٢	النساء
٨	( أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين	٥٠	الأعراف
٩	( ولا تصل على أحد منهم مات أبدا	٨٤	التوبة
١٠	( وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد	١٢٧	التوبة
١١	( وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد	٩٨	مريم
١٢	( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد	٢١	النور
١٣	( إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين	٢٨	العنكبوت
١٤	( يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن	٣٢	الأحزاب
١٥	( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله	٤٠	الأحزاب



م	الآية	رقمها	السورة
١٦	( ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده	٤١	فاطر
١٧	( قال رب اغفر لي ، وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي	٣٥	ص
١٨	( فما منكم من أحد عنه حاجزين	٤٧	الحاقة
١٩	( وما لأحد عنده من نعمة تجزى	١٩	الليل

### الملاحظات :

- ١ — لم ترد ( أحد ) مضافة إلى المثنى الظاهر في القرآن الكريم .
- ٢ — يلاحظ أن ( أحدا ) في الآية رقم ٣٢ من سورة الأحزاب استخدمت للمؤنث .
- ٣ — النفي في الآية رقم ٤١ من سورة فاطر هو لفظة ( إن ) والذي يؤيد ذلك السياق والمعنى — وأيضا أن أحدا المراد بها لعموم لا تقع إلا بعد نفي أو شبهة كما تقدم ولا فرق بين النفي بالفعل أو الحرف .
- ٤ — ( من ) الداخلة على أحد تدل على أن النفي يبدأ من بداية ما يقال له أحد . أى من الصفر إن صح هذا التعبير . ولا ينافي هذا قول المربين إنها زائدة لأنهم يقصدون أن تأثيرها وإن كان موجودا لفظا في الإعراب إلا إن ما بعدها له إعراب آخر محلي فهم يقصدون بالزائد هنا أن الإعراب المحلي هو الاعتبار اللفظي فكأنه لا وجود له في الإعراب ولا اعتبار للعمل اللفظي بل المحلي هو الاعتبار .



ثانيا : لفظه ( إحدى ) .

وقد علمت أنها تستعمل إستعمال الأسماء لا الصفات ، وهى مؤنث (أحد) كما أن ( واحدة ) مؤنث ( واحد ) فرقا بين الصفة والأسم .

— وإحدى فى استعمالها كأحد — إلا إنها للمؤنث ولا تفيد العموم ولا تستعمل لإضافة إلى أكثر من واحد ، أو مع العقود .

فتقول : إحدانا ، وإحداكما ، وإحداهما ، وإحداكم ، وإحداهن . وإحدى عشرة ، وإحدى وعشرين ، وإحدى وتسعين .

— ولفظة (إحدى) وردت فى أساليب القرآن الكريم فى إحدى عشرة آية وكلها فى حالة الإضافة لأنها لا تستعمل إلا كذلك . وكل إضافتها فى القرآن الكريم إلى الغائب سواء أكان ظاهرا مثنى أو جمعا أو غائبا مثنى أو جمعا وإليك ذلك بالآيات مفصلة :

— وردت مضافة إلى الظاهر المثنى أو الجمع فى خمس آيات هى :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم .	٧	الأنفال
٢	( هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين .	٥٢	التوبة
٣	( قال : إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين .	٢٧	القصص
٤	( لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم .	٤٢	فاطر
٥	( إنها لإحدى الكبر نفيرا للبشر .	٣٥	المدثر



— ووردت مضافة إلى ضمير المثني الغائب في خمس آيات أيضا هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( وأمر أتان من ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما )	١٨٢	البقرة
٢	( فتذكر إحداهما الأخرى . )	١٨٢	البقرة
٣	( فجاءته إحداهما تمشي على استحياء . )	٢٥	القصص
٤	( قالت إحداهما يا أيت استأجره . )	٢٦	القصص
٥	( فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبيعى حتى تقىء إلى أمر الله . )	٩	الحجرات

— ووردت مضافة إلى الغائبات في آية واحدة هي قوله تعالى ( وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ) (١) .

### الملاحظات :

١ — لم ترد (إحدى) في القرآن مركبة ، ولا معطوفا عليها العقد ولا مضافة إلى المتكلمين ، ولا إلى خطاب ، بل كل الوارد فيها الإضافة إلى الغائب ، لأن الظاهر من قبيل الغائب .

٢ — يلاحظ أنها لم ترد في اللغة العربية مستخدمة وحدها على الإطلاق قال صاحب النخوص (٢) ناقلا عن أبي عمرو بن العلاء (٣) :

(١) الآية ٢٠ من سورة النساء .

(٢) ابن سيده المتوفى ٤٥٨ هـ واسمه علي بن اسماعيل . وله النخوص والمحكم ومشكل شعر المثني وغير ذلك .

(٣) ولد بمكة عام ٧٠ هـ وتوفى في عام ١٥٤ هـ ، وقد نقل عنه ابن سيده في النخوص أنظر مقدمة النخوص ١٠ — ١٤ .



« ولا يقولون : رأيتُه إحدى ، ولا جاء في إحدى حتى يضم الى غيره . » (١)

وقال الرضى في شرح الكافية : « ولا يستعمل إحدى إلا مع الإضافة أو التثنية » (٢)

وقال الزمخشري في المفصل : « والهمزة ، في أحد وإحدى متقلبة عن واو . ولا يستعمل أحد وإحدى في الأعداد إلا منيقة » .

قال ابن جني : « وأما قولنا : ما في الدار أحد ، فهمزته عندنا أصل وليست ببدل ، ألا ترى أن معناه العموم والكثرة وليس في معنى الانفراد في شيء بل هو بضده » (٣)

#### ثالثا : لظقة ( واحد ) .

وهذه ليس لها استخدام إلا مضافة إلى ضمير — وحينما تضاف تسكن الحاء حتى لا يتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة — فتقول :  
وحده — وحدها — وحدنا .

وقالت العرب : هو نسيج وحده . ونسيج وحده . وتقول : جاء وحده .  
وقال رسول الله ﷺ : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد .

---

(١) أنظر المخصص ٩٨/١٧ .

(٢) أى مع العقود مركبة أو معطوفة كما تقدم . أنظر شرح الكافية

للرضى ١٤٦/٢ .

(٣) أنظر ابن يعيش على المفصل ٣٢/٦ .

(٤) أنظر الخصائص ٧٨/٢ ، ٢٦٢/٣ .



وعلى كل فيجب أن تعلم أن لفظة (وحده) المضافة إلى الضمير تلازم  
النصب على الحالية لتأويلها بمشتق ، لأنها بمعنى مفردا .

وقيل : نصبت على الظرفية ، لأنها بمعنى : على حياله .

وقيل : نصبت على المصدر ، لأنها بمعنى : خصوصا (١)

أما ورودها في القرآن الكريم فقد وردت مضافه إلى ضمير المفرد  
الغائب في ست آيات هي :

م	الآية	رقها	السورة
١	( قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا	٧٠	الأعراف
٢	( وإذا ذكر ربك في القرآن وحده ولوا على أديبارهم نفورا .	٤٦	الإسراء
٣	( وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة .	٤٥	الزمر
٤	( ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم .	١٢	غافر
٥	( فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده .	٨٤	غافر
٦	( وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده	٤	المتحنة

وبهذا ينتهى الكلام على الألفاظ : واحد - أحد - واحد - واحدة إحدى -  
ثم ننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن العديدين ( اثنين واثنين ) .

(١) قال الرماني : مذهب يونس في مررت به وحده : أن ينصبه نصب  
الظرف كقولك : هو هنده - والمعنى : مررت به على حياله .



. . . . .

---

ومذهب الخليل: أن ينصبه نصب المصدر كقولك مررت به خصوصاً .  
ولمّا حمّله يونس على جهة الظرف لانه رأى وحده في هذا الموضع  
فانقص التمكن ( أى يلزم النصب ) كتنقصان عنده في التمكن فنصب كما  
نصب، وتلزمه الإضافة كما تلزمه، وفيه معنى على حياله . فحمّله على الظرف  
لهذه العلة .

وقول الخليل أقوى ، لأن وحده أشبه بالمصدر في معناه ، وحمّله عليه  
أولى لكثرة فظيره من المصادر ، وظهور معنى الاختصاص فيه ، أنظر سيبويه  
٣٧٨/١ هامش (١) ط هارون .

أما سيبويه فرأيه : أنه حال بمعنى منفردا ، حيث وضعه تحت عنوان:  
« ما ينصب على الحال وهو اسم جامد إلا إنه على التأويل بالاشتقاق أنظر  
سيبويه ٣٧٦/١ وما بعدها .



## ثانيا : العددان

[ اثنان واثنان — لغة وقرآنا ]

— يقال : ثنى الشيء إذا عطفه ، وبابه ( رى ) .

وثناه : صار له ثانيا ، وثناه تثنئة : جعله اثنين (١) .

— ولفظه ( اثنان ) تستخدم للمذكر رفعاً ، وفي حالتى النصب والجر تستخدم ( اثنين ) .

— وفي التأنيث : اثنان ، وثنتان رفعاً ، مثل : ابنتان وبنتان كما قال أبو علي الفارسي ، وفي حالتى النصب والجر تستخدم اثنتين ، وثنتين .

— وإذا ركبت مع العشرة حذف منها النون فنقول فى المذكر : اثنا عشر رفعاً ، واثنى عشر نصباً وجراً .

— وفى المؤنث : اثنتا عشرة ، واثنى عشرة (٢) .

— وإذا عطف عليها العقد نقول : اثنان وعشرون رفعاً ، واثنين وعشرين نصباً وجراً فى حالة التذكير .

— وفى المؤنث نقول : اثنتان وعشرون ، وثنتان وعشرون رفعاً ، وثنتين وعشرين ، واثنتين وعشرين نصباً وجراً وهكذا .

---

(١) انظر القاموس المحيط ٣٩/٤ ، ومختار الصحاح مادة ( ثنى ) .

(٢) الأول رفعاً ، والثانى نصباً وجراً ، ويمكن أن يقال كذلك ثنتا عشرة رفعاً وثنتى عشرة نصباً وجراً .



قال أبو علي الفارسي في كفاية الإيضاح : « وقولهم : اثنتان محذوف موضع اللام ، كما أن قولهم اثنتان كذلك ، وللمؤنث اثنتان كما تقول : اثنتان ، وإن شئت ثنتان كما تقول : بنتان ، وقالوا في جمع الإثنتين : اثنتاء ، (١) .

قال صاحب القاموس المحيط : « وألف اثنتان للوصل وقد تقطع في الشعر ، (٢) ويقول الرضي في شرح السكافية : « واحد واثنتان للمذكر ، وواحدة ، واثنتان وثنثان للمؤنث ، ويجريان في التأنيث والتذكير على القياس ، ذو الثاء للمؤنث ، والمجرد عنها للمذكر ، (٣) .

وبعد : فيجب أن تعلم أن العددين . واحدا واثنتين لا يحتاجان إلى تمييز في العربية ، بل يكفي يذكر المعداد عن العدد فتقول مثلا : رجل أو رجلان فيفيد ذلك أن العدد هو : واحد ، واثنتان ، وإذا قلت : امرأة أو امرأتان أفاد أن العدد هو : واحدة واثنتان .

وبعبارة أخرى : أن المعداد هو الذي يعبر به فإن ذكر العدد بعده أعرب العدد صفة مؤكدة للمعداد ، قال تعالى : ( ... فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ) (٤) .

أما عن استخدام القرآن الكريم لهاتين الكلمتين فقد ورد على النحو التالي :

أولا : اثنتان بالرفع وردت مرة واحدة في قوله تعالى : ( يا أيها الذين

---

(١) انظر الإيضاح في ذلك وانظر المخصص لابن مسية : ٩٨/١٧ .

(٢) انظر القاموس المحيط ٣٩/٤ .

(٣) انظر شرح السكافية للمرضي ١٤٦/٢ .

(٤) البقرة ٢٨٢ .



آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل  
منكم (الأنعام ١٠٦) (١) .

---

(١) شهادة بينكم يقرأ برفع الشهادة وإضافتها إلى بينكم ، والرفع على  
الإبتداء ، والإضافة هنا من إضافة المصدر لمفعوله ، وإذا حضر أحدكم  
الموت حين الوصية ظرفان متعلقان بالمصدر — واثنان فاعل أغنى عن الخبر ،  
والتقدير : يا أيها الذين آمنوا شهادة اثنين بينكم إذا حضر أحدكم الموت  
حين الوصية .

وقيل الخبر : إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية — واثنان خبر لمبتدأ  
محذوف والتقدير : الشاهدان اثنان ذوا عدل منكم ، وانظر العكبري  
٢٢٩/١ يتصرف .



ثانياً : اثنين بالقصب وردت في القرآن الكريم تسع مرات هي :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( ثمانية أزواج من الضأن اثنين (١)	١٤٣	الأنعام
٢	( ومن المعز اثنين	١٤٣	»
٣	( ومن الإبل اثنين	١٤٤	»
٤	( ومن البقر اثنين	١٤٤	»
٥	( حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور وقلنا : احمل فيها من كل زوجين اثنين (٢)	٤٠	هود
٦	( ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين (٣)	٣	الرعد
٧	( وقال الله لا تتخفوا إلهين اثنين (٤)	٥١	النحل

(١) اثنين بدل بعصر من ثمانية المنصوب والياقوت معطوف عليه ، والمعطوف على المنصوب منصوب . انظر العبكري ٢٦٣/١

(٢) اثنين صفة تو كيد للزوجين ، وإما مفعول له ( احمل ) ومن كل زوجين حال . هذا على قراءة كل بالإضافة ، وعلى قراءة كل من بالتثنية تعرب ( اثنين صفة تو كيد للزوجين — وهو في حال المفعولية منصوبة وفي حال التوكيد مجرورة فتنبه لذلك . وانظر العبكري ٣٩/٢ بتصرف .

(٣) زوجين مفعول جعل واثنين صفة تو كيد له فهو منصوب مثله .

(٤) صفة مؤكدة للمفعول ( إلهين ) على تأويل لا تتخفوا بمعنى لا تعبدون أو مفعول ثان لا تتخذ . وعلى كل فهي منصوبة .



م	الآية	رقمها	السورة
٨	( فإذا جاء أمرنا وفاء التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين (١) )	٣٧	المؤمنون
٩	( إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززننا بثالث يس )	١٤	يس

ثالثا : قد وردت مجرورة مرة واحدة في قوله تعالى :

إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ( ٥٠ التوبة .

والمعنى : أحد اثنين وقرب ( ثاني ) حالا من الهاء في ( أخرجه ) ،  
ويقرأ ( ثاني ) بسكون الياء وحققا التحريك — واثنين مضاف  
إليه (٢) .

هذا بخلاف أوجه الجر التي سبقت في الآيات السابقة على هذه الآية  
في هذا البحث .

رابعاً : قد وردت مركبة مرفوعة في آية واحدة هي قوله تعالى :  
( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله )

[ ٣٦ — التوبة ]

وردت مركبة منصوبة في آية واحدة هي قوله تعالى : ( وبعثنا منهم  
اثني عشر نقيبا )  
[ ١٣ — المائدة ]

(١) يقال فيها ما قيل في الآية ٤٠ من سورة هود .

(٢) انظر المبكرى ١٥/٢ ، وشرح التصريح ٢٧٦/١



أما لفظة اثنتان وثلثان المرفوعتان لم تردا في القرآن الكريم في حالة الإفراد (١) .

أما لفظة ( اثنتين ) نصباً وجراً في حالة الإفراد فقد وردتا في القرآن الكريم ، المنصوبة في ثلاث والمجرورة في واحدة .

### اثنتين المنصوبة :

م	الآية	رقمها	السورة
١	( فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك )	١٧٦	النساء
٢	( قالوا ربنا أمتنا اثنتين )	١١	غافر
٣	( وأحييتنا اثنتين )	١١	غافر

### واثنتين المجرورة وردت في قوله تعالى :

١	( فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك )	١١	النساء
---	---	----	--------

أما اثنتان واثنتين في حالة التركيب مع العشرة فقد وردت ثلاث مرات .

(١) أما في حالة التركيب فقد وردت في آيتين سياقيان بعد ذلك .



الأولى في آيتين والثانية في آية وإليك ذلك :

م	الآية	رقبها	السورة
١	( فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا	٦٠	البقرة
٢	( فانبجست منه اثنتا عشرة عينا	١٦٠	الأعراف
١	( وقطعنا من اثنتي عشرة أسباطا أمما	١٦٠	الأعراف

ويلاحظ أنها فاعل في الآيتين في حالة الرفع ومفعول في الآية الأخيرة فهي منصوبة .

هذا ولم يرد لفظ ( اثنان ) مذكراً أو مؤنثاً معطوفاً عليه العهد في القرآن الكريم .

هذا وقد ورد لفظ ( اثنان ) معدولاً في القرآن الكريم على صيغة مفعول فقط وجاء ذلك في ثلاث آيات في القرآن الكريم هي :

م	الآية	رقبها	السورة
١	( فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع (١)	٣	النساء
٢	( أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا	٤٦	سبأ
٣	( جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع	١	فاطر

(١) ( ما ) بمعنى الذي وما بعده صلة أن فانكحوا الذي طاب لكم أو مصدرية أي فانكحوا الطيب لكم أو نكرة بمعنى فانكحوا جفياً طاب =



وجاءت أيضا كذلك في قول رسول الله ﷺ :

« صلاة الليل مثنى مثنى ، (١) أى ركعتان ركعتان بتشهد وتسليم فهى  
ثنائية لا رباعية .

وإلى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله .

د / على أحمد زايد

---

= لكم . (من النساء) حال من فاعل (انكحوا) ، ومثنى وثلاث ورباع —  
نكرات لا تنصرف للعدل والوصف وهى يدل من ( ما ) على أنها فكرة  
أومصيرية . والواو فى قوله : وثلاث ورباع — ليست للعطف الموجب  
وإلا لوجب أن يتزوج كل رجل بتسع نساء وهو مخالف للشرع وإنما المراد  
اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا . أى فانكحوا اثنتين أو ثلاثا  
أو أربعا وهذا أقصى ما يصل إليه الرجل فى الإسلام إذا حقق العدل بينهما  
فإن لم يستطع ذلك فواحدة أى فانكحوا واحدة أو فواحدة تكفى .

انظر العبرى ١٦٦/١ — بتصرف .

(١) النهاية ٢٢٥/١



موضوع البحث :

## دراسة تحليلية لبعض الشواهد العربية

هذا البحث يتناول بعض الشواهد العربية قمت بدراسة دراسة

تطبيقية ، وهي :

- ١ - وأنا الأخضر من يعرفني  
أخضر الجلالة من بيت العرب
- ٢ - ليت هزبر مدل عند خيسته  
يالرقمتين له أجر وأعراس
- ٣ - حديا الناس كلهم جميعا  
مدارعة بغيرهم عن بغيرنا

د. محمد السيد متولى البغدادي

قسم اللغويات

بكلية اللغة العربية بدمههور



البيت الأول : قول الشاعر :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب (١)

البيت للنهي وهو الفضل بن عباس بن عبيد الله . من بحر الرمل .  
قوله : ( أنا ) ضمير رفع منفصل ، وفي الاسم منه خلاف بين البصريين  
والكوفيين .

فالآلف والنون هو الاسم عند البصريين ، والآلف الأخيرة زائدة  
للوقف ، لبيان الحركة ، فهي كالهاء في أغزه ، وازمه ، وإذا وصلت حذفها  
كما تحذف الهاء في الوصل .

وذهب الكوفيون إلى أنها بكاملها هو الاسم ، وذلك لثلاثة أوجه :

- الأول : أن الضمير جار مجرى الحرف ، وحروف الحرف أصول .
- والثاني : حكى الفراء (٢) : أن فعلت ، بتقديم الآلف على النون .
- والثالث : ثبوتها وصلا في قراءة نافع ( قال أنا أحي وأميت ) (٣) .

وأيضاً قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميداً قد تذريت السناما (٤) .

(١) انظر المقتضب (٢٢٠/٣) ، ومعجم الشعراء للرزباني (٣٠٩) ،  
والمؤتلف والمختلف (٣٥) ، والحيوان للجاحظ (٢٤٨/٣) ، واللسان  
( خضر ) والصحيح ( خضر ) .

(٢) انظر شرح السكافية (٩/٢) ، (١٠) .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٨) .

(٤) البيت لحيد بن بحدل السكبي ، وهو شاعر إسلامي ، وبحره الوافر .

انظر شرح الشافية (٢٢٣/٤) ، والمصنف (١٠/١) ، شرح المفصل =



ورد أبو حيان في البحر المحیط (١) على قراءة نافع بقوله: (وقرأ نافع بإثبات ألف أنا، إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مصمومة، وروى أبو نشيط إثباتها مع الهمزة المكسورة، وقرأ الباؤون بحذف الألف، وأجمعوا على إثباتها في الوقف، وإثبات الألف وصلاً ووقفاً لغة بني تميم، ولغة غيرهم حذفها في الوصل، ولا تثبت عند غير بني تميم وصلاً إلا في ضرورة الشعر، نحو قوله:

فكيف أنا وانفتحال القوافي      بعد المشيب كفي ذاك عارا.

والأحسن أن تجعل قراءة نافع على لغة بني تميم؛ لأنه من إجراء الوصل مجرى الوقف على ما تأوله عليه بعضهم) اهـ.

ورد مذهبهم أيضاً ابن يعيش في شرح المفصل (٢) قال: (ولا حجة في ذلك لقلته، ولأن الأعم الأغلب سقوطها، وبجاز البيت والقراءة على إجراء الوصل مجرى الوقف) اهـ.، وقال أيضاً (أنا: الهمزة فيه الألف والنون، والألف دخلت لبيان الحركة في الوقف، يدل على ذلك أفك

= (٩٣/٣، ٨٤/٩)، الغرة لابن الدهان (٤٨٥/٢)، والخزائن الشاهد رقم (٣٧٨) و (حميداً) روى مكبراً ومصغراً، وروى أيضاً بالرفع والنصب، بالرفع على أنه بدل من قوله (سيف العشيعة)، أو على أنه خبر بعد خبر، وبالنصب على أنه بدل من الياء في قوله (فاعرفوني)، أو منصوب على المدح بتقدير أعنى. وقوله: (تذريت السنام) بمعنى علوته، وهو من الذروة بالكسر والضم، وهو أعلى السنام. والشاهد فيه: أن الكوفيين ومنهم الفراء يزعمون أن الضمير هو كلمة (أنا) برمتها، واستدلوا بثبوتها وصلاً بالبيت، إذ لو لم يكر الأمر هكذا لاسقط الألف في حال الوصل.

(١) أنظر البحر المحیط (٢٨٨/٢).

(٢) أنظر شرح المفصل (٩٣/٣).



إذا وصلت سقطت الألف ، فتقول : أن فعلت ، والوصل مما يرد الأشياء إلى أصولها في الغالب (١) ١ هـ .

وقال ابن جني (٢) : ( أما الألف في أنا في الوقف فزائدة ليست بأصل ، ولم يقض في ذلك فيها من جهة الاشتقاق ، هذا فخال في الأسماء المضمره ، لأنها مبنيّة كالحروف ، وليكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها كما يذهب الهاء التي تلتحق لبيان الحركة في الوقف ، ألا ترى أنك تقول في الوصل أنا زيد ، كما قال الله تعالى ( إني أنا ربك ) تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ( فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلتحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل ، وبيئت الفتحة بالألف ، كما بيئت بالهاء ؛ لأن الهاء مجاورة الألف ، وقد قالوا في الوقف أنه ، فبينوا الفتحة بالهاء كما بينوها بالألف ، وكلتا هما ساقطة في الوصل ، فأما قول الشاعر : أبا سيف العشرة ... إلخ فإنما أجراه في الوصل على حد ما كان عليه ، وأكثر ما يجيء ذلك في الشعر ) ١ هـ .

وقوله : ( الاخضر ) خبر المبتدأ ، وهو الضمير السابق ، وسيأتي للمعنى .

وقوله : ( من ) اسم موصول بمعنى الذي ، ويجوز أن يكون موضعه جراً ، ونصباً ورفعا .

فأما الجر ، فعلى إرادة اللام ، وحذفها للضرورة الشعرية على حد قول الشاعر :

---

(١) المرجع السابق ( ٨٣/٩ ) .

(٢) المرجع السابق ( ٩٣/٢ ) ، والمنصف لابن جني ( ١٠/١ ) .



رأى خليا بعد أحوى تقلبت

بفوديه سبعون السنين الكوامل (١)

قال ابن الشجرى فى أماليه (٢): (فصل : ذكر حذف الحرف: الحرف على ضربين : حرف معنى ، وحرف من نفس الكلمة ، فمن الحروف المعنوية التى وقع فيها الحذف أحرف خافضة ، منها اللام ، وحذفها مطرد مع أن المشددة وأن الخفيفة ، كقولك : ماجئتك إلا أنك كريم ، تريد إلا لأنك ، وكذلك ما أقيته إلا أن يحسن إلى ، تريد : إلا لأن يحسن ، ومما حذفوا منه اللام فى الشعر قول الأعشى :

أبا لموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك نحو فىنى  
والوجه لا أبالك ، كما قال زهير :

سمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولا لا أبالك يسأم

ولما ضعف حذف هذه اللام لأنها فى هذا الكلام معتد بها من وجه ، وإن كانت غير معتد بها من وجه آخر ، فالاعتداد بها من حيث منعت الاسم - لفصلها بينه وبين المجرور بها - أن يتعرف بإضافته إليه فيكون اسم لا معرفة ، وترك الاعتداد بها من حيث يثبت الألف فى أب ، ألا ترى أن الألف لا يثبت فى هذا الاسم إلا الإضافة ، نحو رأيت أباك وأبازيد ، فلو لا أنه فى تقدير الإضافة إلى الكاف فى لا أبالك لم تثبت الألف (اهـ).

---

(١) البيت من الطويل لأبي حية النميرى ، أنظر أمالى ابن الشجرى

(٢٦٤/١) وديوانه (١٦٧) ، والخليس : الشعر الأشعث ، والأحوى :

الأسود ، وقوله : (بفوديه) : الفودان شعر جانبي الرأس مما يلى الأذنين ،

انظر الصحاح (خمس ، فود) .

(٢) أنظر أماليه (٣٦١/١ . ٣٦٢) .



وجاء حذف اللام في النشر أيضا ، قال ابن الشجري (١) : ( وما عدوه باللام قال ، ووزن في نحو كاتك قهزين برا ، ووزنت لك مغوين عسلا ، وجاء حذف هذه اللام في كثير من كلامهم ، كقولك كاتك البر ، ووزنتك العسل ، وقد يحذفون المفعول الثاني فيقولون : كاتك ، ووزنتك ، وعليه جاء قوله تعالى : ( وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ) (٢) معناه كالوا لهم أو وزنوا لهم ، وأخطأ بعض المتأولين في تأويل هذا اللفظ فزعم أن قوله : هم ضمير — مرفوع وكدت به الواو ، كالضمير في قولك خرجوا هم ، فهم على هذا التأويل عائد على المطففين .

وبذلك على بطلان هذا القول عدم تصوير الألف بعد الواو في كالوهم ، ووزنوهم ، ولو كان المراد مذهب إليه هذا المتأول لم يكن بد من إثبات ألف بعد الواو على ما انفقت عليه خطوط المصاحف كلها في نحو ( خرجوا من ديارهم ) (٣) ، ( وقالوا لنبيهم ) ، وإذا ثبت بهذا فساد قوله ، فالضمير الذي هو هم منصوب بوصول الفعل إليه بعد حذف اللام ، وهو عائد على الناس في قوله تعالى : ( إذا اكثالوا على الناس ، وهذا أيضا دليل على فساد قوله إن الضمير مرفوع ، ألا ترى أن المعنى إذا كالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا للناس يخسرون ) اهـ .

ومن كلام العرب إذا أراد مفتخر منهم أن يفتخر بشهرته في نسبه أو شجاعته ، أو نحو ذلك أن يقول : أنا زيد لمن يعرفني ، وأما زيد معروف ، فشاهد الأول قول مسكين الدارمي :

(١) انظر المرجع السابق ( ٣٦٣/١ ) .

(٢) سورة المطففين آية (٣)

(٣) البقرة آية (٢٤٣)



أنا مسكين لمن يعرفني  
لوني السمرة ألوان العرب (١)

شاهد الثاني قوله ابن دارة :

أنا ابن دارة معروفاً بها نفسي  
وهل بدارة يا للناس من عار (٢)

فهذا يشهد بأن اللام في قوله : لمن يعرفني في موضع الحال ، إذا كان  
المعنى أنا مسكين معروفاً ، والتقدير أنا مسكين بينما لمن تعرفني أو مستمراً لمن  
يعرفني .

وقال بعض البصريين ومنهم أبو علي الفارسي : يجوز أن تكون اللام  
متعلقة بما في زيد من معنى البيان والإشتهار ، كما في قول الشاعر :

---

(١) البيت من الرمل ، ومعناه واضح ، أنظر اللسان (حضر) .

(٢) البيت من البسيط ، وقائله سالم بن دارة اليربوعي ، ودارة اسم  
أمه ، سميت بذلك لجمالها تشبيهاً بدارة القمر ، وانظر سيبويه ( ٧٩/٢ ) ،  
الخصائص ( ٢٦٨/٢ ) والخزانة ( ٢٤٠/٣ ) ، حاشية الصبان ( ١٨٥/٢ ) ، أمالي  
ابن الشجري ( ٢٨٥/٢ ) ( ومعروفاً ) حال مؤكدة لمصمون الجملة قبله ،  
( وبدارة ) جار ومجرور خبر مقدم ( يا ) حرف نداء ، والمنادي محذوف ،  
أي يا قوم ، واللام مفتوحة للتعجب ، أو يا لمجرد التنبيه ، هذا رأي العيني ،  
وقال البغدادى في الخزانة : ( يا للنداء لا للتنبيه ، وللناس الفادى ، لا أن  
المنادى محذوف تقديره قومي ، واللام للاستغاثة ، وهي تدخل على المنادى  
إذا استغيث نحو يا لله ) اهـ .

والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر ، (وعار) مبتدأ مؤخر منع من رفعه  
حرف الجر الزائد .



أنا أبو المنهال بعض الأحيان  
ليس على حسي بضؤلان (١)

فقالوا العامل في الظرف ما في أبي المنهال من معنى الشهوة .

قال ابن جني (٢) : ( باب في الإستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف :  
من ذلك ما أنشدناه أبو علي — رحمه الله — من قول الشاعر :

أنا أبو المنهال ... البيت ... أنشدني — رحمه الله — ونحن في دار الملك

وسألني عما يتعلق به الظرف الذي هو ( بعض الأحيان ) فحضرنا فيه إلى  
أن برد في اليد من جهته أنه يحتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون أراد أنا مثل أبي المنها ، فيعمل في الظرف على هذا  
معنى التشبيه ، أي أشبه أبا المنهال في بعض الأحيان .

والآخر : أن يكون قد عرف من أبي المنهال هذا الفناء والتجدة ، فإذا  
ذكر مكانه قد ذكر أ فيصير معناه إلى أنه كأنه قال : أفال المغنى في بعض

---

(١) البيت من مشطور السريع ، انظر اللمع (١٠٧/٢) ، المغنى (الباب  
الثالث وشبه الجملة) ، شواهد المغنى (٨٤٣) ، قوله : ( مضؤلان ) : جاء  
في اللسان (ضأل) : ( رجل ضؤلة أي نحيف ، وهو عليه بضؤلان أي كل ،  
وحسبه ضؤلان : إذا عيب به ) ا . ه .

والمعنى : أنا أقوم بحقوق حسي ، ولا آتي ما أعاب به ، وبعض  
في البيت ظروف ، لأن لها حكم ما تضاف إليه ، وهي هنا مضافة إلى  
الظرف .

(٢) انظر الخصائص (٢٧٠/٣)



الآحيان ، أو أنا النجد في بعض تلك الأحيان ، أفلا تراك كيف أفتزعت  
من العلم الذي هو أبو المنهال معنى الصفة والفعلية ( ١ . هـ ،

ومثل ذلك قول الأعشى :

شتان ما يومى على كورها

ويوم حيان أخى جابر (١)

فالعامل في قوله : ( هلى كورها ) ما في اليوم من معنى الحدث ، لأنه  
لا يريد أن يومه على كورها ، وإنما يزيد حدثه من ركوبه وسيره عليها .

وعلى ذلك أجاز النحويون : زيد عمرو يوم اللقاء راكبا في الميدان ،  
وأعملوا في الحال والظرف ما في عمرو من معنى الشدة ، أو ما في الكلام من  
معنى التشبيه : وعليه قول الشاعر :

وإنما أولادنا يبتغا

أكبادنا تمشى على الأرض (١)

(١) البيت من السريع ، أنظر شرح المعضل (٣٧/٤) ، وشدور الذهب  
(٤٠٣) ، والتصريح (١٩٩/٢) ، ( وحيان وجابر ) أبنا عميرة بن بنى حنيفة ،  
وكان حيان نديما للأعشى ، والمعنى : أن يوميه لا يستويان ، بل بينهما  
افتراق ، وتخالف ، فيومه وهو راكب على كور فاقته يوم سفر ومشاق ،  
ويومه وهو يقادم حيان ، ويتساقيان الخمر يوم هو وهرب ، والشاهد  
في البيت : حيث إن العامل في الجار والمجرور في قوله ( على كورها )  
ما في اليوم من معنى الحدث ، أى ركوبه على كورها .

(٢) البيت من السريع لخطاب بن المعلى ، أنظر شرح ديوان الحماسة  
(٢٨٨/١) .

المعنى : يقول الشاعر : محل أولادنا من أنفسنا فيما يبتغا محل الأكباد =



فالعامل في قوله : ( بيننا ) مافى الكلام من معنى التشبيه ، إذ المعنى تشبه أولادنا بيننا أكبادنا .

فقد ثبت بما قدمناه أن قوله : ( من يعرفني ) في البيت المتقدم ، إذا قدرت اللام موجوداً فيه كان في موضع الحال ، كأنه قال : أنا الأخضر بينا لمن يعرفني أو تجعلها متعلقة بما في الأخضر من معنى البيان والظهور ، كأنه قال : أنا البين لمن يعرفني .

وأما جواز النصب في من قول الشاعر : ( من يعرفني ) ، فيضمار فعل دل عليه معنى الكلام المتقدم ، لأنه لما قال : وأنا الأخضر ، دل على أنه يعرف نفسه ، فكأنه قال : أعرف نفسي من يعرفني ، أي من أراد أن يعرفني ، كما يقول القائل : قد أجزت كتابي هذا لمن يرويه عني من غير تصحيف ولا تبديل ، أي لمن أراد أن يرويه ، ومثله قوله سبحانه وتعالى : ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ) (١) أي إذا أردت أن تقرأ فاستعذ بالله ، ومثل ذلك قول الأخطل :

وقد أراها وشعب الحى مجتمع  
وأنت صب نمن علمت معتمد  
أيام جل خايلا لو يخاف لها  
صرماً لحواط منه العقل والجسد (٢)

= من الأجواف وإن كانت ماشية على الأرض ، ويقال الولد فلذة من الكبد أي قطعة منه .

(١) سورة النحل آية ( ٩٨ ) .

(٢) البيتان من البسيط ، والبيت الثاني من شواهد سيبويه ، ونسبه أيضاً للأخطل ، وقال الأستاذ عبد السلام هارون : ( ليس في ديوان الأخطل ، لكن ورد أيضاً بهذه النسبة عند الشنقمرى ) ، أنظر الكتاب ( ٢٣٧/٢ ) . =



فالنائب لقوله خليلاً فعل مقدر .

ومثله قول عبد الله بن قيس الرقيات :

إن تراها ولو تأملت إلا  
ولها في مفارق الرأس طيباً (١)

فطيباً منصوب بفعل مقدر ، أى إلا وترى لها طيباً .

وأما الوجه الثالث فى إعراب (من) ، وهو الرفع ، فعلى أن تكون مبتدأ ، وقوله : (أخضر الجلدة) خبره ، كأنه قال : وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة مثلى فى صحبة نسبه وكرم عنصره .

---

= اللغويات (أراها) أى قد أرى هذه الدار فى هذا الوقت ، (حب) : الصباية رقة الشوق وحرارته ، يقال : رجل صب أى عاشق مشتاق ، الصحاح (صبب) ، (الصوم) بالضم والفتح : القطيعة والهجران ، أو هو بالضم الأسم ، وبالفتح : المصدر ، (حوط) أخل وتغير ، وأيام جمل : ظرف منصوب بقوله : أراها .

والنائب لقوله : (خليلاً) فعل مقدر على الاختصاص والتعجب ، أى أعجب بهما خليلاً .

(١) البيت من الخفيف . أنظر سيبويه (٢٨٥/١) ، الخصائص (٤٢٩/٢) ، حاشية الدسوقي (٢٣٩/٢) ، شرح المفصل (١٢٥/١) ، ديوانه (١٧٦) ،

وقوله : (مفارق) جمع مغرق . وهو حيث ينفرق الشعر ، وقوله (ولها فى مفارق) الواو للحال ، والجارن والمجروران متعلقا بالفعل المقدر ، وجملة الفعل المقدر حالية ، وهذه الحال مستثناة من عموم الأحوال السابقة .



وقوله: (من بيت العرب) في موضع الصفة لأخضر الجمادة، إذ التقدير رجل أخضر الجمادة من صميم العرب، وكذلك يكون أيضاً في الوجهين المتقدمين، ويجوز فيه وجه آخر، وهو أن يكون خبراً بعد خبر، كأنه قال: أنا الأخضر من بيت العرب، ويجوز أيضاً أن يكون في موضع الحال من الأخضر، كأنه قال: وأنا الأخضر صحيحاً نفسه، أي خالصاً ونحو ذلك.

والمعنى: أنه يريد بالخضرة سمرة اللون وسواده، إذ ذلك دليل على تمحض عربيته، ألا ترى أن العرب قصف نفسها بالسواد، وتصف المعجم بالخرقة، وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (بعثت إلى الأحمر والأسود).

ومثله قول معبد بن أخضر، وكان ينتسب إلى أخضر ولم يكن أباء، بل كان زوج أمه، وإنما هو معبد بن علقمة المصاري:

سأحي دماء الأخضر بين إنه

أي الناس إلا أن يقولوا ابن أخضراً

وهل لي في الخمر الأعاجم نسبة

فأنت مما يزعمون وأنكرا (١)

ومن ذلك قول حسان يهجو ابن عياض التيمي:

لو كنت من هاشم أو من بني أسد

أو عبد شمس أو أصحاب اللوى الصيد

---

(١) البيتان من الطويل، والمراد من (الأخضرين) نفسه وأخوه،

(وأخضرا) هو أخضر المصاري زوج أم معبد الشاعر، فنسب إليه هو

وأخوه عباد الذي قتله الخوارج، فتقدم معبد في جماعة من بني مازن

للأخف بثأره، وحاربوا الخوارج، أنظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

(٢/٧٥٠) والكمال للمبرد (٣/٢٥٨).



أو في السرارة من تيم رضيت بهم  
أو من بني خلف الخضر الجلاعيد (١)

وقال بعض الأدباء : المراد بالخضرة في بيت حسان : الكرم على جهة تشبيههم بالبحر لأنه أخضر ، وهذا لا يصح في بيت النبي ، لقوله أخضر الجلد ، والجلدة ليست مما توصف بالكرم .

أما قول جرير :

كسا اللؤم تيم خضرة في جلودها  
فويلا ليم من مرايلها الخضر (٢)

فإنه لم يرد بالخضرة هنا خضرة كرم ، ولا تصحيح نسب ، وإنما أراد أنها خضرة لؤم ودفنس ، أي قد حالفهم اللؤم حتى صار كاللباس عليهم .

---

(١) البيتان مر البسيط ، و (الصيد) هم الملوك ، (أو في السرارة من تيم) أي في الصميم منهم ، (الجلاعيد) جاء في الصحاح (جلعد) ، (الجلعد : الصلب الشديد والجلاعد من الإبل : الشديد) اهـ .  
أنظر ديوانه (١٣٣) .

(٢) البيت من الطويل من قصيدة لجرير يهجو بها التيم ثم عدى ، والمرايل جمع سرايل ، وهو القميص ، جعل لهم سرايل سودا من اللؤم على عريق المثل ، لأنهم يقولون للكريم النقي العرض ، هو طاهر الثوب أبيض سرايل ، ورواية الديوان :

كسا اللؤم تيم خضرة في وجوهها  
فياخزي تيم من سرايلها الخضر

وأنظر سيبويه (٣٣٣/١) ، شرح المفصل (١٢١/١) ، المقضب (٢٢٠/٣) ،  
ديوانه (٢١٢) .



وأما قوله : الجلدة ، فإنها والجلد سواء ، وليس المراد بالجلدة هنا  
القطعة من الجلد .

والدليل على أن الجلدة تأتي بمعنى الجلد قول الفرزدق لما سئل عن  
عن نصيب : هو أشعر أهل جلده ، وقول عمرو بن العلاء (١) وهو أحد  
القراء السبعة لأبي خيرة (٢) الأعرابي البصري : هيات لانت جلدةك  
يا أبا خيرة .

والله أعلم

---

(١) أفطر بغية الوعاة (٢٣١/٢)

(٢) المرجع السابق (٣١٧/٢)



البيت الثانی قول الشاعر :

ليث هزبر مدل عند خيسته

بالرقتين له أجر وأعراس (١)

البيت لمالك بن خالد الخناعي من بحر البسيط ،

وفي ( ليث ) قولان : أحدهما أنه من اللوثة بمعنى القوة .

ومن ذلك قول ليلى الأخيلية :

غضوب للهامة ذات لوث

أمون الخلق سيرمها غلاب (٢)

فأصله : ليوت ، فقلبت الواو ياء ، لاجتماعهما ساكفا أو لهما ، ثم

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ( ١٢٣/٤ ، ٢٥/٥ ، ٢٣/١٠ ) ،

توجيه اللامع لابن الخبار (٩) ، ديوان الهذليين (٤/٣) .

(٢) البيت من الوافر ، وقصف فيه ليلى ناقها بالقوة والأمان ، وعدم

المبالاة في السير .

اللغويات : ( غضوب ) فعول صيغة مبالغة في الغضب ، خبر لمبتدأ

محذوف يعود على الناقة ( للهامة ) مفرد لها مهمة ، وهي المغازاة ، خبر مقدم

( لوث ) مبتدأ مؤخر ، وفي الصحاح : ( اللوثة : مس من الجنون ،

ويقال أيضا ناقة ذات لوثة أي كثيرة اللحم والشحم ، واللوث = بالفتح =

القوة ) اهـ

( أمون الخلق ) أي وثيقة الخلق ، قد أمنت العثار والإعياء ، والجمع

أمن ، وهي خبر لمبتدأ محذوف يعود على الناقة أيضا . ( الغلاب ) المغالبة

وانظر اللسان ( أمن — مهمة — غلب ) .



حذفت الثانية تخفيفاً كـميت بالسكون ، كما في قوله تعالى : ( أيجب أحـكم أن  
يأكل لحم أخيه ميتاً ) (١) ، و كقول الشاعر :

ومنهل فيه الغراب ميت

سقيت منه الناس واسيقت (٢)

وثانيتها : أنه من الليانة بمعنى الشجاعة ، وعلى ذلك قول رؤبة ابن  
العجاج :

وقد بلوا منك بليت أليت

أعطى أبا سارة حمض المقلت (٣)

وعلى القول الأول يكون وزن ليت : قيل ، بحذف عين الكلمة ،  
وعلى القول الثاني يكون الوزن : فعل ، قال ابن إياز في المحصول شرح

#### (١) الحجات آية رقم ١٢

(٢) البيت من الرجز ، ذكر في العزة لابن الدهان ( ٤٢٧/٢ ) ،  
والمحصول في شرح الفصول ( ٢٣٦ ) بدون ذكر قائله .

اللغويات : ( ومنهل ) ماء في القاموس ( نهل ) : ( النهل — محركة —  
أول مشرب والمنهل : المشرب ، والشرب ، والموضع الذي فيه المشرب ) اهـ  
ومشاعر يصف منها صادفه ، وفيه غراب ميت ، وهذا كناية عن  
صيعته ، ومع ذلك ارتوى منه ، وأروى غيره .

(٣) البيت من الرجز ، من قصيدة يمدح بها محمد بن الأشعث الخزاعي ،  
وأبا سارة هو عدوه

اللغويات : ( الليث ) الأسد ، والجمع ليوث ( الأليث ) الشجاع ،  
وجمعه ليث ، وهو صفة لليث ، ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل  
( المقلت ) المقارب من الوجع ، ليس يضجع صاحبه ولا يعرق ، وانظر  
( ليث — حمض — غلت )



الفصول (١) : ( وهذا تنبيه ، وهو أنهم حيث أعلوا العين في هذا بالقلب  
اجتزوا عليها بالحذف ، فقالوا : ميت وسيد ، وقد قرى به ، وقال  
الشاعر :

ومنهل فيسه الغرب ميت . . . . .

فوزنه : فبل ، وبعضهم يرى أن المحذوفة الزائدة ، فالوزن عنده :  
فمبل ( اهـ )

والظاهر أنه الصواب ، وذلك لسلامة من الحذف ، ولأنه لم يسمح  
فيه التثقيب :

وهو ، أى ( ليث ) فى البيت مرفوع على البهل من ( ذوجيد ) فى  
البيت الذى قبله ، وهو :

يامى لا يعجز الأيام ذوجيد

فى حومه الموت رزام وفراس (٢)

(١) انظر المحصول شرح الفصول (٢٢٦)

(٢) البيت من البسيط ، وهو من شواهد سيبويه ( ٦٧/٢ ) ، ونسبة  
لمالك من خالد الخناعى أيضا ، وقال الاستاذ عبد السلام هارون فى تحقيقه  
على الكتاب : ( وذكر الشنتمرى أن الشعر يروى أيضا لأبى ذؤيب .  
وقد أورد السكرى القصيدة مرتين ، ونسبها فى الأولى إلى أبى ذؤيب ، ثم  
قال : قال أبو نصر : وإنما هى لمالك بن خالد الخناعى ، وفى الثانية إلى  
مالك بن خالد ، ثم قال : وتنحل أبو ذؤيب قال الشنتمرى : وصف أسد ،  
ووقع فى إنشاد البيت غلط ، وهو قوله : ذوحيد ، والصواب : مترك ،  
وهو الأسد البارك ) اهـ

(مى) منادى مرحم على لغة من لا يفتظر ، ( وذوحيد ) من وصف  
الوعل ، وهو تيس الجبل ، والحيد : نتوء فى قرنه ، واحدها حيدة ، كضبع  
وضيعة ، ( وحومة الموت ) مجتمعه ، ( والرزام ) مبالغة من الرزم ، =



ويجوز أن يكون خبر المبتدأ مخدوف .

ويقول : ( هزبر ) (١) فعل ، وهو الغليظ الضخم ، صفة للبيت ، ومنه  
الهزبر للسيء الخلق وقيل الكيس القطن ، على وزن فعمل ، بزيادة النون ،  
لأنها وقعت ثالثة ساكنة ، وبعدها خرفان .

وقوله : ( مدل ) (٢) يكسر الميم وسكون الدال وتخفيف اللام : القليل  
اللحم ، وبفتح الميم : الخسيس واللبن الخائر ، وبتشديد اللام كما في البيت :  
المنبسط ، وهو صفة أخرى للبيت .

وقوله : ( عند ) ظرف مكان إذا أضيف إلى مكان ، كما في البيت ، وأما  
إذا أضيف إلى غيره ، يكون للزمان . وقد لزم القصب على الظرفية ، ولم  
يجز إلا بمن خاصة ، وفيه ثلاث لغات : كسر العين ، وفتحها ،  
وهو متعلق بقوله ( مدل ) أى يدل في هذا الموضع ، ويجوز أن يكون  
نعنا لمدل ، ويتعلق بمخدوف ، أى مدل كائن عند خيسته ، وفيه ضمير راجع  
إلى الموصوف .

وقوله : ( خيسته ) مجرورة بإضافة عند إليه ، وهو الشجر الملتف ،  
جاء في القاموس ( الخيس ) : ( الخيس — بالكسر — الشجر الملتف ،  
أو ما كان حلفاء وقصبا ، وموضع الأسد كالخيسة ، والجمع : أخياس ،  
وخيس ، واللبن والدر ، يقال : أقل الله خيسه ) اهـ

وقوله : ( بالرقمتين ) قال ابن دريد (٣) : هما روضتان إحداهما قريب  
من البصرة .

= وهو الصرع ، وكذا الغرس ، وهو دق العنق ، ومقة الغريسة . وهما  
وصفان لذو حيد .

(١) انظر القاموس المحيط ( هزبر )

(٢) انظر المرجع السابق مادة ( مدل )

(٣) انظر الاشتقاق لابن دريد (٧٢)



والأخرى بنجر (١) ، وقيل : بل كل روضة مزهرة رقعة .

وهو جار ومجرور ، والباء بمعنى في ، ولا يكون ظرفاً لمدل ، مع كون  
عند ظرفاً له ؛ لاستحالة كون ظرفين لشيء واحد .

فإن قيل : هل يجوز أن يكون بدلا من قوله : ( خيسته ) ، كقولك :  
قعدت في مكان زيد في داره ؟

أجبت : لا يجوز ، لأن الرقمتين أعم من الخيسة ، ولا يبدل الأعم من  
الأخص ، ولكن يجوز أن يكون منصوب الموضع على الحال من الهاء في  
خيسته ، أي كائناً بالرقمتين ، وقد جاء الحال من المضاف إليه في قول  
تأبط شراً :

سلبت سلاحى يائساً وشتمتني

فياخير مسلوب وياشر سالب (٢)

فبائساً حال من الياء في سلاحى ، ومجىء الحال من المضاف إليه قليل ،  
لأن العامل في الحال ينبغي أن يكون هو العامل في صاحب الحال .

ولذلك قال ابن الشجري (٣) : ( ولست أرى أن بائساً حال من ضمير  
المتكلم الذي في سلاحى ، ولما كانه عندي حال من مفعول سلبت المحذوف ،  
والتقدير : سلبتني بائساً سلاحى ، وجاء بالحال من المحذوف لأنه مقدر  
عند منوى ، ومثل ذلك في القرآن قوله عز وجل : ( ذرني ومن خلقت

(١) نجر : أرض مكة والمدينة ، ونجرام بلد باليمن . انظر القاموس  
( نجر ) .

(٢) البيت من بحر الطويل . انظر أمالي ابن الشجري (١/١٧ ، ٢/٢٢٨)

(٣) انظر الأمالي الشجرية (١/١٧ ، ١٨) ، وخزانة الأدب ١٤٧/٣ .

( ٢٠ — مجلة دمنهور ٣٤ )



وحيداً) (١) ، فوحيداً حال من الهاء العائدة في التقدير على من ، ومثله (أهذا الذي بعث الله رسولا) (٢) ألا ترى أنك لا بد أن تقدر خلقته وحيداً ، وبعثه الله رسولا ، لأن الاسم الموصول لا بد له من عائد لفظاً أو تقديرأ .

ولأنما وجب العدول من نصب بائس على الحال من الياء التي في صلاحى ، لما ذكرته لك من عزة حال المضاف إليه ، فإذا وجدت مندوحة عنه وجب تركه . وسلب يتعدى إلى مفعولين ، يجوز الاقتصار على أحدهما ، كقولك : سلبت زيدا ثوباً ، وقالوا : سلبت زيد ثوبه بالرفع على بدل الاستعمال ، وثوبه بالنصب على أنه مفعول ثان ، وفي التنزيل ( وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ) (٣) .

فيجوز على هذا أن تجعل بائساً مفعولاً ثانياً بتقدير حذف الموصوف ، أى سلبت صلاحى رجلاً بائساً .

ومما جاءت فيه الحال من المضاف إليه في القرآن قوله تعالى : ( قل بل ملة إبراهيم حنيفاً ) (٤) قيل : إن حنيفاً حال من إبراهيم ، وأوجه من ذلك عندي أن يجعله حالا من حالا من الملة ، وإن خالفها في التكبير ، لأن الملة في معنى الدين ، ألا ترى أنها قد أبدلت من الدين في قوله جل وعز : ( ديناً قيميا ملة إبراهيم ) (٥) ، فإذا جعلت حنيفاً حالا من الملة فالناصب له هو الناصب للملة ، وتقديره : بل تتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، وإنما أضمر تتبع ،

(١) سورة المدثر آية (١١) .

(٢) سورة الفرقان آية (٤١) .

(٣) سورة الحج آية (٧٣) .

(٤) سورة البقرة آية (١٣٥) .

(٥) سورة الأنعام (١٦١) .



لأن ما حكاه الله عنهم من قولهم : ( كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا )  
معناه اتبعوا اليهودية أو النصرانية ، فقال لنبيه : ( قل بل ملة إبراهيم  
حنيفاً ) . ا . ه ابن الشجرى .

وقال البغدادي في الخزانة (١) : ( قال أبو علي في المسائل الشيرازيات :  
قد جاء الحال من المضاف إليه في نحو ما أنشده أبو زيد :

عود وبهمة حاشدون عليهم  
حاق الحديد مضاعفاً يتلمب (٢)

انتهى كلامه ) ا . ه . فمضاعفاً حال من الحديد ، وهو المضاف إليه .

قال ابن الشجرى في المجلس السادس والسبعين في أماليه : ( والوجه  
في هذا البيت فيما أراه أن مضاعفاً حال من الحلق لا من الحديد لأمرين :  
أحدهما : أنه إذا أمكن مجيء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من  
المضاف إليه ، ولا مانع في البيت من كون مضاعفاً حالاً من الحلق ، لأننا  
نقول : حلق محكم ومحكمة . والآخر : أن وصف الحلق بالمضاعف أشبه  
من وصف الحديد به ، ويجوز أن تجعل مضاعفاً حالاً من المضمرة في يتلمب ،

(١) أنظر الخزانة (٢٥٥/٣) .

(٢) البيت من بحر الكامل لزيد الفوارس . انظر أمالي ابن الشجرى  
(١٦٧/١ ، ٣٢٧/٢) ، الهمع (٢٤٠/١) . اللغويات : ( عود ) أبو حى من  
العرب ، ( بهمة ) أبو حى من سليم ( حاشدون ) يقال : فلان جاء حاشداً ،  
أى مستعداً متهيئاً والحشد يكون لازماً ومتعدياً ، يقال : حشد القوم : إذا  
اجتمعوا ، وحشدتهم : أى جمعتهم . ( حلق الحديد ) الحلقة — بالتسكين —  
الدرع ، والجمع حاق — بالفتح — على غير قياس . أنظر الصحاح ( عود  
— بهت — لمب ) .



ويتلهم في موضع الحال من الخلق ، فكأنه قال : عليهم خلق الحديد  
يتلهم مضاعفاً ( ا هـ ) .

وقال السيوطي في الهمع (١) : ( وحق صاحب الحال أن لا يكون  
مجروراً بالإضافة كما لا يكون صاحب الخبر ، لأن المضاف إليه مكمل  
للمضاف وواقع منه موقع التنوين ، فإن كان المضاف بمعنى الفعل حسن  
جعل المضاف إليه صاحب الحال ، لأنه في المعنى فاعل أو مفعول ، نحو  
( إليه مرجعكم جميعاً ) (٢) ، وعرفت قيام زيد مسرعاً ، وجوز بعض  
البصريين ، وصاحب البسيط جملء الحال من المضاف إليه مطلقاً وخرجوا  
عليه (إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) (٣) ، وقوله (خلق الحديد مضاعفاً  
يتلهم) وجوزة الأخفش وابن مالك إن كان المضاف جزء ما أضيف إليه  
أو مثن جزئه ، نحو ( ما في صدرهم من غل إخواناً ) (٤) ، ( ملأ إبراهيم  
حنيفاً ) لأنه لو استغنى به عن المضاف ، وقيل : ونزعنا ما فيهم إخواناً ،  
واتبع إبراهيم حنيفاً ، لصح ( ا هـ ) .

وقوله : ( وأجر ) (٥) جمع جرو ، بكسر الجيم ، وهي اللغة الفصيحة ،

(١) انظر الهمع ( ٢٤٠/١ )

(٢) سورة يونس آية (٤) .

(٣) سورة الحجر آية (٦٦) .

(٤) سورة الحجر آية (٤٧) .

(٥) في القاموس ( الجرو ) : ( مثلثة صغير كل شيء ، حتى الحنظل

والبطيخ ونحوه ، والجمع : رجر وجراء ، وولد الكلب والأسد ) ا هـ .

وجاء في هاشم القاموس ( قوله : صغير كل شيء . قال الشارح :

التثنية إنما ذكر في ولد الكلب والسباع ، أما في الصغير عن كل شيء ،

فالمسموع الجرو . والجرو بكسرهما ) ا هـ .



نصر على ذلك أبو على الفارسي في الإيضاح (١): باب جمع الأسماء الثلاثية؛ حيث قال: (وربما كسر على أفعل ، وذلك ذئب وأذؤب ، وجرو وأجر ، ورجل وأرجل) ١. هـ .

وأصله : أجرو ، فأبدلت ضمة الراء كسرة ، ثم أبدلت الواو ياء ، لوقوعها طرفاً وانكسار ما قبلها ، فصار إلى أجرى . استشعلت الضمة على الياء ، فحذفت ، فالتقى ساكنان : الياء والتنوين ، فحذفت الياء ، وعلمته أنه ليس في كل م العربية اسم متمكن آخره واو قبلها ضمة ، واغتفر ذلك في الأفعال نحو يدعو ويغزو دون الأسماء ، لأن الأسماء يلحقها الجر ، وياء النسب والإضافة إلى ياء المتكلم ، فكان يلزم أن يقال : بأجرو ، فتجتمع ضمة ، وواو ، وكسرة ، وكذلك أجروى منسوباً ، فتجتمع ضمة ، وواو مكسورة ، ويا مان ، وكذلك أجروى ، مع ياء المتكلم ، فتجتمع ضمة ، وواو وكسرة ، وياء واحدة ، وذلك مستثقل ، فقلبت الواو ياء ، لأن الياء على كل حال أخف من الواو .

وأما الفعل فقد أمن لحاق ذلك أجمع له ، مع أن واوها معرضة للحذف في الجزم ، وليست في الأسماء كذلك .

نعم لو سميت بيغزو رجلاً ، وهو مجرد عن الضمير ، لقلبت الضمة لقلبت الضمة كسرة ، والواو ياءاً ، فقلت : هذا يغير ، ومررت بيغز ، عنونين في حالي الرفع والجر كجوار ، ورأيت يغزى ، غير مثنون في حالة النصب كجوارى ، ولو سميت به وفيه ضمير لحكايته ، لأنه حملة .

قال ابن جني في الخصائص (٢) : باب في ملاحظة الصنعة : وذلك أن ترى العرب قد غيرت شيئاً من كلامها من صورة إلى صورة ، فيجب حينئذ

(١) انظر الإيضاح (١٣٢)

(٢) أنظر الخصائص (٤٧٠/٢) .



أن تتأني لذلك وتلاطفه، لأن تخبطة وتتعسف، وذلك كقولنا في قرلهم في تكسير جرو، ودلو : أجر، وأدل : إن أصله أجرو، وأدلو، فقبلاوا الواو ياء، وهو — لعمري — كذلك، إلا أنه يجب عليك أن تلابن الصنعة، ولا تعاذها. فنقول : إنهم أبدلوا من ضمة العين كسرة، فصار تقديره : أجرو، وأدلو، فلما أنكسر ما قبل الواو — وهي لام — قلبت ياء، فصارت أجرى، وأدلى .

وإنما وجب هذا العمل هذا الترتيب، من قبل أنك لما كرهت الواو هنا، لما تتعرض له من الكسرة والياء في أدلوى (١)، وأدلوى (٢) لو سميت (٣) وجلا بأدلو، ثم أضفت إليه .

فلما ثقل ذلك بدؤوا بتغيير الحركة الضعيفة تغييراً عبطاً وارتجالاً، فلما صارت كسرة تطرقوا بذلك إلى قلب الواو ياءاً تطرقاً صناعياً، ولو بدأت فقلبوا الواو ياء بغير آلة القلب من الكسرة قبلها، لكنت قد استكرهت الحرف على نفسه تهالكاً وتعجرفاً لارفقاً وتلطفاً، ولما فعلت ذلك في الضمة، كان أسهل منه في الواو والحرف، لأن ابتداء الضم أقرب مأخذاً من إنحاءك على القوى، فأعرف ذلك أصلاً في هذا (الباب) ١ . هـ .

والأحسن في رفع (أجر) في البيت أن يكون بقوله : (له)، لأن (له) نعت لما قبله أو حال، والظرف أو فلجار والمجرور إذا كان أحدهما كذلك

---

(١) يقصد حال إضافتها إلى ياء المتكلم .

(٢) يقصد حال النسب إليها .

(٣) شرط أن يكون أسماً، لأنه جمع فلا ينسب إليه على لفظه إلا إذا كان علماً، وإلا نسب إلى مفرده .



أرتفع به الأسم وجوبا على أنه فاعل عند الآخرين ، ويجوز الرفع على أنه مبتدأ .

قال ابن هشام في المغنى (١) : ( إذا وقع بعدهما — أى الظرف والجار والمجرور — مرفوع ، فإن تقدمهما ففى أو استفهام أو هـ وصرف أو موصول أو صاحب خبر أو حال ، نحو ما فى الدار أحد ، وأنى الدار زيد ، ومروى برجل معه صقر ، وجاء الذى فى الدار أبوه ، وزيد عندك أخوه ، ومروى يزيد عليه جبة ، ففى المرفوع ثلاثة أوجه :

أحدها : أن الأرجح كونه مبتدأ مخبرا عنه بالظرف أو المجرور ، ويجوز كونه فاعلا .

والثانى : أن الأرجح كونه فاعلا ، واختاره ابن مالك ، وتوجيهه أن الأصل عدم التقديم والتأخير .

والثالث : أنه يجب كونه فاعلا ، نقله ابن هشام عن الآخرين .

وحيث أعرب فاعلا ، فهل عامله الفعل المحذوف ، أو الظرف أو المجرور ، لئلا يتما عن استقرار ، وقربهما من الفعل لاعتادهما ، فيه خلاف ، والمذهب المختار الثانى ، بدليل امتناع تقديم الحال فى نحو زيد فى الدار جالسا ، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع ( ا . هـ ) .

ويجوز رفع ( أجر ) أيضاً بالرفعتين ، لأن الجار والمجرور فى موضع حال أو صفة ، ومن رفع أجر بالإبتداء ، فله الخبره وباقتين صفة لأجر فى الأصل ، فلما تقدم عليه نصب على الحال .

---

(١) انظر المغنى — الباب الثالث — أحكام شبه الجملة ( ٤٤٣/٢ ) ، ويراجع مع الهوامع للسيوطى ( ١٠٧/٢ ) .



ويجوز أن يكون بالرقتين خبره ، ( وله ) صفة تقدمت فصارت  
حالا .

وقوله : ( وأعراس ) عطف على أجر ، وهو جمع ، مفردة يمس  
— بالسكسر — وهي إمراة الرجل ، وأيضا لبؤة الاسد (١) ، وهو المقصود  
في البيت .

والله أعلم

---

(١) أنظر القاموس ( عروس ) .



البيت الثالث قول الشاعر :

حديا الناس كلهم جميعاً

مقارعة بينهم عن بنيها (١)

البيت لعنرو بن كلثوم من معلقته المشهورة .

قوله : ( حديا ) من أسماء المصادر التي جاءت مصغرة ، نحو الهديا ،  
والحجيا للمحاجة ، والعجيلي للإصرار ، والهويني للرفق ، من الهون .

والدليل على أن الحديا مصدر ، إفراده في التثنية والجمع ، كقوالك :  
هو حدياً زيد ، وهما حدياه ، وهم حدياه ، وأنا حدياك ، ونحن حدياك ،  
وهي من التحدى والمباراة في الفعل ، والمنازعة في الغلبة ، تقول : أنا  
حدياك في المباراة في الحرب ، وأنا حدياً بكر في المفاخرة .

وهي من المصادر الواقعة موقع اسم الفاعل ، نحو رجل عادل ، وماء  
غور بمعنى عادل وغائر ، وكذلك حدياً بمعنى متحد ، وموضعه رفع على أنه  
خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : نحن حدياً الناس .

وقوله : ( الناس ) ، قال البغدادى في الخزانة (٢) : ( وأعلم أنهم اختلفوا  
في ( ناس ) ، فقال الجمهور : أصله أناس ، فقليل جمع لإنسان ، وقيل : اسم

---

(١) البيت من الوافر ، وانظر شرح المعلقات السبع (١٥١) ، ومجالس  
ثعلب (٢/٤٦٠) .

المعنى : يقول تتحدى الناس كلهم بمثل مجدتنا وشرفنا ، ونقارع أنبياءهم  
ذابين عن أبنائنا . أى نضربهم بالسيوف حماية للحرية ، وذبا عن  
الأنبياء .

(٢) انظر الخزانة للبغدادى (٢/٢٨٧) .



جمع له . وقال الكسائي : هو اسم تام ، وعينه واو ، من ناس ينوس إذا تحرك ، وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال في القاموس : والناس يكون من الإنس والجن ( ا . هـ ) .

واستدل الجمهور على مذهبهم بقولهم : لأنه مشتق من الأنس ، والالف زائدة ، ثم حذفت الهمزة وهي الفاء تخفيفاً ، فقليل : ناس ، والوزن عال ، والنقص والإتمام فيه متساويان في كثرة الإستعمال مادام منكوراً ، فإذا دخلت عليه الالف واللام ، والتزموا فيه الحذف ، فقال : الناس ، ولا يكادون يقولون : الأناس إلا في الشعر ، كقوله :

إن المنايا يطلع

من على الأناس الآمنينا (١)

واستدل الكسائي والكوفيون على أنه من النوس ، ووزنه فعل بتصغيره على نويس ، ولو كان منقوصاً من أناس لرده التصغير إلى أصله ، فقليل : أنيس .

قال ابن الشجري في أماليه (١) مرجحاً رأي جمهور البصريين : ( والصحيح ما ذهب إليه جماعة البصريين ، ووافقهم فيه الغراء ؛ لقول العرب : أناس ، وإنما كثر حذف فائه ، وإذا دخل عليه الالف واللام ، فلا يكادون يقولون : الأناس إلا في ضرورة الشعر كقوله :

إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا

---

(١) البيت من مجزوء الكامل ، وهو لدى حمد الحميز ، أنظر شرح الشافية (٢٩٦/٤) ، والخصائص (١٥١/٣) ، أمالي ابن الشجري (١٢٤/١) ، وشرح المفصل (١٣١/٥) ، والخزانة (٢٨٢) .  
(٢) أنظر أمالي ابن الشجري (١٢/٢) .



ولمّا قالوا فى تحقيره : نويس ، فلم يردوا فاته ، لأن رد المحذوف إنما يلزم فى التحقير للحاجة إليه ، كقولك فى تحقير عدة ، وعبدته ، ووزينه ، وفى سه ، ستيه ، وفى أب ، وأخ : أبى وأخى ، ألا ترى أنك لو لم ترد المحذوف من عدة ، أرقعت ياء التحقير ثالثة بعد الدال ، وحركتها بالفتح لوقوع تاء التانيث بعدها ، فصارت الكلمة إلى عديه بزنة فعلة كرتابة ، وحقيقة زنها : عليه ، لأن وزن عدة : علة ، والياء زائدة للتحقير ، فخرجت بذلك عن مثال التحقير ، ثم انقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصاوت إلى عداة ، وهذا إفساد مستحكم ، لأن ياء التحقير لا تسمى الحركة ، كما لا تحسن ألف التفسير التى فى مثال مفاعيل ، فكيف تحريكها ثم قلبها ألفا ، وكذلك لو لم ترد عين سه ، فتقل سببهه ، لزمك أن نقول : سبيه مثل رطبة ، فتحرك ياء التصغير ثم قلبها ألفا ، وهذا فساد اللزم من أب وأخ ، وقعت ياء التحقير طرفاء ، ولزم تحريكها بحركات الإعاب ، ثم قلبها ألفا لا نفتاح ما قبلها ، فصار إلى أبا وأخا . ولبس فى تحقير أفاًس إذا لم ترد المحذوف شيء يخرج باب التحقير عن قياسه ، لأن قولنا تاس وإن كان بوزن عال ، فإنه مماثل لباب ، وإن كان باب وزنه فعل ، فكذلك تحقيره ، وإن كان نويس وزنه : عويل وبويب وزنه فعيل (أهـ)

وقال ابن يعيش فى شرح المفصل (١) : (اعلم أن الاسم إذا حذف منه شيء وبقي بعد الحذف ما يحصل به بناء التصغير ، وهو ثلاثة أحرف ، لم يرد المحذوف ، لأن الحذف لم يكن عنه علة تزول فى التصغير ، وإنما كان الحذف لغرب من التخفيف فى المسكبر ، وهو أحوج إليه فى المصغر لزيادة حروفه فلذلك تقول فى ميت مخفف من ميت : ميت ، نيان واحدة بعدها ياء التصغير ، ولم ترد المحذوف ، لأن الفرض من رد المحذوف نحو أب



وأخ تحصيل بناء التصغير ، وهو فعيل ، وذلك حاصل من ميت ، فلم يحتج إلى رد المحذوف يهتل ميت ، بثلاث ياءات ، وتقول في تصغير ناس : نويس ، ولو رددت المحذوف لقلت : أنيس ؛ لأن أصله أناس ، فحذفت ألفاء منه ، وهي الهمزة ، وصارت ألف فعال كالعوض من المحذوف ( اهـ )

وكلمة ( الناس ) محفوفة بإضافة ( حديا ) إليها ، وموضعها ونصب لأنها معقول .

وقوله : ( كلهم ) بالجر تأكيد على اللفظ ، ولو نصب حملا على المعنى لكان حائزا كقولك عجبت من ضرب خالد الظريف ، بخفض ونصبه على ما ذكرنا .

ولفظ ( كل ) لفظه مفرد ، ومعناه الجمع ، فالضمير قارة تعود على لفظه مفردا كقولك : كل الرجال ضربته ، وتارة يعود على معناه جموعا كقولك : كل الرجال ضربتهم ، ونظيره كلا ، فإنه عند البصريين (١) مفرد اللفظ ، مثق المعنى ، فيعود الضمير إليه على ذينك الوجهين ، قال تعالى : ( كاتبا (٢) الحنتين آتت أكلها )

وقال الشاعر :

كلاهما حين حدد الجري بينهما

قد أقلما وكلا أنفيهما رابى (٣)

(١) انظر الإنصاف مسألة (٦٢)

(٢) سورة المكهف آية (٣٣)

(٣) البيت من البسيط للفرزدق ، قال الصبان في حاشيته ( ٧٨/١ ) :

إن البيت في وصف فرسين ، وبه قال العيني أيضا . وقال محي الدين في

تحقيقه على الأشموني (٤٥/١) : ( إن البيت للفرزدق من كلمة يهجر فيها —



قال عبد القاهرة (١) : والأكثر في كل : العود على المعنى ، وفي كلا :  
على اللفظ .

وقوله : ( جميعا نصب على الحال من الناس ، وناصية : حديا .

وقوله : (مقارعة) مصدر قارع ، وهو منصوب على الحال من الضمير  
الذى في حديا ، وحديا هو العامل فيها أيضا ، والتقدير : نحن نتحدى الناس  
مقارعين بينهم عن بنينا ، ويجوز أن يكون حالا من الناس ؛ لأنه قد عاد  
الضمير عليهم من قوله : بنينهم .

---

= جريرا ، وكان جرير قد زوج ابنته عضيرة الأبلق ، فغيره الفرزدق  
وهجاه ، وقهل البيت المستشهد به قوله :

ما كان ذنب التى أقبلت تقتلها

حتى اقتحمت بها أسكفة الباب

ولما لم يقب العينى والسيوطى على أصل هذه الكلمة زعما أن بيت  
الشاهد في وصف فرسين ، وقد تبعهما على ذلك كثير من العلماء ، منهم  
العلامتان الأمير والصبان والضمير في كلاهما وما بعده يعود إلى عضيدته  
بنت جرير ، والأبلق زوجها ، أو يعود إلى جرير وابنته ، على نوع من  
الالتعاف ، إذا كان من حق الكلام أن يقول : كلا كما حين جسد الجرى  
بينكما ) اهـ

وقوله ( تقتلها ) مضارع عتل أى تجذبها حذبا عنيفا ، ( أسكفة  
الباب ) — بضم الهمزة وتشديد الفاء — عتبه ، ( جد الجرى ) عظيم  
واشتد ، والإسناد فيه مجاز عقلى ، والأصل جدا فى الجرى ( أقلاعا )  
الإقلاع عن الشيء السكف عنه وربو الأنف إرتفاعه عند التعب من  
جرى ونحوه .

(١) انظر المرتجل فى شرح جل الجرجاني (٣١)



وقوله : ( بنهم ) جمع ابن . وهو بالواو في الزفع . وبالياء والنصب والحر ، ومع هذا ليس بجمع سالم مطلقا ، بل يدخله شائبة من التغير ، فلذلك أنت الفعل المسند إليه ، كقولك : جاءت بنو زيد ، ويمنع جاءت الزيدون .

قال الشاعر :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام (١)

ونومه مخدوفة للإضافة ، وهو منصوب بمقارعة .

(١) البيت من البساط للناطقة الذبياني . اللغة : ( خالوا ) أى قاركوهم وقاطعوهم . ومنه قيل للمرأة خليسه إذا طمقت . ( يا بؤس للجهل ) يعنى : ما أبأس الجهل على صاحبه وأضره للناس ، واللام فى ( للجهل ) زائدة بين المضاف والمضاف إليه ، قال سيديويه ( ٢٧٧/٢ ) : ( ومثل هذا الكلام قول الشاعر إذا اضطر . للناطقة : يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام . حملوه على أن اللام لو لم تجى لقلت : يا بؤس للجهل ) اهـ

و ( ضرارا ) حال . وقد جعله المبرد من المضاف الذى هو المنادى ، والعامل فيه حرف النداء . وبين العلماء من جعل هذه الحال من المضاف إليه الذى هو الجهل ، فيكون العامل فيه هو المضاف ، لأنه هو العامل فى صاحبه ، قال الرضى فى شرح الكافية ( ١٣٢/١ ) : ( اعلم أنه قد ينصب عامل المنادى المصدر اتفاقا ، نحو يا زيد دعاء حقا . وأجاز المبرد نطبه للحال ، نحو يا زيد قائما ، إذا ناديته حال قيامه ، ومنه قوله :

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

والظاهر أن عاملة بؤس الذى بمعنى الشدة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال — أعنى الجهل — تقدير الزيادة اللام . فهو مثل أعجبنى مجىء زيد راكبا ) اهـ



والمقارعة متهدية إلى المفعول بدليل قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
بين فلول من قراع الكتائب (١)

تقديره : من قراعها الكتائب .

وقوله : ( عن بنينا ) متعلق بمقارعة .

وقال ثعلب (٢) : المراد بالمقارعة هنا المفاخرة ، يريد أن المفاخرة

---

= وهكذا نرى أن الرضى بعد أن نقل مذهب المبرد ، واستظهر غيره ،  
ورجع البغدادى رأى المبرد ، قال فى الخزانة ( ١٣٠/٢ ) : ( أقول من  
جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ، وفيه مناسبة جيدة ، فإن  
الجهل ضار ، وبؤسه ضرار ) هـ ، وانظر فى البيت : الإنصاف ( ٣٣٠/١ ) ،  
شرح المفصل ( ٦٨/٣٠ ) ، أمالى ابن الشجرى ( ٨٠/٢ ) ، والخصائص  
( ١٠٦/٣ ) ، ديوانه ( ١٠٥ ) .

( ١ ) البيت من الطويل من قصيدة يمدح فيها عمرو بن الحارث الغساني  
حين هرب إلى الشام . اللغة : ( الفلول ) جمع فل - بفتح الفاء - وهو كسر  
فى حد السيف ، يقال : فله فافل ، أى كسره فانكسر ، وفالت الجيش :  
هزمته ( القراع ) والمقارعة : المضاربة . والبيت جاء على طريقة تأكيد  
المدح بما يشبه الذم ، فإنه نفي العيب عن هؤلاء القوم على جهة الاستغراق ،  
ثم أثبت لهم عيباً وهو تشلم سيوفهم من مضاربة الجيوش ، وهذا ليس بعيب .  
بل هو غاية المدح . و ( غير ) منصوب على الاستثناء المنقطع ، أى ولكن  
سيوفهم بين فلول ، هكذا قال سيديويه . انظر الكتاب ( ٣٢٦/٢ ) ، الحمدة  
( ٤٨/٢ ) ، إصلاح المنطق ( ٢٤ ) ، شواهد المعنى ( ٣٤٩ ) ، ديوانه ( ١١ ) .

( ٢ ) انظر مجالس ثعلب ( ٤٦٠/٢ ) .



ضرب من المقارعة ، لأن كل واحد من المفاخرين يقارع صاحبه ليغلبه بالمفاخرة ، فيصير التقدير : مفاخرين أبناءهم عن أبنائنا .

ويجوز أيضاً أن يكون ( حديثاً ) حالاً بعد حال من البيت الذي قبله ، وهو :

نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقين

ويسكون التقدير : محافظين متحدين ، ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لقوله : كنا أي وكنا السابقين ومتحدى الناس ، وكان هنا يراد بها الاستمرار في الزمان كقول الشاعر :

و كنت امرأة لا أسمع الدهر سبة  
أسب بها إلا كشفت غطاءها (١)

ومنه قوله تعالى : ( وكان الله عزيزاً حكيماً ) (٢) .

وكقول الآخر :

و كنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيها (٣)

---

(١) البيت من الطويل لقيس بن الخطيم الأوصي . قال المرزوقي في الحماسة ( ١٨٦/١ ) : ( يروي : لا أسمع ، ولا أسمع ) اهـ . يقول : كنت رجلاً لا أعير شيئاً طوال الدهر إلا بيضت للناس برامة ساحق منه ، و حقيقة ( كشفت غطاءها ) أي لم أترك الشبهة ملتبسة على سامعها ، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها .

والشاهد هنا : مجيء ( كان ) في البيت يراد بها الاستمرار في الزمان .

(٢) سورة النساء آية رقم (١٥٨) .

(٣) البيت من الوافر ، لزيادة الأعمى ، وسمى بذلك للعكسة كانت =



والآلف في ( بنينا ) ليست للإطلاق ، بل هي ألف الضمير المتصل  
بالتون في مثل أبينا وأخينا ، وكان الأصل : عن بنينا ، فحذفت نون الجمع  
الإضافة كما هو معروف . والدليل على أنه مضاف ، أنه مقابل لقوله :  
بينهم ، ولما كان هذا مضافاً ، كذلك يكون بنينا ، لتحصل المقابلة .

---

= في لسانه . اللغة : ( الغمز ) جس باليد يشبه الفخس ، ( القناة ) الرمح  
( كعوبها ) جمع كعب ، وهو الطرف الناشز ، والشعر في هجاء المخيرة بن  
جنباء التيمى ، والمعنى : أنه أثارهم بالهجاء وأهالكهم إلا أن يتركوا سبه  
وهجاءه ، فإذا اشتد عليه جانب قوم رام قلوبهم إلا أن يستقيموا .

وانظر في البيت شرح المفصل ( ١٥/٥ ) ، شذور الذهب ( ٢٩٩ ) ، المغنى  
حرف ( أو ) ، سيبويه ( ٤٨/٣ ) ، شرح شواهد الإيضاح ( ٣٥ ) .

والله أعلم



## مراجع البحث

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الإيضاح لأبي علي الفارسي - مخطوطة دار الكتب .
- (٣) الاشتقاق لابن دريد - تحقيق عبد السلام هارون - الناشر مؤسسة الخانجي بمصر - مطبعة السنة المحمدية - ١٩٥٨ م .
- (٤) إصلاح المنطق لابن السكيت - تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون - الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر .
- (٥) الأما إلى الشجرية - لابن الشجري - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان .
- (٦) الإنصاف في مسائل الخلاف - لكمال الدين أبي البركات الأنباري - تحقيق محي الدين عبد الحيد - المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- (٧) البحر المحيط لأبي حيان - مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - الطبعة الأولى - ١٣٢٨ هـ .
- (٨) بغية الوعاة - للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى الحلبي - الطبعة الأولى - ١٩٦٤ م .
- (٩) التصريح على التوضيح - لخالد الأزهرى - دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي .
- (١٠) توصية اللمع لابن الخطباز - مخطوطة مكتبة الأزهر .
- (١١) حاشية الدسوقي على المغنى - مطبعة المشهد الحسيني .
- (١٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي .



- ( ١٣ ) الحيوان للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان .
- ( ١٤ ) خزانة الأدب - لعبد القادر البغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م .
- ( ١٥ ) الخصائص لابن جني - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية .
- ( ١٦ ) ديوان جرير - الطبعة الأولى - المطبعة العلمية بمصر ١٣١٣ هـ .
- ( ١٧ ) ديوان حسان بن ثابت - صححه عبد الرحمن البرقوقي - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- ( ١٨ ) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات - تحقيق محمد يوسف نجم - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٨ م .
- ( ١٩ ) ديوان الهذليين - القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م .
- ( ٢٠ ) شذور الذهب لابن هشام - تحقيق محي الدين عبد الحميد - الطبعة السابعة - ١٩٥٧ م - مطبعة السعادة بمصر .
- ( ٢١ ) شرح الأشموني - تحقيق محي الدين عبد الحميد - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ١٩٣٩ م .
- ( ٢٢ ) شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي - نشر عبد السلام هارون - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٢ م .
- ( ٢٣ ) شرح شافية ابن الحاجب - للرضي الاسترأبازي - مع شرح شواهد لعبد القادر البغدادي - تحقيق وضبط محي الدين عبد الحميد وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٥ م .
- ( ٢٤ ) شرح شواهد الإيضاح لابن بري - مخطوطة دار الكتب .
- ( ٢٥ ) شرح شواهد المغني - للسيوطي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .



( ٢٦ ) شرح كافية ابن الحاجب - للارضى - دار الكتب العلمية - بيروت .  
( ٢٧ ) شرح المفصل لابن يديش - عالم الكتب بيروت - مكتبة  
المتنبي - القاهرة .

( ٢٨ ) شرح المعلقات السبع للزوزنى - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده  
١٩٧٨ م .

( ٢٩ ) شعر أبي حية النيرى - جمع وتحقيق يحيى الجبورى -  
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى - دمشق ١٩٧٥ م .

( ٣٠ ) الصحاح - للجوهري - رواية أبي محمد إسماعيل النيسابورى .  
( ٣١ ) العزة ( شرح اللمع ) لابن الدهان - مخطوطة دار الكتب .  
( ٣٢ ) القاموس المحيط - للفيروزباده - الطبعة الثانية - مصطفى  
البابى الحلبي ١٩٥٢ م .

( ٣٣ ) الكامل للبهرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد  
شحاته - دار النهضة بمصر للطبع والنشر -

( ٣٤ ) المكتاب لسيدويه - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة  
المصرية العامة للمكتبات .

( ٣٥ ) اللباب فى العروض والثقافية - اكامل السيد شاهين - ١٣٩٦ هـ .  
( ٣٦ ) لسان العرب لابن منظور .

( ٣٧ ) مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الثانية -  
دار المعارف بمصر .

( ٣٨ ) المحصول فى شرح الفصول لابن معطى - تأليف ابن إياز -  
مخطوطة دار الكتب .

( ٣٩ ) المرتجل فى شرح جمل الجرجاني - لابن الحشاش - مخطوطة  
مكتبة الأزهر .



- ( ٤٠ ) معجم الشعراء للبرزباني — تهذيب المستشرق سالم السكر فـكوى  
— نشر مكتبة القدس — القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- ( ٤١ ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم — محمد فؤاد عبدالباقى  
— دار مطابع الشعب .
- ( ٤٢ ) مغنى اللبيب لابن هشام — تحقيق مازك المبارك — دمشق  
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ( ٤٣ ) المقتضب لأبي العباس المبرد — تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة  
— المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — لجنة إحياء التراث العربى .
- ( ٤٤ ) المنصف لابن جنى على تصريف المازنى — تحقيق إبراهيم  
مصطفى ، وعبد الله أمين — مطبعة مصطفى البابى الحلبي — الطبعة الأولى .
- ( ٤٥ ) همع الهوامع — للسيوطى — دار المعرفة للطباعة والنشر —  
بيروت .

---

بقلم

الدكتور / محمد السيد متولى البغدادى

مدرس بقسم اللغويات

كلية اللغة العربية بدمهور

فرع جامعة الأزهر



## الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

- ١ - تصدير
- ٢ - بقلم ا / د / عبد الله ربيع محمود عميد الكلية
- ٣ - كتاب البديع وأثره في الدراسات البلاغية
- ٤ - بقلم د / الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت
- ٥ - جولة ورأى في شعر العلماء
- ٦ - بقلم د / حلمي حسن أبو العز
- ٧ - حتمية التراث لتأصيل المواهب الشعر الجادة
- ٨ - بقلم د / محمد كريم
- ٩ - الودي الجديد دراسة تاريخية حتى بداية العصر الحديث
- ١٠ - د / أحمد الحفناوى
- ١١ - أثر العربة في شعر شوقي
- ١٢ - بقلم د / عبد المنعم محمد يوسف
- ١٣ - أسلوب العدد في القرآن الكريم بين النحو القديم والحديث واستقصاء وتجميل
- ١٤ - بقلم د / علي أحمد محمد زيد
- ١٥ - دراسة تحليلية لبعض الشواهد العربية
- ١٦ - بقلم د / محمد السيد متولى البغدادي
- ١٧ - الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٨٦/٦٩١٦ م







